خيركم من تعلم القرآن وعلمه

في علوم القراءات

مدخل ودراسة وتحقيق

تأليف

الدكتور السيد رزق الطويل

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية

جامعة أم القرى

مكة المكرمة

المكتبة الفيصلية

مكة المكرمة ـ المعابدة ـ س . ت ١٣٢٧٦

ص . ب ٢٧٠٣ برقياً : فرهود ت : ٥٧٤٦٦٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

في علوم القراءات

الإهـــداء

دراسات حول قراءات الكتاب العزيز أقدمها خالصة لمنزل الكتاب ، راجياً أن يجعل فيها النفع ، وأن تنال منه ـ وحده ـ القبول (ربنا وتقبل دعاءْ) (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)
(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات)
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟ المعتز بالله وحده

السيد رزق الطويل

المقدمة والتمهيد

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، تلقى القرآن من لدن حكيم خبير فهدى الناس إليه، وأقام فيهم حكمه وشريعته.

وبعد

فإن العلوم تشرف بشرف موضوعاتها، وتتفاضل بمدى فضل بحوثها، ومسائلها. وعلوم القراءات، موضوعها كتاب الله، وبحوثها حول أسانيده، وطرق أدائه، ووجوه قراءته، ونظام رسمه، والاحتجاج له، ولأجل هذا فهي بين العلوم في الذروة والسنام، ولا عجب فكل العلوم اللسانية ما كانت إلا من أجله وفي سبيل الحفاظ عليه، والعلوم الإسلامية ما وجدت إلا على أساسه، تنهل من نبعه وتستمد من صافي معينه.

ولقد شرفتني كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بأن أسندت إلي تدريس بعض مناهج القراءات في قسم اللغويات، فأتيحت لي الفرصة لكي أتوفر على هذه العلوم، وأعطيها جانباً من وقتي، هي له أهل، وبه أجدر فإذا بها تكاد تأخذ عليّ وقتي، ووجدت بيني وبينها

أسباب وثيقة لم أحس بها إلا عندما اقتحمت ميادينها الواسعة ، ومجالاتها الرحبة .

هي تمنح الإنسان مزيداً من العلم بالقرآن تاريخاً وتأصيلاً ، والقرآن نبع العلوم جميعاً .

وفيها قضايا لا بد أن يفقهها الداعية ، ونحن والحمد لله على طريق الدعوة . والدارس للسان العربي لا بد أن تكون القراءات جزءاً أساسياً في درسه ؛ إذ هي مصدر للنحو والتصريف ولغات القبائل ، وصوتيات اللسان العربي ، وهي تصف مستويات صوتية تحتاج إلى الدارس الحديث ليحولها إلى واقع محس .

وكتب الاحتجاج للقراءات تثرى الدراسة النحوية ثراء عظيماً ، ومن العجيب أن أعلام النحاة كانوا قراء ، وأعلام القراءات لهم قدم راسخة في النحو ، وما عليك إلا أن تتصفح كتب الطبقات وتقرأ في تراجم هؤلاء وأولئك ليستبين لك بوضوح صدق هذه القضية .

وفي القراء السبعة اثنان من أئمة الدرس النحوي : أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي .

ورأيت ـ لهذا ـ أن أدلي بدلوي في الدلاء، وأقف في صف هؤلاء الأعلام ، وإن كان في الساقة لكنه في تقديري شرف كبير أرجو ربي ألا يحرمني منه ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، فما أردت ؛ إلا تيسير معارف القرآن لتكون في متناول الدارس الحديث من حيث العرض والتبويب ، والعبارة السائغة التي تحتفظ مع يسرها بوقار الحقيقة العلمية .

وفي حسابي أن يكون هذا العمل بمثابة مدخل لهذه العلوم ، مع درس وتحقيق لبعض القضايا التي تتطلب الدرس والتحقيق بحيث يخرج القارىء بصورة صحيحة موجزة عن هذه العلوم وما كتب فيها ، بحيث

يكتفي به المقتصد ، وينطلق منه إلى آفاق البحث كل مجتهد .

وقد جعلته في بابين يسبقهما تمهيد ، وهذه المقدمة .

الباب الأول : موضوعه : القراءات والقراء

وقد قدمته في أربعة فصول :

الفصل الأول : مفاهيم أساسية تدور حول تعريف القراءات ونشأتها ، ومكانتها ، وأساس الاختلاف .

الفصل الثاني : القراءات المقبولة والشاذة .

الفصل الثالث : القراء من عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم مع التعريف بالقراء الأربعة عشر .

الفصل الرابع : عن ترتيل القرآن وصور الترتيل وأركانه .

والباب الثاني : بحوث في القراءات

وقد عرضته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأحرف السبعة والقراءات السبع .

الفصل الثاني : الأصول والفرش

الفصل الثالث : رسم المصحف ـ نماذج له ـ شبه وردود .

الفصل الرابع : صور من الاحتجاج للقراءات .

أرجو أن أكون ـ بهذا ـ قد أوفيت على الغاية أو دانيت ، فإن أصبت فالحمد لله وحده وإن كانت الأخرى فجل من لا يخطىء وحسبي سلامة القصد ، واستقامة الهدف .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

دكتور السيد رزق الطويل
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا
كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى
مكة المكرمة ٢٦ من المحرم ١٤٠٥ هـ ٢١/ ١٠/ ١٩٨٤ م

تمهيد

القرآن الكريم وقراءاته

كلمة « القرآن » :

اختلف العلماء حول معنى لفظ « قرآن » ، العَلَم على الكتاب الحكيم ، بالرغم من أنه من الوضوح حتى يعطي السامع أياً كان حظه من الثقافة انطباعاً قريباً من الصواب ، لكن الواضح من الألفاظ تحار العقول في سبر غوره أكثر مما تعاني من فهم الخفي الغامض .

وللقرآن الكريم أسماء كثيرة تفهم من آيات شتى تحدثت عنه ، ومن هذه الأسماء :

الفرقان ـ قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾[1] .

والكتاب ـ قال تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾[2] .

والذكر ـ قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[3] .

---

(١) الفرقان/ ١ .

(٢) البقرة/ ٢ .

(٣) الحجر/ ٩ .

والمثاني ـ قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾[1] .

والنور ـ قال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾[2].

وغير ذلك كثير :

وفي تقديري أنها وأمثالها صفات كاشفة عن خصائص الكتاب ، مبينة عن رسالته وأثره ، شارحة لفضله ، وعظم آيته في الإقناع وهداية النفوس حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن هنا فالعَلَم الغالب ، السائد ، المشهور إطلاقه على الكتاب الحق هو القرآن ، وهو الاسم الذي اختاره الله له وسماه به ، وتحدث عنه على ضوئه ، يبدو هذا من هذه الآيات : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾[3] ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾[4] ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً ، متصدعاً من خشية الله ﴾[5] ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾[6] ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ [7] ﴿ وعدا عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾ [8] ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾[9] .

إذن لفظ « القرآن » له معناه ومغزاه فماذا قال العلماء في تخريج لفظه .

القرآن في الأصل مصدر « قرأ » يقال : قرأ قراءة وقرآناً ، قال

---

(١) سورة الزمر/ ٢٣ .
(٢) المائدة/ ١٥ .
(٣) ص/ ١ .
(٤) المزمل/ ٤ .
(٥) الحشر/ ٢١ .
(٦) الإسـراء/ ١٠٦ .
(٧) النمل/ ٩٢ .
(٨) التوبة/ ١١١ .
(٩) البقرة/ ١٨٥ .

تعالى : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾[١] أي قراءته ، فهو إذن مصدر على وزن فُعلان بضم الفاء ، مثل غفران ، ثم نقل من هذا المعنى المصدري ، وجعل علماً على الكتاب العزيز .

ورأى آخر : يرى أنه وصف على وزن « فُعلان » بضم الفاء مشتق من « القرآن » بمعنى الجمع ، يقال : قرأت الماء في الحوض ، أي جمعته ؛ ولأن القرآن يجمع السور والآيات سمى بهذا العلم .

وهذا الرأي ينتهي الى الرأي الأول ، لأن المعنى اللغوي للقراءة هو الجمع أيضاً ، كما ظهر في الآية الكريمة .

وهذان الرأيان على أساس أن اللفظ مهموز ، وهو الأكثر والأشهر .

وذهب بعض العلماء إلى أنه غير مهموز . .

فترى منهم من قال : إنه مشتق من : قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، وسور القرآن وآياته اقترن بعضها ببعض .

وقال الفراء : هو مشتق من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ، ويشبه بعضها بعضاً ، وهي قرائن أي أشباه ونظائر .

ومن ناحية الاشتقاق لا يختلف هذا الرأي عن سابقه .

ويرى بعض العلماء أنه علم مرتجل فهو وضع من أول الأمر للكتاب العزيز ، ولم يكن له استعمال سابق نقل منه إليه[٢] .

والذي نخلص إليه من مقالات العلماء حول اسم « القرآن » هو أن

---

(١) سورة القيامة/ ١٧، ١٨ .

(٢) راجع : الصحاح للجوهري ، والمعجم الوسيط ص ٢ ص ٧٢٢ ط . القاهرة ، والإتقان للسيوطي ج ١ ص ٥٠ ط. الحلبي والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ٢٣٠ ، وإرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٩ ط القاهرة .

وراءه معنى عظيماً وسمة واضحة من سمات الكتاب الحق ، غابت عمن أوغلوا في التصور ، واشتطوا في التخريج وذلك أن من خصائص هذا الكتاب أنه يقـرأ ، فقراءته عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله ، وقراءة آيات منه جزء من عبادة الصلاة ، وتلاوته وتدبره منهج إسلامي للأفراد والجماعات على السواء ، فهو قد تميز عن الكتب السابقة بأنه محفوظ الصدور ، مثبت في السطور ، تردده الألسن كل حين .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز :

« روعى في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن ، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدوناً بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه ، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً (أن تضل إحـداهما فتـذكر إحـداهما الأخرى)[1] فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من المنقول إلينا جيلاً بعد جيل ، على الهيئة التي وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحافظ بالإسناد الصحيح المتواتر »[2] .

هذا المغزى الكبير وراء اسم القراءات ، والإيحاءات الصادقة له ، وأما ما أشير إليه من معان أخرى من نحو جمع السور ، وضم الآيات فهي في المتناول ، ولا تدل على سمة مميزة .

وبجانب هذه السمة المفهومة من لفظ القرآن وهو أنه كتاب من

---

(١) ساق هذه الآية متمثلاً بها ، ليشير إلى أن طريق الحفظ يساند الكتابة ، والعكس صحيح أيضاً .

(٢) راجع كتاب النبأ العظيم ص ١٢ ، ١٣ دار العلم الكويت .

شأنه أن يقرأ ويتلى ، حتى إن القرآن علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بثلاثة أشياء جاءت في آية النمل التي ذكرناها آنفاً وهي :

أ ـ أن يعبد رب البلد الحرام ٢ ـ أن يكون من المسلمين ٣ ـ أن يتلو القرآن .

وفي هذا بيان أي بيان

وثمت سمة أخرى :

هو للإنس والجن جمياً ؛ لأنه كتاب الرسالة الشاملة الخاتمة (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) ﴿ قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدى إلى الرشد فآمنا به ﴾ .

وأنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها ، فهو ناسخ لكل حكم فيها يخالفه .

وأنه الآية على الرسالة الخاتمة ، ولذلك ضم كل عناصر البقاء ، وما من يوم يمر إلا ويظهر جديد يشهد بقدره ، وعلو شأنه ، فلا تنتهي عجائبه .

ومن هنا تكفل رب العالمين بحفظه ؟ إذ قال عز من قائل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[1] .

وقد يسر الله تبارك وتعالى لهذا الكتاب من وسائل الحفظ وأسبابه ، مما نذكر هنا بعضه دلالة على تحقق الوعد ، واستمراره .

١ ـ منها أنه ﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ﴾[٤] .

---

(١) سورة الحجر/ ٩ .

فالروح نزل به على قلب النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، فلم تكن هناك فرصة للنسيان ؛ لأن النسيان أو السهو يعرض لمن يتلقى شيئاً في المرحلة الأولى من مراحل التلقي ، فإذا وصل القلب وثبت فلا سبيل لنسيانه ، وهذا أمر اختص الله به نبيه حفاظاً على الكتاب الخاتم .

ولأجل هذا عندما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يردد العبارة القرآنية أثناء التلقي قال له ربه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ كما قال له : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ .

٢ ـ عندما كانت تنزل الآيات من الكتاب العزيز ، ويتلقاها الرسول عليه الصلاة والسلام يعلمها لأصحابه فيحفظونها ثم يتجهون للعمل بها ، والعمل من أقوى العوامل للحفظ ، ويأمر كتاب الوحي ، وهم كثر ، وعلى رأسهم زيد بن ثابت فيكتبونها على العظام والأحجار وسعف النخل وإمعاناً في المحافظة نهى النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الفترة عن تدوين شيء غير القرآن . وقال : لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج »[١] .

٣ ـ تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن من عند ربه بكل صور الأداء التي تستبقي معانيه ، وتحافظ على أهدافه ورسالته ، وتيسر لكل القبائل على اختلاف لغاتها تلاوته وروى الصحابة عن النبي هذه القراءات ورددوها ، حتى إذا اختلفوا رجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم واستمع منهم فيقول : « كذلك أنزلت » .

فهذه القراءات المروية بالتواتر سبب من أسباب الحفظ ؛ إذ لو كان على حرف واحد وترك للألسنة المختلفة تعانيه قد يدفعها ذلك الى التحريف والتغيير ، فكانت القراءات المتواترة محققة للصيانة والحفظ .

---

(١) رواه البخاري .

٤ ـ بعد أن تولى أبو بكر خلافة المسلمين ، واضطر إلى محاربة المرتدين ومانعي الزكاة ، واستشهد في هذه المعارك جمهرة من حفاظ القرآن وقرائه الذين وعت صدورهم الكتاب العزيز أشار عمر رضي الله عنه على الصديق بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يضيع شيء منه بموت القراء فأبى عليه أبو بكر الذي اتخذ لنفسه منهج الاتباع للنبي الكريم ، ورأى أول الأمر في ذلك العمل بدعة لم يعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما زال به عمر حتى استبان للصديق أن هذا العمل هو من صميم منهج الاتباع ؛ لأنه يهدف إلى الحفاظ على دستور الأمة ، وكتابها الحق ، ولنترك زيد بن ثابت يكمل القصة وقد أرسل إليه أبو بكر ، فقال له : إنك رجل ، شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان أثقل على من الذي أمرني به من جمع القرآن ، أجمع من الرقاع واللخاف ، والعسف ، وصدور الرجال حتى وجدت سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حتى خاتمة السورة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حياته ، حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنة عمر »[1] .

ولا شك أن جهود الحفاظ والكتاب توافرت مع زيد الذي رأس هذا العمل حتى تم هذا الإنجاز العظيم على طريق الحفاظ على الكتاب العزيز .

٥ ـ الجمع الثاني ، وكتابه المصحف العثماني ، المعروف بالمصحف الإمام ، ونسخت منه عدة نسخ وزعت على الأمصار وأحرق

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٧ دار المعرفة بيروت .

ما عداها لتنضبط عملية القراءة على نهج سوي تم بإجماع الصحابة ، وبمشورة حذيفة بن اليمان على عثمان رضي الله عنه ، كما سنفصل ذلك بعد .

وكان هذا العمل أيضاً مرحلة أخرى للحفاظ على القرآن يسر الله له الصحابي الجليل عثمان وإخوانه من قراء الصحابة وحفاظهم ، ونال شرف انتساب المصحف إليه .

٦ ـ وضع النحو في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمعرفة أبي الأسود الدؤلي ، وكان هذا العمل يهدف الى صيانة الكتاب العزيز وحفظه بالحفاظ على اللسان الذي نزل به .

٧ ـ اتجاه بعض النحاة القرء من تلامذة أبي الأسود إلى نقط المصحف لإزالة الإعجام بعد تفشي اللحن ، واحتمال أن يستعصي فهمه على بعض هؤلاء الذين استعجموا ، وهؤلاء التلاميذ نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وعبد الرحمن بن هرمز ، وعنبسة الفيل « نقطوا المصحف ، وأخذ عنهم النقط ، وحُفِظ ، وضبط ، وقيد ، وعمل به ، واتبع فيه سنتهم ، واقتدى فيه بمذاهبهم »[١] .

وقد ذكرت المراجع أن هذا الأمر تم بمشورة الحجاج ورأيه . فإذا وضعنا بجانب هذا صنيع أبي الأسود في وضع نقط الإعراب ، وتخيره كاتباً فطناً يراقب حركة شفتيه ، ويضبط كلمات المصحف على هذا النحو رفعاً ونصباً وجراً وجزماً[٢] تبين لنا أنهم بهذا العمل الخطير قد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه ، مما جعل بعض القدماء

(١) المحكم في نقط المصاحف للداني ص ٦ ، والتصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ص ١٠ .

(٢) راجع المحكم للداني في نقط المصاحف (طبع دمشق) ص ٢ وما بعدها .

يظنون أنهم وضعوا قواعد الإعراب أو أطرافاً منها وهم إنما رسموا في دقة نقط الإعراب لا قواعده ، كما رسموا نقط الحروف المعجمة[1] .

٨ ـ وظلت الجهود في الحفاظ على القرآن الكريم قائمة على قدم وساق ، ولأجل هذا الهدف الأسمى ، وضع ما وضع من قواعد اللغة العربية نحواً وصرفاً ، وبلاغة ، وفقه لغة ، وتدوين شعر ونحو هذا ، كما اتجه العلماء للتدوين في القراءات ، وضبطها نظراً لكثرتها وتعددها ؛ إذ وضع أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى **٢٢٤** هـ كتاب القراءات ، جمع فيه قراءة خمسة وعشرين قارئاً ، ومما يدل على قيمة هذا العمل قول ابن الجزري : لما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق ، وقل الضبط ، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في هذا العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات[2] .

وزاد الأمر دقة وتحديداً هذا الصنيع العظيم الذي صنعه ابن مجاهد بعد ذلك عندما تخير السبعة القراء ، الذين ارتضيت إمامتهم في الأمصار الإسلامية ومن بعده عرف اسم السبعة .

يقول الدكتور شوقي ضيف : والحق أن ابن مجاهد ـ نضر الله وجهه ـ أدى للأمة عملاً باهراً باختيار هؤلاء السبعة ؟ إذ كانت قد أدت كثرة الروايات في القراءات إلى ضرب من الاضطراب عند طائفة من القراء غير المتقنين . .[3] .

وكل جهد بذل ويبذل من أجل كتاب الله تعالى هو في حقيقته توفير للحفظ الذي وعد به رب العالمين ، ووعده الحق .

---

(١) راجع مقدمة المدارس النحوية . د . توفي ضيف ص ١٧ .
(٢) النشر ج ٢ ص ٣٤ ط. القاهرة .
(٣) السبعة لابن مجاهد ـ المقدمة ص ٣٤ دار المعارف بمصر .

وهذا العمل الذي نعمله ما هو إلا لبنة متواضعة في طريق الغاية العظيمة . .

وبعد أن استبانت بعض المعارف الأساسية عن الكتـاب العـزيز ، نستطيع بعدها أن ندخل الى فصول الكتاب ومباحثه ، راجين من الله التوفيق والسداد .

الباب الأول

القراءات والقراء

يشتمل على ثلاثة فصول

١ ـ مفاهيم أساسية .
٢ ـ القراءات المقبولة والشاذة .
٣ ـ القراء .

الفصل الأول

مفاهيم أساسية

- تعريف القراءات .
- أساس اختلاف القراءات .
- القراءة والرواية .
- نشأة علوم القراءات وبداية نزولها .
- مكانة علم القراءات .

تعريف القراءات

القراءات : جمع قراءة ، وهي مصدر قرأ ، وهي الجمع والضم ، يقال : ما قرأت الناقة جنيناً أي لم تضم رحمها على ولد ، قال أبو عبيدة : سمي القرآن ؛ لأنه يجمع السور، فيضمها ، وقوله تعالى : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أي جمعه وقراءته[1] .

والقارىء لكل مكتوب من شأنه أن يضم أصوات الحروف في ذهنه لتتكون الكلمات التي ينطق بها وفي اصطلاح القراء : القراءات وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية ، أو التصريفية ، أو النحوية واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقص ، لأن التناقص والتضارب يتنزه عنهما الكتاب العزيز ، وقد قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[2] ولأن التناقض في القول دليل بطلانه ، وقد قال رب العالمين : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم

(١) الصحاح للجوهري (مادة قرأ) .
(٢) النساء/ ٨٢ .

حميد ﴾[1] والتناقص لا يجتمع مع الإبانة والوضوح ، وقد وصف الله كتابه فقال: ﴿ بلسان عربي مبين﴾[2].

وهذا الاختلاف ينحصر في وجوه ثلاثة :

أولها : اختلاف اللفظ والمعنى واحد .

مثالها : كلمة (الصراط) تقرأ بالصاد والسين[3] ، والإشهام ، وكلمة (عليهم)[4] بكسر الهاء وضمها .

ثانيها : اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد .

مثالها : (مالك[5]ـ ملك) في الفاتحة ، فبرغم أن الملك يزيد عن المالك معنى السلطة إلا أن المراد بهما واحد وهو الله تعالى . ومثل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كيف ننشزها ـ ننشرها ﴾[6] بالراء والزاي ؛ لأن المراد بهما العظام ؛ لأن الله تعالى أنشرها أي أحياها ، وأنشزها = أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت ، فيجتمع المعنيان في القراءتين أخيراً في معنى واحد .

ثالثها : اختلافهما في اللفظ والمعنى ، وامتناع اجتماعهما في شيء واحد جوازاً ، بل يتفقان من وجه آخر يساير المعنى العام وينتفي معه التضاد .

---

(١) فصلت/ ٤٣ .

(٢) اشعراء/ ١٩٥ .

(٣) قـرأ بالسين قنبل عن ابن كثير ـ الكشف ج ١ ص ٣٤ .

(٤) قرأ بضم الهاء حمزة ووافقه يعقوب ـ راجع الكشف ج ١ ص ٣٥ .

(٥) قرأ (مـلك) بغير ألف جماعة من الصحابة وغيرهم ، منهم أبو الدرداء ، وابن عباس ، وابن عمر ، ومروان بن الحكم ومجاهد ، المرجع السابق ص ٢٧ .

(٦) قـرأهـا الكوفيون وابن عامر بالزاي ، وقرأها الباقون بالراء ـ الكشف ج ١ ص ٣١ .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو يُطْعِم ولا يطعَم ﴾[1] بالبناء للمعلوم ثم المجهول ، وقرىء بعكس هذه القراءة المشهورة (وهو يطعَم ولا يطعِم) بالبناء للمجهول ، ثم المعلوم في قراءة شاذة .

والوجه الذي تتفق فيه القراءتان هو أن الضمير في القراءة المشهورة يعود على الله ، وفي القراءة الأخرى يعود على الولي : والمعنى العام للآية ينسجم مع القراءتين جميعاً[2] .

أساس اختلاف القراءات

لا يقوم اختلاف القراءات على اجتهاد الأشخاص ، ووجهات أنظارهم ، أو على أساس قياس يراعي القوم قواعده ، وإنما القراءة سنة متبعة ، تقوم على سند متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر العلماء للقراءة الصحيحة أركاناً ثلاثة :

١ ـ صحة سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .
٢ ـ موافقتها لرسم المصحف .
٣ ـ موافقتها وجهاً من وجوه العربية .

يقول ابن الجزري عن القراءة التي استوفت الأركان الثلاثة : لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها

---

(١) النشر ج ١ ص ١١٢ .
(٢) النشر ج١ من ص ١١١ إلى ص ١١٣ بتصرف .
(٣) ذكر مكي بدل هذا الشرط : اجتماع العامة ، ثم قال : والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ، فذلك عندهم حجة قوية فوجب الاختيار ، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين ، وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع ، وعاصم فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات ، الإبانة ص ٨٩ .

القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة ، أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف[١] .

القراءة والرواية ، والطريق

يقال : قراءة فلان إذا نسبت لأحد القراء السبعة أو العشرة ، أو غيرهم ممن تتوافر لقراءتهم شروط القبول التي ذكرناها كأن يقال : قراءة نافع ، أو قراءة ابن كثير ، أو قراءة حمزة وهكذا ، أو ممن لا تتوافر فيهم الشروط كأصحاب القراءات الشواذ .

وأما الرواية : فهي التي تنسب لأحد الرواة عن القارىء كأن يقال رواية حفص عن عاصم أو رواية قالون عن نافع ، أو رواية البزي عن ابن كثير[٢] ولا تلزم في الرواية المعاصرة للقارىء والطريق .

والطريق : يطلق على ما ينسب للآخذ عن الراوي ولو سفل[٣] .

---

(١) النشر ج ١ ص ٥٤ .

(٢) فقد يكون الإنسان راوياً لقارىء ، وقد يكون هو صاحب قراءة عرف بها وتنسب إليه وله رواته أيضاً مثل خلف العاشر هو أحد رواة حمزة ، وفي الوقت نفسه هو أحد القراء العشرة ومن رواته : إسحاق بن ابراهيم المروزي ، وأبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي .

(٣) اتحاف فضلاء البشر ص ٨٨ وغيث النفع ص ١٤ .

كيف نشأ علم القراءات

منذ تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن من لدن حكيم خبير كان يقرأ ما أنزل عليه لأصحابه والصحابة يلتزمون تلاوة الرسول عليه الصلاة والسلام وأداءه ، وكانت تلاوته بحروف شتى ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من أخذ عنه بحرفين ، ومنهم من زاد على ذلك حتى تفرقوا بعد ذلك في الامصار ، وهم على هذه الحال ، يقرءون القرآن بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحروفه المختلفة .

وأدرك بعض الصحابة شيئاً من هذا الاختلاف ، وسألـوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يجيز ما سمع من قراءات .

من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من أن عمر بن الخطاب لبَّبَ هشام بن حكيم لما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها الرسول لعمر ، فقاده إلى الرسول ، فلما سمع من هشام قال : (كذلك أنزلت) ولما سمعها من عمر ، قال : (كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه »[1] .

وكان تفرق الصحابة في الأمصار إبان الفتوح الإسلامية سبباً في كثرة الاختلاف في وجوه القراءات التي تعددت وكثرت حتى أحس الغُيُر من الصحابة أن هذا الاختلاف في حاجة إلى ضبط فرفعوا الأمر للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكتب مصاحفه التي وزعت على الأمصار ، وأجمع الصحابة على عدم الاعتداد بما سواها ، كما سنفصل ذلك بعد .

---

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢٧ الطبعة الشعبية .

انحصرت وجوه القراءات بعد هذا فيما تواتر موافقاً للرسم العثماني ، إلا أنه ظهرت قراءات لم يتوافر لها السند القوي ، واكتفى أصحابها بموافقة الرسم « فصار أهل البدع والأهواء يقرءون بما لا يحل تلاوته وفاقاً لبدعتهم »[1] فكان لا بد من إجراء آخر تصدى له أهل الخبرة والدراية والبصر بهذا الفن ، وهو اختيار أئمة ثقات من مختلف الأمصار تكون قراءاتهم قدوة لمن سواهم ، وكان رائد هذا الاتجاه ابن مجاهد . . في كتابه « السبعة » .

ثم جاء من أضاف ثلاثة قراء آخرين فصاروا عشرة ، وأصبحوا هم الذين تنتهي إليهم القراءات الصحيحة التي توافرت لها شروط القبول ، وارتضاها الإجماع[2] .

متى بدأ نزول القراءات :

بلا ريب نزل القرآن الكريم بحروفه المتعددة من عند رب العالمين .

وحروف القرآن المتنوعة سببها التيسير على الأمة التي تختلف لغات قبائلها .

وهذا الأمر لم يظهر إلا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخول القبائل المختلفة في رحاب الإسلام .

فهل نزلت الحروف المختلفة في مكة أو المدينة ؟

---

(١) اتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر للدمياطي ص ٦ .

(٢) وهذا لا يعني أن كل قراءة عدا العشرة غير صحيحة ، بل هناك قراءة صحيحة السند ، وخالفت رسم المصحف ولم يعتد بها ، تنفيذاً لاجماع الصحابة على الالتزام بالرسم العثماني .

اتجه بعض الباحثين إلى أن القراءات نزلت بمكة مع بداية نزول القرآن الكريم ، لأن معظم سور القرآن مكي ، وفيها من القراءات ما في السور المدنية[1] .

ويرى آخرون أنها نزلت بالمدينة ؛ لأن سببها وهو التيسير لم تظهر الحاجة إليه إلا في المدينة حيث تعددت قبائل المسلمين .

وقد يستشهد أصحاب هذا الرأي بما رواه مسلم في صحيحه ، وابن جرير الطبري في تفسيره ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند (أضاة بني غفار) فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على حرفين ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على ثلاثة أحرف قال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا »[2] .

فيبدو من هذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام صرح له أن يقرأ بالحروف المختلفة في الفترة المدنية بعد أن دخل في الإسلام قبائل شتى ذات لغات مختلفة ، ولأن الحديث ذكر « أضاة بني غفار » وهي ماء قريب من المدينة[3] .

---

(١) في رحاب القرآن د. محمد سالم محيسن ج ١ ص ٢٣٣ وما بعدها .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٠٣ ط عيسى الحلبي القاهرة .

(٣) التعريف بالقرآن والحديث الدكتور محمد الزفزاف ص ٣٨ ط دار الكتب العلمية بيروت . وهذا الاستشهاد في تقديري غير دقيق ، لأن إضاة بني غفار ـ ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت : موضع على عشرة أميال من مكة ، وهو غدير أو مسيل ماء ، وإن كنت لا أشك في أن الواقعة حدثت بعد الهجرة .

والخلاف في تقديري نظري ؛ لأن القرآن الكريم المكي منه والمدني نزل بحروفه المختلفة التي يسرها الله للذكر ، غير أن الحاجة لم تظهر لاستخدامها في مكة ، وأصبحت ملحة بعد الهجرة والحديث الشريف ليس فيه ما يقطع بأن الحروف تنزل لأول مرة بل كل ما فيه هو الإذن باستخدامها ، ولأن السور المكية فيها الحروف المختلفة التي في السور المدنية ، بدليل أن أول خلاف نشأ بين الصحابة وهو خلاف عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم كان حول سورة الفرقان وهي مكية .

التدوين في علم القراءات

على امتداد القرنين الأول والثاني تعددت القراءات وانتشر القراء في الأمصار الإسلامية ، ثم أحكمت حركة القراءة والإقراء ـ كما بينا ـ في العالم على مرحلتين :

أ ـ مرحلة نسخ المصاحف العثمانية .

ب ـ ثم مرحلة التسبيع التي تعني اختيار أئمة مشهورين يرجع اليهم ، وهي المرحلة التي قادها ابن مجاهد وأصبح الأمر بعد هذا مهيئاً للتدوين في هذا العلم .

وأكبر الظن أن بداية التدوين في القراءات كانت مع القرن الثالث .

ويتجه الباحثون إلى أن أول إمام يعتد به دون في هذا العلم هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى سنة **٢٢٤**هـ ، حيث جمع فيه قراءة خمسة وعشرين قارئاً . قال ابن الجزري : لما كانت المائة الثالثة ، واتسع الخرق ، وقل الضبط ، وكان علم الكتاب . والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر . تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءة ، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب واحد أبو عبيد القاسم بن سلام ،

وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة[1] .

ويذهب حاجي خليفة في كشف الظنون إلى أن أول من نظم كتاباً في القراءات السبع هو : الحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي الضرير ، المتوفى سنة ٣٧٨هـ[2] .

وما ذهب إليه صاحب كشف الظنون بعيد عما قرره المحققون من المؤرخين إلا إذا كان في حسابه أنه يعني أول من دون في القراءات نظماً .

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن أولية التدوين في القراءات ترجع إلى يحيى بن يعمر المتوفى سنة ٩٠هـ[2] .

وفي هذا الاتجاه جانب كبير من المبالغة ، وذلك لأمور .

منها أن القرن الأول لم يكن عصر تأليف في أي فرع من فروع المعرفة ، وإنما كان عصر رواية .

وأنه إذا وجد في أحد المراجع أن يحيى بن يعمر كتب في القراءات فليس معنى هذا أنه دون مؤلفاً يعتد به[4] ، وهذا لا يقدح في مكانته العلمية وإسهامه في خدمة القرآن الكريم .

ونخلص من هذا إلى أن ابن سلام ـ كما قال صاحب النشر ـ أول

---

(١) النشر ج ١ ص ٣٤ ط القاهرة .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ١٣١٧ .

(٣) ذهب إلى هذا الرأي الأستاذ فؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي » . قسم القراءات ج ١ ص ٩ والدكتور عبد الهادي الفضلي القراءات القرآنية ـ تاريخ وتعريف ص ٢٧ .

(٤) ذكر ابن النديم في الفهرست من بين كتب القراءات : كتاب القراءات لأبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة ت ١٥٤هـ والرأي فيه لا يتعدى ما ذكرته في أولية : يحيى بن يعمر .

إمام معتبر جمع القراءات في كتاب .

وقد بلغ عدد ما ألف في القراءات حتى تسبيع ابن مجاهد نحو أربعين مؤلفاً منهم من اقتصر على قراءة واحدة ومنهم من تناول أكثر ومن هذه المؤلفات : كتاب القراءات لخلف بن هشام البزار ، وكتاب القراءات لابن سعدان ، وكتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني ، وكتاب القراءات لثعلب ، وكتاب القراءات لابن قتيبة[1] . .

ثم اتسعت حركة التأليف والتدوين في القراءات

فكتب ابن مجاهد كتابه السبعة ، وله كتاب القراءات الكبير ، وكتاب القراءات[2] الصغير وكتب اسماعيل بن إسحاق المالكي المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً في القراءات سماه (الجامع) جمع فيه عدداً من القراءات[3] .

وممن ألف في القراءات أحمد بن جبير المتوفى سنة ٣٥٨هـ ألف كتاباً ضمنه قراءة أئمة الأمصار الخمسة : مكة والمدينة ، والبصرة ، والكوفة والشام[4] .

ومنهم الإمام محمد بن أحمد الداجوني المتوفى سنة ٣٣٤ ألف كتاباً سماه « القراءات الثمانية » .

جمع فيه قراءات الأئمة السبعة ، وأضاف إليهم قراءة أبي جعفر[5] .

---

(١) راجع الفهرست ص ٥٣ .
(٢) الفهرست ص ٥٣ .
(٣) النشر ج ١ ص ٣٤ .
(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٤٢ .
(٥) غاية النهاية ج ٢ ص ٧٧ .

وعلى هذا النحو تتابع التأليف في القراءات وتكاثر ما بين منظوم ومنثور ، ومطول ومختصر .

كما تنوعت اتجاهاته ، فهناك مؤلفات في القراءات وأسانيدها ، والأصول والفرش .

وهناك مؤلفات في طبقات القراء .

وهناك مؤلفات في الاحتجاج للقراءات سأشير إليها في حديثي عن مكانة علم القراءات ، والعلوم التي تندرج تحته .

ومن أراد أن يتتبع مؤلفات القراءات منذ بدايتها حتى القرون الأخيرة فعليه بالمراجع التالية .

الفهرست لابن النديم .

وفيات الاعيان لابن خلكان .

الوافي بالوفيات للصفدي .

بغية الوعاة للسيوطي .

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ـ للإمام الذهبي ـ ت محمد سيد جاد الحق .

غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري .

من كتب القراءات المطبوعة :

١ ـ الإبانة عن معاني القراءات .

تأليف مكي بن أبي طالب القيسي ت سنة ٤٣٧ ص دار المأمون للتراث دمشق تحقيق د. محي الدين رمضان وهناك طبعة أخرى دار نهضة مصر تحقيق د. عبد الفتاح شلبي .

٢ ـ الإقناع في القراءات لابن الباذش .

نشر مركز البحث العلمي ـ جامعة أم القرى ـ مكة ت د. عبد المجيد قطامش .

٣ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني شرح علي الشاطبية تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ـ الشهير « بأبو شامة » ت سنة ٦٦٥هـ طبع القاهرة .

٤ ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر تأليف أحمد بن محمد الدمياطي .
طبع مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة .

٥ ـ تحبير التيسير في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ـ تأليف الإمام محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة ٨٣٢هـ طبع القاهرة .

٦ ـ التيسير في القراءات السبع ـ تأليف الإمام أبي عمرو الداني المتوفى ٤٤٤هـ طبع استانبول سنة ١٩٣٠م .

٧ ـ الحجة في القراءات السبع تأليف الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ طبع دمشق .

٨ ـ الحجة في علل القراءات السبع تأليف الحسن بن أحمد ، الشهير بأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧هـ ـ الهيئة القومية للكتاب ـ صدر منه جزءان .

٩ ـ حجة القراءات للإمام أبي زرعة ت سعيد الأفغاني الطبعة الأولى ـ جامعة بنغازي ١٩٧٤ .

١٠ ـ سراج القارىء المبتدي وتذكرة القارىء المنتهي ـ شرح علي الشاطبية .
تأليف أبي القاسم علي بن عثمان الشهير بابن القاصح المتوفى سنة ٨٠١ ـ طبع القاهرة .

١١ ـ طيبة النشر في القراءات العشر ـ نظم ـ تأليف الإمام ابن الجزري طبع القاهرة .

١٢ ـ غيث النفع في القراءات السبع ـ تأليف الشيخ علي النوري الصفاقسي (طبع بالقاهرة على هامش سراج القارىء)

١٣ ـ كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٢٤هـ ط دار المعارف تحقيق شوقي ضيف .

١٤ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ـ تأليف الإمام مكي بن أبي طالب القيسي ت سنة ٤٣٧هـ . ط دمشق تحقيق د. محي رمضان .

١٥ ـ كنز المعاني في شرح حرز الأماني تأليف الإمام محمد بن أحمد ، الشهير بشعلة ـ المتوفى سنة ٦٥٦هـ طبع القاهرة .

١٦ ـ حرز الأماني ووجه التهاني نظم في القراءات السبع للإمام الشاطبي المتوفى سنة ٥٤٨هـ طبع القاهرة .

١٧ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات تأليف أبي الفتح ابن جني ٣٩٢هـ نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة .

١٨ ـ مختصر شواذ القراءات تأليف الإمام ابن خالويه طبع بالقاهرة .

١٩ ـ النشر في القراءات العشر ـ تأليف الإمام ابن الجزري ـ القاهرة .

٢٠ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني ت عبد الصبور شاهين ، والشيخ عامر السيد عثمان ط القاهرة .

٢١ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ط الحلبي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ .

هذه طائفة من أشهر كتب التراث التي أخرجتها المطابع في ميدان القراءات وللباحثين المعاصرين بحوث ودراسات جيدة تتصل بالقراءات في ميادينها المختلفة وهي في متناول الباحث ، وقد وعتها فهارس دور النشر ، والمكتبات العامة .

مكانة علم القراءات

هو من العلوم الجليلة القدر ، العظيمة الشأن ؛ لأنه يدور حول رواية الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقرآن الكريم رأس العلوم والمعارف الإسلامية ، والمصدر الأول للتشريع فهو دستور الأمة ، ومنارها ، كما أنه نورها وهداها .

وقد أسلفنا الكلام حول الجهود التي بذلت ، ويسرها رب العالمين من أجل الحفاظ عليه وصيانته من عبث العابثين وتحريف المحرفين مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ومن هنا فهذا العلم العظيم وعى عدداً من العلوم النافعة .

أولها : علم القراء ، وهو يتناول الترجمة لمن تصدوا للقراءة ، وكانوا مرجعاً لغيرهم ، وتتلمذ عليهم سواهم منذ عصر الصحابة حتى القرن العاشر الهجري . وهذا العلم يتوفر على دراسة أسانيد كل قراءة وتواترها ، والرواة الذين نقلوا هذه القراءة عن القارىء الذي عرف بها ونسبت إليه .

ثانيها : علم رسم المصحف : ويتناول الصورة الخطية التي

ارتضاها عثمان رضي الله عنه ، وكتب بها المصاحف التي وزعت على الأمصار الإسلامية ، وكانت خالية من النقط والشكل ، وأمر أهل كل مصر أن يقيموا مصحفهم على المصحف المبعوث إليهم[١] فأصبحت قراءة كل قطر تابعة لرسم مصحفهم[٢] .

فكان هذا الرسم ضابطاً للقراءات جميعاً ، كما عدت موافقته أساساً من أسس قبولها ، لا سيما وأن من كتبوا المصاحف لعثمان كانوا من خيرة الصحابة ، وخيرة القراء الحفاظ . وأصبحت دراستنا لعلم رسم المصحف وسيلة من الوسائل المعينة على إدراك أبعاد هذا العلم العظيم .

ثالثها : علم توجيه القراءات والاحتجاج لها : توفر على الاحتجاج النحوي والصرفي واللغوي للقراءات عدد كبير من العلماء منذ أوائل القرن الرابع الهجري . على أنه في القرن الثاني والثالث استشهد النحويون بالقراءات خلال عرضهم للمسائل النحوية ، ومن الجائز أن يكون هناك كتب ألفت في الاحتجاج للقراءات لكن لم تصل إلينا .

أما أول من ألف في الاحتجاج فهو أبو بكر بن السراج (٣١٦) ذكر ابن النديم في الفهرست أن له كتاب (احتجاج القراءة)[٣] .

كما ذكر أن القاريء النحوي أبا طاهر عبد الواحد البزار (**٣٤٩**) له كتاب : الفصل بين أبي عمرو والكسائي[٤] .

---

(١) فضائل القرآن الكريم لابن كثير ص **٢٩** .

(٢) غيث النفع للصفاقسي ص **١١٤** .

(٣) راجع الفهرست ص **٤٩** ، وبغية الوعاة ج **١** ص **٤٤** ، وذكر ابن النديم أن أبا محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه المتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ألف كتاباً في : الاحتجاج للقراء (راجع الفهرست ص **٥٣** ، ص **٩٤** .

(٤) الفهرست ص **٤٩** .

غير أننا لا نقطع بأن هذا الكتاب في الاحتجاج غير أننا نظن ظناً قوياً أن الرجل في مقام الفصل والموازنة لا بد أن يكون النحو وسيلة من وسائله لا سيما وأنه قارىء ونحوي .

ومنهم محمد بن الحسن الأنصاري (٣٥١هـ) ألف كتاب السبعة بعللها .

ومنهم أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار (٣٦٢) أحد قراء دار السلام ، ذكر له ابن النديم عدداً من الكتب في اللغة والنحو والقراءات ومنها (احتجاج القراءات) وذلك بعد وفاة ابن مجاهد واشتهار تسبيعه .

ثم ألف أبو علي الفارسي (٣٧٧) كتابه المشهور : (الحجة في علل القراءات السبع) . ويرى صاحب كشف الظنون أن هذا الكتاب شرح لكتاب القراءات السبع لابن مجاهد[1] .

ومنها كتاب الحجة لابن خالويه (٣٧٠) هـ وهو مطبوع ومحقق . وقد تشكك في نسبته بعض الباحثين .

ثم ألف مكي ابن أبي طالب (٤٣٧هـ) كتابه الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها .

٤ ـ علم القراءات :

ويتناول الأصول المطردة في القراءات من الوقف والابتداء ، والإمالة والفتح والهمز والتسهيل ، والتفخيم والترفيق ونحوها . والفرش ، ويتناول القراءات غير المطردة ، والتي تناقلتها الروايات بأسانيدها الصحيحة .

---

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٤٤٨ .

والمتأمل فيما دون القدماء من مؤلفات في علوم القراءات يجد منها ما يتحدث في هذه الجوانب كلها ، ومنها ما هو مقصور على جانب معين منها .

فمثلاً كتاب « النشر » لابن الجزري تناول هذه العلوم كلها .

ومنها ما هو مقصور على جانب معين .

مثل كتب الاحتجاج للقراءات كالحجة والكشف ونحوهما .

ومثل غاية النهاية خصصه ابن الجزري لطبقات القراء .

وهناك كتب ألفت في المصاحف واختلافها[1] .

٥ ـ وهناك علم آخر يدخل في دائرة علوم القراءات وهو علم التجويد .

وهو يتوفر على دراسة أصول الأداء القرآني من مخارج الحروف وصفاتها ، وأحكام النون الساكنة والتنوين ، وأحكام الميم الساكنة ، وأحكام المد .

وموضوعاته هذه قد تأتي تبعاً لموضوعات أخرى في القراءات ، شأن الفروع السابقة ، وأحياناً يفرد لها مؤلفات خاصة ، وسنشير لذلك عند حديثنا عن ترتيل القرآن الكريم .

---

(١) راجع الفهرست ص ٥٤ .

الفصل الثاني

القراءات المقبولة والشّاذة

القراءة المقبولة والمردودة

وضع علماء القراءات ضوابط بالغة الدقة للفصل بين قراءة مقبولة وأخرى مردودة بحيث إذا توافرت هذه الضوابط في قراءة حكمنا ـ ونحن مطمئنون ـ بصحتها وأنها قرآن يتلى ويصلى به، وإذا لم تتوافر هذه الضوابط كان لهم منها موقف آخر يعطون فيه هذه القراءة ما تستحقه من حكم ، وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج .

ومن الأمور المعروفة في تاريخ القراءات أنها تعددت وكثرت قبل المصحف العثماني، كما تعددت وكثرت بعد نسخ المصحف العثماني وفي ظلال ما يحتمله الرسم برغم أن المصحف العثماني من ناحية أخرى ، وكما سنعلم ذلك في موطن آخر ضبط عملية الإقراء إلى مدى بعيد .

ومن هنا جاء اختلاف الأئمة السبعة والعشرة في ظلال الرسم العثماني .

قال نافع : قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته ، وما شك فيه واحد تركته حتى اتبعت هذه القراءة .

وقد قرأ الكسائي على حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاثمائة حرف ؛ لأنه قرأ على غيره فاختار من قراءة حمزة ، ومن قراءة غيره قراءة وترك منها كثيراً .

وكذلك أبو عمرو قرأ على ابن كثير وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف ؛ لأنه قرأ على غيره ، واختار من قراءته ، ومن قراءة غيره قراءة[1] .

ضوابط القراءة المقبولة :

١ ـ أن ينقلها الثقات عن النبي صلى اللّه عليه وسلم .
٢ ـ أن يكون لها وجه شائع في العربية التي نزل به القرآن الكريم[2] .
٣ ـ أن تكون موافقة لخط المصحف[3] .

وقد تناول ابن الجزري هذه الشروط في منظومته فقال :

فكل ما وافق وجه نحوى — وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصح إسنادا هو القرآن — فهذه الثلاثة الأركان[4]

الشرط الأول : السند المتواتر :

يرى جمهور العلماء من الأصوليين ، وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدثين ، والقراء أن شرط القراءة الصحيحة هو التواتر ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر .

---

(١) الإبانة، ص ٥٠ .
(٢) اشترط شيوع الوجه في العربية مكي .
(٣) رجع الإبانة ص ٥١ وانظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص ٩١ ، والاتقان للسيوطي ١/ ١٢٩ ط. القاهرة ، وغيث النفع للصفاقسي بهامش سراج القاري ص ٧١٦ ط. القاهرة .
(٤) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٣ ط الحلبي بالقاهرة .

والقراءة التي تكتب بسند غير متواتر لا تسمى قرآناً ولا يقرأ بها ؛ لأن من تعريف العلماء للقرآن قولهم : « المنقول إلينا بالتواتر »[1] .

والتواتر : هو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه[2] .

يقول النويري : عدم اشتراط التواتر قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين ، وغيرهم لأن القرآن - عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً ، وكل من قال بهذا الحد اشترط التواتر ، كما قال ابن الحاجب ، وحينئذ فلا بد من التواتر عند الأئمة الأربعة صرح بذلك جماعات كابن عبد البر ، وابن عطية ، والنووي ، والزركشي ، والسبكي ، والأسنوي ، والأذرعي ، وعلى ذلك أجمع القراء ، ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي ، وتبعه بعضهم[3] .

ومن عبارة النويري التي نقلها الدمياطي ما يفيد أن بعض القراء المتأخرين ومنهم مكي ومن تبعه لا يشترطون التواتر مثل ابن الجزري .

وفي تقديري أن نسبة هذا القول لمكي ، وعدِّه من المتأخرين حكم غير دقيق .

وكذلك الأمر بالنسبة لابن الجزري الذي هو من المتأخرين فعلاً توفي ٨٣٣هـ .

أما مكي فقد عاش النصف الثاني من القرن الرابع ، وأدرك الثلث الأول من القرن الخامس (٣٥٥ - ٤٣٧) وهو أبعد ما يكون عما نسب إليه لأمور :

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٩ .
(٢) الكفاية في علم الرواية للبغدادي ص ٥٠ .
(٣) اتحاف فضلاء البشر ص ٦ .

أولها : أنه في وصف القراءة المقبولة قال : « أن ينقل عن الثقات »[1] ولفظ الجمع هنا كاف في الدلالة على قصد التواتر .

ثانيها : أنه قسم ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام :

قسم يقرأ به ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال ، وذكر الشروط الثلاثة التي أسلفناها .

والقسم الثاني : ما صح نقله في الآحاد ، وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين[2] :

إحداهما : أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد .

والثانية : أنه مخالف لما أجمع عليه ، فلا يقطع على مغيبه وصحته .

والقسم الثالث : ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية[3] ، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف[4] من خلال هذا التقسيم نرى مكياً لا يأخذ القرآن بخبر الآحاد ، وهو إن قبل القراءة يمنع القراءة بها .

ثالثها : أنه ثبت عن مكي قوله : وما خالف خط المصحف أيضاً

---

(١) الإبـانة ص ٥١ .

(٢) من شواهد هذا النوع قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ غير المغضوب عليهم وغير الضالين ﴾ رواها اسماعيل القاضي في كتابه : القراءات راجع الإبانة ص ٥٤ .

(٣) مثال ما نقله غير ثقة . (وكذلك ننجيك ببدنك) يونس/ ٩٢ قرأ ابن ، وأبو السيل نحنيك) ومثال ما نقله ثقة ، ولا وجه له في العربية ووافق خط المصحف (فتوبوا إلى بارئكم - إن الله يأمركم) بالإسكان لهمزة (بارئكم) - وراء (يأمركم) النشر ج ١ ص ١٠ .

(٤) الإبانة ص ٥١ ، ٥٢ .

هو من السبعة إذا صحت روايته ووجهه في العربية ، ولم يضاد معنى خط المصحف ، لكن لا يقرأ به ، إذ لا يأتي إلا بخبر الآحاد ولا يثبت قرآن بخبر الآحاد ، وإذ هو مخالف للمصحف المجمع عليه ، فهذا الذي نقول به ونعتقده ، وقد بيناه كله[١] .

تشير هذه العبارة بوضوح إلى وجهة مكي في هذه الناحية ، وأنه لا يعتد بالقراءة إلا بسند متواتر .

وبناء على هذا فإن عبارته التي تقول : القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وساغ وجهها في العربية ، ووافقت خط المصحف »[٢] لا تعنى أنه لا يقول بشرط التواتر .

وأما ابن الجزري :

فنسب إليه أنه لا يقول بناء على نظمه في الطيبة ، وعبارته وإن لم تشر للتواتر لكنها لم تنص على أنه غير شرط ، وظروف الناظم تختلف عن ظروف الذي يدون العلم نثراً ، حيث يتحرى العبارة الدقيقة بعيداً عن قيود النظم والقافية . على أن عبارته في كتابه منجد المقرئين ترفع الإيهام والإتهام ، إذ اشترط التواتر في قبول القراءة الصحيحة[٣] .

الشرط الثاني :

أن يكون للقراءة وجه شائع في العربية .

بمعنى أن توافق وجها مشهوراً ، ومعتداً به ، مما قاله النحاة سواء أكان هو الوجه الأصح أم الصحيح ؛ لأن القراءة متى ثبتت بالسند المتواتر وموافقه رسم المصحف فلا ينبغي أن ترد ، بل تصبح هي حجة

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٢) الإبانة ص ٣٩ ط دمشق .

(٣) راجع منجد المقرئين ص ٩١ ـ تحقيق د. عبد الحي فرماوي .

على قواعد النحو لا أن تكون قواعد النحو حجة عليها . وقد أحسن الكوفيون باحتجاجهم بقراءات حمزة (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ) بجر الأرحام على أنه يجوز العطف على المجرور دون إعادة الجار ، والبصريون المعارضون لهذا يقولون : ان الأرحام جرت على القسم تعظيماً لها ، وحثاً على صلتها(١) .

فالقراءة سنة متبعة(٢) ، كما روى عن زيد بن ثابت .

وقد فسر البيهقي هذه العبارة بقوله : أراد ـ أي زيد بن ثابت ـ أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة ، لا يجوز مخالفة خط المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة »(٣) .

وقال أبو عمرو الداني : وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت من الأثر ، والأصح في النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها » .

وبرغم ما أكده القراء مما يفيد أن شرط الموافقة لوجه في العربية أي وجه هو لمجرد الاستئناس ومزيد من الاستيثاق ولا ترد القراءة لأجله فإننا نرى مكياً يخالف هؤلاء في أمرين :

أولهما : اشتراطه موافقة القراءة لوجه شائع في العربية .

والآخر : أنه يرد القراءة التي لا توافق وجهاً في العربية وإن وافقت خط المصحف ، ونقلها ثقة(٤) .

---

(١) اتحاف فضلاء البشر، ص ٧٥ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه .

(٣) راجع مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٧٧ .

(٤) راجع الإبانة ص ٥١ ، ص ٥٢ .

الشرط الثالث : موافقة خط المصحف :

هذا الشرط يكاد يجمع عليه القراء ؛ لأنهم يرون أن مصاحف عثمان تمت بإجماع الصحابة الذين قرروا إحراق ما عداها ، ومن هنا كان الأخذ بأي قراءة مخالفة يعني مخالفة هذا الإجماع .

نقل مكي عن اسماعيل القاضي[1] قوله : فإذا اختار الإنسان أن يقرأ ببعض القراءات التي رويت مما يخالف خط المصحف صار إلى أن يأخذ القراءة برواية واحد عن واحد ، وترك ما تلقته الجماعة عن الجماعة ، والذين هم حجة على الناس كلهم »[2] .

ويعني بترك ما تلقته الجماعة مخالفة رسم المصحف .

ثم ينتهي مكي إلى رأي استخلصه من كلام اسماعيل حول القراءات المخالفة لرسم المصحف فيقول : فهذا كله من قول اسماعيل يدل على أن القراءات التي وافقت خط المصحف هي من السبعة الأحرف كما ذكرنا ، وما خالف خط المصحف أيضاً هو من السبعة إذا صحت روايته ووجهه في العربية ، ولم يضاد معنى خط المصحف ، لكن لا يقرأ به ؛ إذ لا يأتي إلا بخبر الآحاد »[3] .

فالمخالفة لرسم المصحف ، وإن كانت الرواية صحيحة . تعنى أنها فقدت التواتر ، وأنها ليست بقرآن فلا يقرأ بها .

---

(١) هو اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد القاضي ، أبو إسحاق الأزدي بغدادي مشهور ولد سنة ١٩٩هـ. وروى القراءة عن قالون ، وصنف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة نحو عشرين إماماً وروى القراءة عنه ابن مجاهد ، وابن الأنباري ، توفي فجأة وقت العشاء ، من ذي الحجة سنة ٢٨٢ ببغداد (طبقات القراء ـ ١/ ١٦٠ .

(٢) الإبانة ص ٥٥ نقلاً عن كتاب القراءات لاسماعيل القاضي .

(٣) الإبانة ص ٥٦ .

القراءات من حيث السند :

استبان لنا مما سبق أن التواتر شرط في قبول القراءة ؛ لأن القراءة المقبولة الصحيحة قرآن ، ولا يثبت القرآن إلا بالتواتر وقد قسم العلماء القراءات ثلاثة أقسام :

قسم متفق على تواتره ، ولا خلاف عليه بين العلماء ، وهو قراءات الأئمة السبعة .

وقسم مختلف فيه ، والصحيح المشهور أنه متواتر ، وهو قراءات الأئمة الثلاثة : أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف العاشر .

وقسم متفق على شذوذه ، وهو ما زاد على العشرة[(١)] .

قال القرطبي : وقد أجمع المسلمون في جميع الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ، ورأوه من القراءات - يعني الأئمة العشرة - وكتبوا في ذلك مصنفات ، واستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب ، وعلى هذا الأئمة المتقدمون ، والفضلاء المحققون كابن جرير الطبري ، والقاضي أبي بكر بن الطيب وغيرهما» [(٢)] .

ويذكر علامة القراءات ابن الجزري فتوى وجهت إلى الإمام المحقق عبد الوهاب بن السبكي الشافعي .

وهذا هو السؤال : ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في القراءات العشر التي يقرأ بها اليوم ، هل هي متواترة أو غير متواترة ؟ وهل كل ما انفرد به واحد من العشرة بحرف من الحروف متواتر أم لا ؟ وإذا كانت متواترة ، فما يجب على من جحدها أو حرف منها؟

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ، ص ٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٦ ط . دار الكتب المصرية .

يقول ابن الجزري - وهو الذي وجه السؤال للسبكي - فأجابني ، ومن خطه نقلت : الحمد لله ، القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي ، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة ، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكابر في ذلك إلا جاهل ، وليس تواتر شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات بل هي متواتره عند كل مسلم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولو كان مع ذلك عامياً جلفا ، لا يحفظ من القرآن حرفاً . ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه ، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين اللّه تعالى ، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر ، معلوم باليقين ، لا يتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه ، والله أعلم . كتبه عبد الوهاب ابن السبكي الشافعي[1] .

الاختيار في القراءات

إسناد كل حرف من حروف القراءة إلى صاحبه من الصحابة فمن بعدهم يعني أنه كان أضبط لهذا الحرف ، وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له وميلاً إليه .

وإضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراء ورواتهم تعني أن ذلك القارىء الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فصح عنده ، وآثره على غيره ، وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وأخذ عنه ، وأضيف إليه دون غيره من القراء .

فإضافة القراءة لقارىء من القراء السبعة أو العشرة ، أو غيرهم

---

(١) النشر ج ١ ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ ، ت محيش .

أساسها : الاختيار والدوام ، واللزوم ، ولم يكن مرجعها اختراع القارىء أو رأيه واجتهاده[1] .

فمنهج الاختيار في تاريخ القراءات نشأ عنه ما عرف بالقراءات السبع أو العشر .

ومن هنا اختار كل قارىء الحرف الذي لزمه ، فنسب إليه ، وصار فيما بعد إماماً في قراءته له .

واختار ابن مجاهد القراءات السبع للقراء السبعة ، وارتضى الأكثرون اختياره ، وإن عارضه بعضهم .

وشاعت كلمة الاختيار في تصانيف المقرئين :

يقول ابن الباذِش في كلامه عن نافع : إمام أهل المدينة والذي صاروا إلى قراءته ، ورجعوا إلى اختياره[2] .

ويقول شعبة عن أبي عمرو بن العلاء : انظر ما يقرأ أبو عمرو ، مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسناداً . .[3] .

ونقل ابن الجزري عن الإمام البغوي المحدث ، المفسر قوله : واتفقت كلمة الأمة على اختيارهم ثم عقب بقوله : « وقد ذكرت في هذا الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة واختياراتهم »[4] .

القراءات الشاذة :

على ضوء ما عرفنا من أركان القراءة المقبولة ، والأقسام التي عرضها مكي للقراءات في كتابه الإبانة يستبين لنا أن القراءة الشاذة هي

---

(١) النشر ج ١ ص ٥١ ط القاضي .

(٢) الاقناع ج ١ ص ٥٥ .

(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٢ .

(٤) النشر ج ١ ص ٣٧ .

التي فقدت الأركان الثلاثة أو واحداً منها ، بأن فقدت شرط الواتر ، أو خالفت رسم المصحف تماماً ، أو خالفت وجوه اللغة العربية ، وحينئذ لا يقرأ بها ، ولا تسمى قرآنا[١] .

وبناء على هذا نرى للقراءات الشاذة صوراً ثلاثاً :

١ ـ نقلها غير ثقة مع الموافقة لرسم المصحف ، وللسان العربي .

كقراءة ابن السميفع وأبي السمال (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) قرئت بالحاء المهملة ، وفتح اللام في خلفك[٢] . وكالقراءة المنسوبة إلى أبي حنيفة رضي الله عنه ، ورددها أكثر المفسرين على أنها له ، وتكلفوا تأويلها وهو بريء منها (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع لفظ الجلالة ، ونصب العلماء[٣] .

٢ ـ قراءة نقلها ثقة ، ولا وجه لها في العربية .

يقول ابن الجزري : ولا يصدر مثل هذا إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط ، ويعرفه الأئمة المحققون ، والحفاظ الضابطون ، وهو قليل جداً بل لا يكاد يوجد ، وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع (وجعلنا لكم فيها معائش) بالهمز[٤]

ويقول مكي في هذا النوع : فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف[٥] .

---

(١) راجع الإبانة ص ٥١ وما بعدها ، ومنجد المقرئين ص ٩١ ، والاتقان للسيوطي ص ١٢٩ ، ج ١ ، وغيث النفع ص ٧٢٦ .

(٢) النشر ج ١ ص ١٢ ت محبش .

(٣) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الإبانة ص ٥٢ .

٣ ـ صح نقله في الآحاد ، وله وجه في العربية وخالف رسم المصحف . وقد قدمنا فيما سبق تفصيلات لهذا النوع .

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت ﴾ قرأ سعد ابن أبي وقاص ﴿ وله أخ أو أخت من أمه ﴾ بزيادة ﴿ من أمه ﴾(١) .

وقراءة ابن مسعود ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات﴾، بزيادة لفظ ﴿ متتابعات ﴾(٢) .

وقراءة ابن شنبوذ ﴿ يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ﴾ بزيادة لفظ (صالحة)(٣) .

قرأ ابن مسعود ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ بدلاً من ﴿ فاسعوا ﴾(٤) .

قرأ ابن مسعود وأبو الدرداء ﴿ والذكر والأنثى ﴾ بحذف لفظ ﴿ ما خلق ﴾(٥) .

وأضاف ابن الجزري صورة رابعة مردودة وشاذة .

وهي ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل ألبتة ، ثم يقول تعليقاً على ذلك : فهذا رده أحق ، ومنعه أشد ، ومرتكبه مرتكب لعظيم الكبائر »(٦) وقد أجاز ذلك ابن مقسم البغدادي المقرىء النحوي بعد المائة الثالثة ، وعقد له مجلس من القراء والفقهاء ببغداد وأجمعوا على

(١) سورة النساء/ ١١ وراجع القرطبي ج ٥ ص ٧٨ دار الكتب .
(٢) سرة المائدة/ ٨٩ وراجع القرطبي ١/ ٤٧ .
(٣) سورة الكهف/ ٧٩ وراجع طبقات القراء ج ٢ ص ٥٢ .
(٤) سورة الجمعة/ ٩ وراجع المحتسب لابن جني ج ٢ ص ٣٢٢ .
(٥) سورة الليل/ ٣ وراجع النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١٤ ط . القاهرة .
(٦) «النشر ج ١ ص ٦٣ .

منعه فتاب عن بدعته ورجع، وقد وردت هذه القصة في تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر بن الخطيب ، وأشار إليها ابن الجزري في الطبقات ، وفي النشر(١) .

متى بدأ الحكم على بعض القراءات بالشذوذ ؟

بدأ الحكم على بعض القراءات بالشذوذ بعد أن عرفت الضوابط التي تقاس بها القراءات الصحيحة ويمكن أن تحدد ذلك بظهور المصاحف العثمانية ، وتوزيعها على الأمصار الإسلامية ، والأمر بإحراق ما عداها ، ومن هنا ساغ الحكم بالشذوذ على كل ما خالف رسم المصحف باعتباره مخالفاً لإجماع خيار الأمة وهم الصحابة ، واتسعت دائرة الحكم بالشذوذ بعد أن وضعت قواعد النحو والتصريف منذ النصف الثاني من القرن الأول .

وقبل هذه الفترة كانت القراءات الشاذة موجودة لكن لم يطلق عليها هذا الاصطلاح بعد ومن التكلف البالغ القول بأن بعض الصحابة لم يحرقوا مصاحفهم واحتفظوا بها ، أو أن الخليفة عثمان رضي الله عنه في أول الفتنة أجاز القراءة بالحروف المخالفة لمصحفه اعتماداً على ما جاء في كتاب المصاحف للسجستاني ، وهو كتاب مرتاب فيه احتفى به المستشرقون وحدهم، وذلك من أجل أن نصل إلى القول بأن القراءات الشاذة ، عرفت من بعد العرضة الأخيرة(٢) .

وهذه النتيجة كما نرى متكلفة ، ومقدماتها بعيدة عن الصواب ، فما كان لبعض الصحابة وهم من الخيار أن يخفوا مصاحفهم عن عثمان ،

---

(١) جاءت هذه القصة بتفصيل من كتاب النشر ج ١ ص ٦٤ .

(٢) أبدى هذا الرأي الدكتور محمد محيسن في كتابه : في رحاب القرآن ، وراجع الدكتورشعبان محمد اسماعيل في كتابه : القراءات مصدرها وأحكامها، ومناقشته لهذا الرأي ص ١١٥ وما بعدها .

وما كان لعثمان أن يفتح باباً تحمس من أول الأمر لإغلاقه ، وهو الذي لا يخشى في الله لومة لائم . . وإذا كان عثمان رضي الله عنه أجاز القراءة بالحروف التي تخالف مصحفه فلماذا ـ إذن ـ يخفي بعض الصحابة مصاحفهم .

إن التناقض في هذا الرأي واضح والحق أحق أن يتبع .

يقول مكي بعد أن نقل قراءة ابن الزبير في سورة الفاتحة ﴿ صراط من أنعمت عليهم ﴾ : وإنما قرىء بهذه الحروف التي تخالف المصحف قبل جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ الناس على المصحف ، فبقي ذلك محفوظاً في النقل غير معمول به عند الأكثر لمخالفته للخط المجمع عليه »[1] معنى هذا أن المصاحف العثمانية كانت الفيصل بين الشاذ وغيره من القراءات .

رواة القراءة الشاذة ، والباحثون فيها

توفر كثير من العلماء على تتبع القراءات الشاذة ، ومعرفة وجوهها ، وأسانيدها ، والتعرف على أسباب شذوذها ، وأول من عرف عنه هذا الاتجاه من علمائنا الأعلام ـ فيما نعلم ـ هارون بن موسى ، أبو عبد الله الأعور ، العتكي ، البصري ، الأزدي ، وهو رجل صدوق ، له قراءة معروفة تنسب إليه ، روى عن عاصم الجحدري ، وعبد الله بن كثير ، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم . توفى سنة ١٩٨هـ[2] .

ومن العلماء الذين كتبوا في الشواذ .

ابن خالويه في كتابه « المختصر في شواذ القراءات » .

---

(١) الإبانة ص ١٢٧ .

(٢) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤٨ .

وابن جني في كتابه « المحتسب في وجوه شواذ القراءات » .
والدمياطي في كتابه « اتحاف فضلاء البشر» .

كما نرى في كتب التفسير روايات كثيرة ومتنوعة للقراءات الشاذة مثل الطبري ، والكشاف والبحر المحيط لأبي حيان .

رواة القراءات الأربع بعد العشر .

١ ـ الحسن البصري ، مولى الأنصار أحد كبار التابعين ، عرف بالزهد والورع توفى سنة ١١٠هـ .

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن ، المعروف بابن محيصن ، كان شيخاً لأبي عمرو بن العلاء توفى سنة ١٢٣هـ .

٣ ـ يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي ، بغدادي ، أخذ عن أبي عمرو ، وحمزة ، وكان شيخاً للدوري والسوسي ، توفى سنة ٢٠٢هـ .

٤ ـ سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، والمعروف بالأعمش ، وهو من التابعين توفى سنة ١٤٨هـ[١] .

ومن رواة القراءات الشاذة من الصحابة .

١ ـ عبد الله بن مسعود ، الصحابي الجليل ، وأحد السابقين للإسلام توفى سنة ٣٢هـ .

٢ ـ مسروق بن الأجدع بن مالك ، أبو همام الهمداني الكوفي توفى سنة ٦٢هـ .

٣ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي توفى سنة ٧٣هـ[٢] .

---

(١) اتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص ٧ .

(٢) ومنهم أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس ، من فضلاء الصحابة ، وأحسنهم صوتاً بقراءة القرآن ، وأكثرهم فقهاً توفي سنة ٥٢هـ .

ومن التابعين .

١ - نصر بن عاصم الليثي ، نحوي ، بصري من كبار التابعين ، روى عن أبي الأسود الدؤلي وروى عنه عمرو بن العلاء البصري توفى سنة ٩٩هـ .

٢ - مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، أحد التابعين والأئمة المفسرين توفى سنة ١٠٣هـ .

٣ - أبان بن عثمان بن عفان الأموي ، أبو عبد الله المدني ، أخذ القراءات عن أبيه وعن زيد بن ثابت توفى سنة ١٠٥هـ .

٤ - الضحاك بن مزاحم ، أبو القاسم من خيرة التابعين ، رويت عنه حروف كثيرة توفى سنة ١٠٥هـ .

٥ - محمد بن سيرين ، أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، تابعي ، روى عن زيد بن ثابت توفى سنة ١١٠هـ .

٦ - قتادة بن دعامة - أبو الخطاب السدوسي ، البصري ، إمام في القراءة والتفسير توفى سنة ١١٧هـ .

٧ - إبراهيم بن أبي عبلة ، تابعي أخذ القراءة عن الزهري وأنس بن مالك ، توفى سنة ١٥١هـ(١) .

٨ - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الكوفي ، أخذ القراءة عن حمزة توفي سنة ١٦١(٢) .

ومما ينبغي أن نتنبه له أن هؤلاء الكرام من الصحابة والتابعين ممن رووا القراءات الشاذة بعامة ، أو الأربع الزائدة على العشر لم تكن روايتهم مقصورة على الشواذ ، وإنما رويت عنهم الصحاح كما رويت الشواذ ، ومن الأئمة العشرة من رووا الشواذ أيضاً ، وهذا يدل على مدى

---

(١) طبقات القراء ج ١ ص ١٩ .

(٢) المحتسب لابن جني ج ١ ص ١٠٤ .

عناية هؤلاء الأعلام بتوافر شروط القراءة الصحيحة .

بقي في بحث القراءات الشاذة مسألتان :

أولاهما : هل تجوز قراءة القرآن بالروايات الشاذة ؟

الأخرى : هل يصح الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية أو اللغوية ؟

القراءة في الصلاة بالشاذة

أجاز القراءة بالشاذ بعض العلماء ، وهو أحد القولين لأصحاب أبي حنيفة والشافعي ، وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد ، وذلك لأمرين :

أولهما : أن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بهذه الحروف في الصلاة .

والآخر : لو لم تَجُز القراءة بالشاذ يكون عالم من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرماً بقراءتهم بالشاذ ، فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائماً ، وهم نقلة الشريعة الإسلامية ، فيسقط ما نقلوه ـ بناء على رأي المانعين ـ نظام الإسلام والعياذ بالله(١) .

واتجه أكثر العلماء إلى منع القراءة في الصلاة بالشاذة .

وحجتهم أن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن ثبتت بالنقل فهي منسوخة بإجماع الصحابة على المصحف العثماني ، أو أنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن ، أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة(٢) .

---

(١) راجع النشر ج ١ ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

قال الإمام النووي : لا تجوز القراءة في الصلاة ولا في غيرها بالقراءة الشاذة ؛ لأنها ليست قرآناً ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ، ومن قال غيره فغالط أو جاهل فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءته في الصلاة وغيرها ، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ ، ولا يصلى خلف من يقرأ بها ».

كما ذكر النووي ما حكاه الإمام أبو عمر بن عبد البر من إجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشاذ ، وأنه لا يجوز أن يصلى خلف من يقرأ بها[١] .

وهذا الإجماع يتناقض مع ما قرره ابن الجزري في كتابه النشر من خلاف في هذه المسألة بين الفقهاء .

الاستشهاد بالقراءة الشاذة

يرى جمهور العلماء جواز العمل بالقراءات الشاذة ، واستنباط الأحكام الشرعية منها .

وحجتهم أنها ـ على أقل تقدير ـ في منزلة خبر الآحاد ، التي لا يختلف العلماء في الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية وقد احتج العلماء بها في أحكام كثيرة منها :

أ ـ قطع يمين السارق مستدلين بقراءة ابن مسعود : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما)[٢] .

ب ـ احتج الحنفية على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود أيضاً (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[٣] .

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٤٧ القاهرة .
(٢) سورة المائدة/٣٨ ، وراجع القرطبي ج ١ ط. دار الكتب المصرية .
(٣) سورة المائدة/٨٩ ، وراجع تفسير القرطبي جـ١ للآية .

كما أن القراءات الشاذة تهدف إلى تفسير القراءة المشهورة ، وتبيين معانيها على نحو ما في القراءتين السابقتين ، ومثل قراءة حفصة وعائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى[1] صلاة العصر) .

يقول أبو عبيد في فضائل القرآن : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا التفسير عن التابعين فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ، ثم صار في نفس القراءة ، فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل »[2] .

وخالف في الاستدلال بهذه القراءة الإمام الشافعي في بعض النقول عنه ، وتبعه أبو نصر القشيري ، وابن الحاجب مستدلين على ذلك بأن القراءة شاذة لم تثبت قرآنيتها ، وتبعهم جمهور الشافعية وغيرهم لثبوت نسخ هذه القراءة عندهم .

والذين أجازوا الاستشهاد يقولون : لا يلزم من انتفاء قرآنيتها انتفاء عموم كونها أخبار أي أنها تأخذ حكم العمل بخبر الواحد ، وخبر الواحد يعمل به[3] .

---

(١) البقرة/ ٢٢٨ .

(٢) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٢٢٧، ٢٢٨ .

(٣) راجع جميع الجوامع بحاشية البناني ج ١ ص ٢٣٢ والإتقان ج ١ ص ٢٢٧ .

الاستشهاد بالقراءات الشاذة في قضايا اللغة والنحو

يجوز الاستشهاد بالقراءات الشاذة في قضايا النحو واللغة .

فإذا كان سبب شذوذها أنها آحاد غير متواترة فلم أر من توقف عن الاستشهاد بها لا سيما وأنها تسير في رحاب القواعد التي وصفها النحويون .

وكذلك إذا كان سبب شذوذها المخالفة لرسم المصحف .

وكتب النحو حافلة بعشرات القراءات الشاذة يستشهدون بها على قضايا[1] نحوية .

وهم على حق فيما فعلوا ؛ لأنها أوثق من أبيات الشعر مجهولة القائل ، بل أوثق ممن عرف قائلها ؛ لأنها من ناحية الرواية وإن كانت أحاداً إلا أن رواتها أكثر ثقة .

أما إذا كانت القراءة الشاذة تخالف المشهور من قواعد العربية فإن كثيراً من النحويين لا يأخذون بها بل رأينا من النحاة ـ وبخاصة من البصريين ـ من يتوقف أمام بعض القراءات السبع أو العشر بحجة المخالفة لقواعدهم ، فيحملونها على ما يوافق القواعد بضرب من التأول .

والرأي عندي أنها مع هذا يصح الاحتجاج بها على وجه من وجوه العربية ، والتماس الدليل منها ، وجمهرة العلماء قديماً وحديثاً على ذلك[2] .

---

(١) من ذلك استدلالهم بقراءة الحسن والشنبوذي (تماما على الذين أحسنُ) بضم النون سورة الأنعام / على جواز حذف العائد على الموصول في حالة الرفع مع قصر الصلة ، والموصول غير أي ـ راجع : أوضح المسالك .

(٢) راجع القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ـ عبد الفتاح القاضي ص ٨ ، ج ١ باب الموصول .

الفصل الثالث

القرّاء

أ - في عصر الصحابة

ب - من التابعون

جـ - القراء السبعة

د - المتمون للعشرة

هـ - القراء الأربعة بعد العشرة

منذ نزلت آيات الكتاب الكريم أول ما نزلت في الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم تستنبت بذور العقيدة الصحيحة في القلوب المؤمنة ، كما تحيى القيم الراشدة في سلوكهم ومجتمعهم كانت تلاوة هذه الآيات هدفاً إسلامياً ، وعبادة تسمو بصاحبها إلى منزلة الرضوان من رب العالمين .

يقول جل شأنه في أمره الكريم لنبيه المصطفى : ﴿ قل : إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ، وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين . وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ﴾[١] .

فكما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بعبادة رب البيت أمر بتلاوة القرآن الكريم لينشر أشعة الهداية تبدد ظلمات القلوب الضالة . فكان النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إمام القراء وقدوتهم وتبعه الجماهير من صحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى

---

(١) سورة النمل/ ٩١، ٩٢ .

الله عليه وسلم : أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن »[1] .

وعن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرىء القرآن ؟ فقال : يقرىء القرآن ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[2]

أشهر الحفاظ من الصحابة

تلقى الصحابة الأبرار القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحروفه المتعددة ، منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ بعضه ، ثم تفرقوا ـ بحكم الفتوح الإسلامية ، ومتطلبات الدعوة ـ في قبائل الجزيرة ، والأمصار الإسلامية فيما بعد .

روى البخاري عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك ، من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أربعة ، كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قلت : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي » .

كما وردت الأحاديث بحفظ كثير من الصحابة للقرآن مثل أبي بكر ، وعبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء ، وأبي أيوب الأنصاري[3].

وهؤلاء هم أشهر من عرفوا بالإقراء من الصحابة :

١ ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد السابقين ، إلى الإسلام وذو النورين ، وقد تتلمذ عليه كثيرون ، منهم : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي المتوفي سنة ٩١ هـ .

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .
(٢) راجع النشر ج ١ ص ٤٧ .
(٣) «الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٢٠٢ .

٢ ـ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ رابع الخلفاء الراشدين ، وأول من دخل الإسلام من الصبيان ، وربيب بيت النبوة وممن تتلمذ على يديه كل من : أبي عبد الرحمن السلمي المتوفي سنة ٧٣ هـ وأبي الأسود الدؤلي سنة ٦٩ ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى سنة ٨٣ هـ .

٣ ـ أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرأ القرآن على رسول الله ، وأتم حفظه في حياته ، وقرأ عليه : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، كما قرأ عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، وآخرون كثيرون رضي الله عنهم جميعاً .

٤ ـ زيد بن ثابت الأنصاري . أحد كتاب الوحي ، واشترك في الجمع الأول القرآن في عهد الصديق ، كما اشترك في الجمع الثاني في عهد عثمان رضي الله عنهم جميعاً ، كما كان ممثل المصحف العثماني في المدينة المنورة ، ومرجع الناس فيه .

وقد قرأ عليه : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، رضي الله عنهم جميعاً .

٥ ـ عبد الله بن مسعود . . من اجلاء الصحابة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، أتم حفظ القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . قال عنه ـ صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد .

قرأ عليه كثيرون منهم : علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد النخعي ، ومسروق بن الأجدع ، وأبو عبد الرحمن السلمي .

٦ ـ أبو موسى الأشعري ، الصحابي الجليل ، عرف بصوته الحسن في تلاوة الكتاب العزيز ، وسمعه النبي عليه الصلاة والسلام ،

وأثنى على صوته وأدائه بقوله : لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . .

قرأ عليه كثيرون منهم : سعيد بن المسيب ، وحطان الرقاشي ، وأبو رجاء العطاردي .

راجع في تراجم هؤلاء الصحابة ، ومن قرءوا عليهم من الصحابة والتابعين .

أسد الغابة لابن الأثير .

معرفة القراء الكبار للذهبي ت ٧٤٨ .

طبقات القراء لابن الجزري ت ٨٣٣ .

الاتقان للسيوطي .

القراء من التابعين وتابعيهم

توزع القراء من التابعين في الأمصار الإسلامية ، وقرأ عليهم كثيرون ، وتتابعت سلاسل الإقراء ، وتخرج على أيديهم أئمة في القراءة كانوا مرجعاً للناس في العصور المختلفة وسأشير هنا الى بعض التابعين في الأمصار الاسلامية .

ثم نتحدث بتفصيل عن أئمة القراء .

١ ـ في المدينة .

اشتهر في المدينة سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث ، المعروف بمعاذ القارىء ، وزيد بن أسلم ، وابن شهاب الزهري ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ومسلم بن جندب .

٢ ـ في مكة

عبيد بن عمير ، وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبي مليكة .

٣ - في الكوفة

علقمة بن قيس النخعي ، ويحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان الأعمش ، وحمزة ، والكسائي كما كان فيها سعيد بن جبير ، وعمر بن شرحبيل ، وعمرو بن ميمون ، والحارث بن قيس .

٤ - في البصرة

عامر بن عبد القيس ، وأبو العالية ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن الحسن ، وابن سيرين ، كما كان فيها عبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، ثم عاصم الجحدري ، ثم يعقوب الحضرمي .

٥ - في الشام

أبو الدرداء ، وصاحبه خليد بن سعيد ، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، كما عاش فيه عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكلابي ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ، ثم يحيى بن الحارث الذماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي .

راجع في ترجمة هؤلاء القراء .

غاية النهاية لابن الجزري جـ ١ ص ٤٣٩ - ص ٤٤٠ .

النشر لابن الجزري جـ ١ ص ٣٢ ص ٥٣ .

معرفة القراء الكبار للذهبي جـ ١ ص ٤٩ .

مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

القراء العشرة ورواتهم

انتشر القراء في الأمصار الإسلامية مع الفتوح ، وامتداد آثار الدعوة في المشارق والمغارب ، وتعددت الروايات للحروف التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثرت الطرق حتى نسخت المصاحف العثمانية، وتقرر ترك ما خالفها ، فضبطت القراءة .

ثم جاءت المرحلة الثانية في طريق الضبط والتقنين ممثلة في عمل ابن مجاهد ، وتسبيعه السبعة ، ولاقى هذا العمل قبولاً عند جمهرة علماء القراءات .

ثم أضيف الثلاثة الى السبعة فأصبح أئمة القراءات المتواترة عشرة وهم على هذا الترتيب من حيث وفياتهم ، بادئين بالسبعة ، ثم بالثلاثة المتممين للعشرة وسنترجم لهؤلاء بتراجم موجزة ، ومعهم أشهر رواتهم .

ثم نختم القول في القراء بتراجم للأربعة الشواذ

القراء السبعة[١] .

١ ـ ابن عامر	ت ١١٨ هـ	٥ ـ حمزة	ت ١٥٦ هـ
٢ ـ ابن كثير	ت ١٢٠ هـ	٦ ـ نافع	ت ١٦٩ هـ
٣ ـ عاصم	ت ١٢٧ هـ	٧ ـ الكسائي	ت ١٨٩ هـ
٤ ـ أبو عمرو	ت ١٥٤ هـ		

(١) رأيت أن كتب القراءات ترتب هؤلاء القراء حسب مواطنهم ، بادئة بنافع ، ثم ابن كثير ، ثم عمرو بن العلاء وقد رأيت هنا ترتيبهم حسب وفياتهم ، بادئاً بالسبعة ، ثم الثلاثة ، ثم رواة القراءات الشاذة الأربع .

الثلاثة المتمون للعشرة

٨ ـ أبو جعفر	ت ١٣٠ هـ
٩ ـ يعقوب	ت ٢٠٥ هـ
١٠ ـ خلف	ت ٢٢٩ هـ

الأربع الشواذ

١١ ـ الحسن البصري	ت ١١٠ هـ
١٢ ـ ابن محيصين	ت ١٢٣ هـ
١٣ ـ الأعمش	ت ١٤٨ هـ
١٤ ـ اليزيدي	ت ٢٠٢ هـ .

١ ـ ابن عامر (٨ ـ ١١٨هـ)

هو عبد اللّٰه بن عامر اليحصبي ، قاضي دمشق في أيام الوليد بن عبد الملك ، وإمام مسجد دمشق وكان الناظر على عمارته حتى فرغ ، لا يرى فيه بدعة إلا غيرها ، وائتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وقد اختلف في كنيته ، فكنّاه مسلم « أبا عمران » وقيل : كنيته أبو نعيم ، وقيل : غير ذلك[1] وليس في القراء في السبعة من العرب إلا هو، وأبو عمرو .

و « يَحْصُب » بالصاد المهملة، وتكسر وتضم ابن دهمان بن مالك ، ويرجع في نسبه إلى حمير[2] .

ولد سنة ٨ من الهجرة وتوفي سنة ١١٨هـ في أيام هشام بن عبد الملك .

---

(١) الإقناع في القراءات السبع ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) جهرة أنساب العرب لابن جزم ص ٤٣٢ ـ ٤٣٧ .

وهو من التابعين ، وإمام أهل الشام في القراءة ، سمع من أبي الدرداء ، وفضالة بن عبيد ، وواثلة بن الأسقع ، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم[1] .

كان إماماً ، ثقة فيما أتاه ، عالماً ، متقناً في حفظه ، صادقاً في نقله ، يعد من أفاضل المسلمين وخيار التابعين[2] .

رواياه

عرف بالراوية عنه اثنان من أعلام القرء : ابن ذكوان وهشام

ابن ذكوان ١٧٣ ـ ٢٤٢ :

هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان ، القرشي ، الفهري ، الدمشقي ، ويكنى : أبا عمرو .

ولد يوم عاشوراء عام ١٧٣ هـ ومات بدمشق صبيحة الاثنين لسبع خلون من شوال سنة ٢٤٢ هـ . عاش سبعاً وستين سنة[3] .

وهو الإمام المشهور ، والراوي الثقة ، وشيخ الإقراء بالشام ، وإمام جامع دمشق ، أخذ القراءة عن أيوب بن تميم ، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بعده، كما قرأ على الكسائي حين قدم الشام[4] .

قال أبو زرعة الدمشقي وهو من تلاميذه : لم يكن بالعراق ، ولا بالحجاز ، ولا بالشام ، ولا بمصر ، ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ منه[5].

---

(١) راجع معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٦٧ والنشر ج ١ ص ١٤٤ ، والأعلام ج ٤ ص ٢٢٨ ، ومقدمة سعيد الأفغاني لحجة القراءات لابن زنجلة ص ٥٦ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) الاقناع ج ٢ ص ١٠٥ .

(٤) غاية النهاية ج ١ ص ٤٤٠ .

(٥) هذا النقل ذكره الافغاني في مقدمة حجة القراءات لأبي زرعة ص ٥٧ .

هشام ١٥٣ ـ ٢٤٥ :

هو هشام بن عمار ، أبو الوليد السلمي الدمشقي ، إمام أهل دمشق ، وخطيبهم ، ومحدثهم ، وفقيههم ومقرئهم ، وكان ثقة ، عدلاً ، ضابطاً ، فصيحاً ، عالماً ، عرف بالرواية والدراية .

أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم ، وعراك بن خالد ، وسويد بن عبد العزيز .

وروى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام قبل وفاته بنحو أربعين سنة ، وأحمد بن يزيد الحلواني ، وغيرهم[١] .

٢ ـ ابن كثير (٤٥ ـ ١٢٠ هـ) :

هو عبد الله بن كثير المكي الداري ، والدار بطن من لخم ، منهم الصحابي الجليل تميم الداري .

وقيل : إنما هو نسبه إلى « دارين » بالبحرين[٢] وهي فرضة يجلب إليها المسك والطيب من الهند ؛ لأنه كان عطاراً ، وهذا هو الصحيح[٣] .

وهو مولى عمر بن علقمة الكناني ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين ، ويكنى أبو مَعْبد وقال الأهوازي[٤] : يكنى : أبو بكر ، وقيل : أبو عباد .

---

(١) راجع في ترجمته الإقناع لابن الباذش ج ١ ص ١٠٦ ومعرفة القرّاء الكبار للذهبي ج ١ ص ١٦٠ ، والنشر ج ١ ص ١٤٢ ، ومقدمة الأفغاني لحجة القراءات لابن زنجلة .

(٢) هي الآن تابعة للمملكة العربية السعودية .

(٣) الأقناع ج ١ ص ٧٧ .

(٤) انظر كتابه الوجيز شرح آداء القراءات الثمان ص ٤ .

ولد في زمان معاوية سنة ٤٥ هـ ، وتوفي في أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٠ هـ ، وله يومئذ خمس وسبعون سنة[١] .

يرى ابن البـاذش أن هذا التاريخ لوفاته غير صحيح على أساس أن عبد الله بن إدريس الأودي قرأ عليه مع أن مولده سنة ١١٥ هـ ، ويرى أن الذي توفى في هذا التاريخ عبد الله بن كثير القرشي ، وهو آخر غير القارىء ، ثم يرجع هذا الخطأ إلى ابن مجاهد ، وخطأه بعض العلماء فيما تصوره من هذا الخطأ [٢] .

روى عن عدد من الصحابة لقيهم منهم عبد الله بن الزبير ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأنس بن مالك .

وأخذ القراءة عرضاً على دربـاس مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبر ، وعبد الله بن السائب وغيرهم .

وروى القراءة عنه جماعة من الأعلام منهم : حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، والخليل بن أحمد ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبو عمر بن العلاء ، وسفيان بن عيينة .

كان فصيحاً بليغاً ، مفـوهـاً، عليه سيكنة ووقار ، قال أبو عمرو بن العلاء :« خـتمت القرآن على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد ، وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد » .

وظل الناس مجمعين على قراءته بمكة حتى مات[٣] .

---

(١) راجع معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٧٢ .

(٢) راجع الأقناع وتعليقات محققه الدكتور قطامش عليه ص ٢٧٨، ص ٧٩ .

(٣) راجع في ترجمته : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٧١ ، والنشر ، وطبقات القراء لابن الجزري ، ومقدمة حجة القراءات .

راوياه :

وأشهر الرواة عنه أثنان هما : البزي وقنبل

البزي :

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم ، فارسي الأصل ، أسلم جده أبو بزة على يد السائب بن صيفي المخزومي ، صاحب رسول الله ، فهو مولى لبني مخزوم ، وصار مقرىء مكة ، ومؤذن المسجد الحرام .

كان مولده بمكة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي بها سنة ٢٥٠ عن ثمانين سنة ، واختلف في تاريخ وفاته ، وكان يكنى بأبي الحسن .

كان أستاذاً محققاً ، ضابطاً ، متقناً ، وهو أكبر من روى قراءة ابن كثير .

قرأ على أبيه ، وعلى عبد الله بن زياد ، وعكرمة بن سليمان ، ووهب بن واضح ، وقرأ عليه جماعة ، وروى القراءة عنه قنبل(١) .

قنبــل :

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي ، المخزومي(٢) يكنى أبا عمر ، ويلقب « قنبلاً » وقيل : هم أهل بيت بمكة يعرفون بالقنابلة ، وهو مولى لبني مخزوم .

انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ، ورحل إليه الناس من شتى الأقطار .

---

(١) راجع في ترجمته غاية النهاية ج ١، ومعرفة القراء الكبار ج ١ ص ١٤٨ ، والإقناع ج ١ ص ٨٠ ، والأعلام ١/١٩٣ .

(٢) راجع السبعة لابن مجاهد ص ٩٢ والإقناع ص ٧٩ .

أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن محمد النبال ، وخلفه في القيام بها بمكة ، وروى القراءة عن البزي وروى القراءة عنه كثيرون : منهم أبو ربيعة محمد بن إسحاق ، وابن مجاهد ، وابن شنبوذ وغيرهم .

تولى الشرطة بمكة ، وكان لا يليها إلا من عرف بالصلاح والتقوى ، وكان من أهل الفضل والخير ؛ ليكون على صواب فيما يصدره من أحكام ، وما يقيمه من حدود ، فكان محمود السيرة .

تقدمت به السن فقطع الإقراء قبل أن يموت ببضع سنين ، توفى سنة ٢٩١ هـ عن ست وتسعين سنة(١) .

٣ ـ عاصم (ـ ١٢٧ هـ) :

هو عاصم بن أبي النجود ، الضرير الكوفي ، ويقال في بعض تراجمه ابن بهدلة ، وقيل بهدلة هو أبو النجود ، كان مولى بني حذيمة بن مالك من أسد ، يكنى أبا بكر ، وهو من التابعين .

سمع الحارث بن حسان البكري ، الصحابي ، كما سمع أبا رمثة رفاعة بن يثربي التميمي صحابي مات بإفريقية وأخذ القراءة عرضاً عن زر ابن حبيش ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وأبي عمرو الشيباني .

وتصدر للإقراء بالكوفة بعد موت السلمي سنة ٧٣ هـ .

وروى القراءة عنه أبان بن تغلب ، وحفص بن سليمان ، وحماد بن زيد ، وأبو بكر بن عياش وجماعة ، كما روى عنه حروفاً من القرآن أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، وحمزة الزيات .

انتهت إليه مشيخة الإقراء بالكوفة ، وكان يجمع بين الفصاحة ، والإتقان ، والتحرير ، والتجويد كما كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن .

---

(١) راجع في ترجمته الاقناع ، وغاية النهاية ج ١ ، والنشر ، والأعلام ٧/٦٢ .

قال أبو بكر بن عياش ، وهو من رواة عاصم : لا أحصي ما سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم . .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن عاصم بن بهدلة ، فقال : رجل ، صالح ، خير ثقة ، فسألته : أي القراءة أحب إليك ؟ قال : قراءة أهل المدينة ، فإن لم تكن فقراءة عاصم ، وحديثه مخرّج في الكتب الستة .

قال حفص : قال لي عاصم : ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب ، وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود .

توفى بالكوفة ، وقيل بطريق الشام سنة سبع ، وقيل سنة ثمان ، وقيل سنة تسع وعشرين ومائة في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية(١) .

راويـــاه

روى قراءته كثيرون ، اشتهر منهم اثنان : حفص وشعبة .

حـفـص

هو أبو عمرو حفص بن أبي داود سليمان بن المغيرة ، الأسدي الكوفي ، وكان يلقب بحفيص ، وهو أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، فقد كان ربيبه ، ابن زوجته قرأ عليه مراراً ، وكان الأولون يعدونه في الحفظ

---

(١) راجع في ترجمته : غاية النهاية ج ١، والإقناع ج ١ ص ١١٥ ، ومعرفة القراء الكبار ١/٧٣ ، والنشر ١/١٥٥ والأعلام ١٢/٤ .

فوق أبي بكر بن عياش .

وكان ثقة في الإقراء ، ثبتاً ضابطاً ، بقراءته يقرأ أهل المشرق اليوم ، قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان .

ولد سنة تسعين وتوفى سنة ١٨٠هـ(١) .

شعبة

هو أبو بكر بن عياش بن سالم الحناط ، الأسدي ، الكوفي الكاهلي ، كان مولى ، واختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً أصحها : شعبة .

كان إماماً ، علماً ، عالماً ، عاملاً ، روى عن عاصم وعرض عليه القرآن ثلاث مرات ، وعلى عطاء بن السائب ، وأسلم المنقري ، وأخذ عنه الحروف آخرون منهم الكسائي وخلاد الصيرفي .

وكان من أئمة السنة ، وصاحب الكلمة المشهورة في أبي بكر الصديق : ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره .

وهو أول من قال « بواو الثمانية » . ذكر الثعلبي ذلك في تفسيره(٢) .

ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال لها : ما يبكيك ؟ انظري إلى

---

(١) نقل ابن الباذش عن الأهوازي أنه توفي سنة ١٧٠هـ عن ثلاث وسبعين سنة وراجع في ترجمته غاية النهاية ١/٢٥٥ ، والإقناع ج ١ ص ١١٧ ، والنشر ١/١٥٦ ، والأعلام ٢/٢٩١ .

(٢) راجع بحثنا عن واو الثمانية بمجلة معهد اللغة العربية ـ جامعة أم القرى ـ مكة ـ العدد الثاني .

تلك الزاوية فقد ختمت فيها القرآن ثمان عشرة ألف ختمة .

كان مولده سنة ٩٤هـ وتوفى بالكوفة في جمادى الأولى سنة ١٩٣هـ وفي هذا الشهر مات هارون الرشيد بطوس . عاش نحو تسع وتسعين سنة ، وقطع الإقراء قبل موته بسنوات[(١)] .

٤ ـ أبو عمرو بن العلاء (٦٨ ـ ١٥٤هـ)

هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي ، البصري .

اختلف في اسم أبي عمرو اختلافاً كثيراً ، ذكر وجوهها ابن الباذش في الإقناع[(٢)] ، وقال ابن الجزري : وقد اختلف في اسمه على عشرين قولًا ، لا ريب أن بعضها تصحيف من بعض ، وأكثر الناس من الحفاظ وغيرهم على أنه « زبان » كما ذكرنا ، وقال الذهبي لا أشك في أنه زبان بالزاي .

وقال الجاحظ : أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء ، أسماؤهما كناهما[(٣)] .

ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج فقرأ بمكة والمدينة ، كما قرأ بالكوفة والبصرة ، وليس في السبعة أكثر شيوخاً منه ، سمع أنس بن مالك وغيره . وقرأ على الحسن البصري ، وأبي العالية ، وسعيد بن جبير ، وعاصم بن أبي النجود ، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، وابن كثير المكي ، وعكرمة مولى ابن عياش ، وابن محيصن ، ونصر بن عاصم ، ويزيد بن القعقاع ويحيى ين يعمر .

---

(١) راجع في ترجمته الاقناع لابن الباذش ج ١ ، والنشر ١٥٦/١ ، والأعلام ، ومقدمة حجة القراءات للأفغاني ص ٥٨ .

(٢) ج ١ ص ٩٢ ، ص ٩٣ .

(٣) البيان والتبيين ٣٢١/١ .

روى القراءة عنه عرضاً جماعة كثيرة من مشاهير الأعلام مثل أبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وعيسى بن عمر ، ويحيى اليزيدي ، وسيبويه ، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف .

وأبو عمر من الطبقة الثالثة بعد الصحابة ، حكى عنه أنه قال : كنت رأساً والحسن حي . . يعني البصري وقد مر به الحسن ، وحلقته متوافرة ، والناس عكوف فقال : لا إله إلا الله ، كادت العلماء أن يكونوا أرباباً ، كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول» .

انتشرت قراءته بين العلماء ، ثم أقبل عليها العامة .

وقد صحت فيه فراسة شعبة حين قال : انظروا ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسناداً » .

ويقول ابن الباذش : وكان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر ، وبأيام العرب وأيام الناس ، وتتبع حروف القرآن تتبعاً استحق بها الإمامة ، وشهد له بها أئمة وقته كأبي بسطام شعبة بن الحجاج .

وقد شهد له ابن الجزري فقال : القراءة التي عليها الناس اليوم (يعني في عهده حيث كانت المائة التاسعة للهجرة) بالشام والحجاز، واليمن ومصر هي قراءة أبي عمرو ، فلا تكاد تجد أحداً يلقن القرآن إلا على حرفه خاصة من الفرش .

قال الأصمعي مات أبو عمرو سنة ١٥٤هـ وقيل سنة ١٥٧هـ وقيل غير ذلك ، وكانت وفاته بالكوفة عن ست وثمانين سنة(١) .

---

(١) راجع في ترجمته معرفة القراء الكبار ١/٨٣ والنشر ١/١٣٤ وغاية النهاية ١/٤٤٣ والأعلام ٣/٧٢ .

راويـــاه :

أشهر من روى عنه اثنان : الدوري والسوسي .

الـدُّوري :

هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيـز بن صهبان الأزدي النحوي الضرير ، ونسب للدور موضع ببغداد .

كان إمام القراء في زمانه ، ثقة ، ثبتاً ، ضابـطاً . قرأ على الكسائي ، وأخذ قراءة نافع عن اسماعيل بن جعفر وقراءة يزيد بن القعقاع عن ابن جماز ، وقراءة حمزة عن محمد بن سعدان ، ولأبي بكر عن عاصم، وعن يحيـى اليزيدي قراءة أبي عمرو . . وغيرهم ، وأخذ القراءة عنه كثيرون ، قال أبو داود : رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدّوري ، مات أبو عمر الدوري سنة ٢٤٦هـ[١] .

السوسي :

وهو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي ، نسبة إلى السوس ، كورة بالأهواز .

كان محرزاً ، ضابطاً مقرئاً ثقة ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً ، قراءة أبي عمر عن أبي محمد اليزيدي ، وقرأ على حفص قراءة عاصم ، وأخذ القراءة عنه جماعة .

توفي بالرقة عام ٢٦١هـ عن نحو سبعين سنة[٢] .

---

(١) راجع فن ترجمته : الاقناع ج ١ ص ٩٤ ، والنشر ١٣٤/١ والأعلام ٢٩١/٢ .

(٢) راجع من ترجمته الاقناع ج ١ ص ٩٥ ، والنشر ١٣٤/١ والأعلام ٢٧٦/٣ .

٥ ـ حمزة ٨٠ ـ ١٥٦هـ :

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الكوفي ، الزيات(١) ، مولى بني تميم ، وقيل : مولى لبني عجل ، وقال ابن دريد : هو من ولد أكثم بن صيفي(٢) .

إمام الناس في القراءة بعد عاصم والأعمش ، مع زهد وعبادة وخشوع ، محدث ثقة ، سابق في القرآن والفرائض ، قيّم بالعربية . قال أبو حنيفة وسفيان الثوري ، ويحيى بن آدم غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض(٣) .

وحمزة من الطبقة الثالثة ، وأدرك بعض الصحابة فهو من التابعين .

أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش ، وحمدان بن أعين ، وأبي إسحاق السبيعي ، وجعفر بن محمد الصادق واختار مذهب حمدان الذي يقرأ قراءة ابن مسعود ، ولا يخالف مصحف عثمان .

روى عنه القراءة أعلام مشهورون منهم إبراهيم بن أدهم ، والحسين الجعفي ، وسليم بن عيسى أضبط أصحابه والكسائي ، ويحيى بن زياد الفراء ، ويحيى بن المبارك اليزيدي وغيرهم ، وعرض عليه من نظرائه جماعة منهم سفيان الثوري .

يقول ابن الباذش : ولد سنة ٨٠هـ وأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة ، وأم الناس سنة مائة وتوفي بحلوان العراق بموضع يقال له باغ يوسف في خلافة أبي جعفر المنصور ، سنة ١٥٦هـ وله ست وسبعون سنة(٤) .

(١) لقب بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان .

(٢) الاشتقاق ص ٢٠٧ .

(٣) راجع الإقناع ج ١ ص ١٢٥ ، وغاية النهاية ١/٢٦٣ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٥ وما بعدها وراجع في ترجمته : معرفة القراء الكبار ١/٩٣ ، والنشر ١/١٦٦ ، والأعلام ٢/٣٠٨ .

راويـــاه :

أشهر من روى عن حمزة اثنان : خلف وخلاد .

خـــلـــف :

هو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب البزار ، الصِّلْحي من أهل فَم الصِّلح[1] .

إمام في القراءة ، ثبت عند أهل الحديث ، حدث عنه أحمد بن حنبل والأئمة ، وهو أحد القراء العشرة ، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة ، عرف بالزهد والعلم والعبادة .

أخذ القرآن عن سليم بن عيسى ، وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة ، وأبي زيد الأنصاري عن المفضل الضبي ، وروى الحروف عن إسحاق المسَيِّبي ويحيى بن آدم ، وسمع من الكسائي ، ولم يقرأ عليه القرآن .

وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً : ورّاقة أحمد بن إبراهيم ، وأحمد بن يزيد الحلواني .

كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً في اختياره .

ولد في رجب سنة ١٥٠هـ ، وتوفي ببغداد وهو مختفٍ من الجهمية يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة **٢٢٩** في خلافة الواثق بالله[2] .

---

(١) فم الصِّلح : نهر كبير فوق واسط ، عليه عدة قرى ، وفيها بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل .

(٢) راجع في ترجمته : الاقناع ١٢٦/١ ، غاية النهاية ٢٧٣/١ ، تاريخ بغداد ٣٢٢/٨ والأعلام ٣٦٠/٢ .

خــلاد :

هو أبو عيسى خلاد بن خالد ، الشيباني بالولاء ، الصيرفي ، الكوفي . اختلف في اسم أبيه أهو خالد أم عيسى أم خليد .

إمام في القراءة ، ثقة ، محقق ، ضابط ، مجود .

أخذ القراءة عن أبي عيسى سليم بن عيسى ، الحنفي الكوفي عن حمزة ، وسليم من أضبط الناس وأجلهم كما رواها حسين بن علي الجعفي عن أبي بكر ، وعن أبي بكر نفسه عن عاصم .

وروى القراءة عنه عرضاً : أحمد بن يزيد الحلواني ، والقاسم الوزان وهو من أنبل أصحابه وآخرون .

توفي بالكوفة سنة ٢٢٠هـ كما قال البخاري(١) .

٦ ـ نافع ٧٠ ـ ١٦٩هـ :

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، مولى جَعْوَنة بن شعوب الشِّجْعي ، وجَعْوَنة حليف حمزة بن عبد المطلب ، وقيل : حليف العباس ، وقيل : حليف بني هاشم .

ذكرت له عدة كُنى منها أبو رويم ، وأبو الحسن ، وأبو نعيم .

يعد من الطبقة الثالثة بعد الصحابة .

أصله من أصبهان ، كما روى الأصمعي حكاية عنه ، وكان أسود شديد السواد ، صبيح الوجه حسن الخلق ، فيه دعابة ، إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك .

وهو إمام أهل المدينة ، صاروا إلى قراءته ، ورجعوا إلى اختياره ، قاله ابن أبي أويس قال لي مالك : قرأت على نافع .

---

(١) راجع في ترجمته الاقناع ١/١٢٧ والنشر ١/١٦٥ والأعلام ٢/٣٥٦ .

كان عالماً بوجوه القراءات ، متبعاً لآثار الأئمة ، زاهداً ، جواداً ، صلى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة .

تلقى القراءة على سبعين من التابعين عرضاً منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، والزهري ، وشيبة بن نصاح القاضي ، ومسلم بن جندب الهذلي .

وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً : الإمام مالك ، وقالون من أهل المدينة ، والأصمعي وأبو عمرو بن العلاء من أهل البصرة ، وورش والليث بن سعد من أهل مصر ، وأبو مسهر الدمشقي وخويلد بن معدان من أهل الشام ، وكثير غيرهم من مختلف الأمصار .

أقرأ الناس سبعين سنة ونيفاً ، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة ، وتمسك أهلها بقراءته ، وكان الإمام مالك يقول : قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له : قراءة نافع ؟ قال : نعم ، وكانت قراءتهم أحب القراءات إلى الإمام أحمد بن حنبل .

توفي بالمدينة سنة **١٦٩هـ** في خلافة الهادي ، وقيل سنة **١٥٩هـ** في خلافة المهدي ، وقيل : غير ذلك[1] .

راوياه

وأشهر رواته اثنان : ورش وقالون .

ورش

هو عثمان بن سعيد بن عَديّ بن غَزْوَان بن سابق المصري ، مولى

---

(١) الاقناع ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٦ ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/٩٠ ـ ٩٢ ، النشر لابن الجزري ١/١١٢ والأعلام ٨/٣١٧ ، ٣١٨ .

آل الزبير بن العوام ، يكنى أبا سعيد ، وقيل : أبا عمرو ، وقيل : أبا القاسم .

ولقب بورش ، قيل لأنه كان قصيراً ، أشقر ، أبيض اللون ، يلبس ثياباً قصاراً فشبهه نافع «بالورشان» الطائر المعروف ، ثم خفف ، فقيل : ورش ، وقيل : لقب بذلك لشدة بياضه ؛ لأن الورش شيء يصنع من اللبن .

ونقل ابن الباذش عن أبيه أنه رأى في كتاب : « الغريب المصنف » نقلاً عن الفراء : ورشت الطعام ورشاً إذا تناولت منه شيئاً يسيراً » ثم يبنى على ذلك هذا الاستنتاج فيقول : فلعله كان يكثر تصريف الكلمة فعرف بها[1] ولد بمصر سنة ١١٠هـ ثم رحل إلى نافع فعرض عليه القرآن عدة ختمات سنة ١٥٥هـ .

كان شيخ القراء المحققين ، إماماً في أدائه وترتيله ، حسن الصوت ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية وكان له اختيارات خالف فيها نافعاً ، إذا قرأ يهمز ويمد ، ويشدد ، ويبين الإعراب ، لا يمله سامعه .

توفي بمصر سنة ١٩٧هـ في خلافة المأمون ، وله سبع وثمانون سنة .

قالون

هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله المدني ، جده عبد الله سبى من الروم في عهد عمر بن الخطاب ، وبيع في المدينة ، فاشتراه أحد الأنصار فأعتقه ، فهو

---

(١) الاقناع ج١ ص ٥٧ وطبقات القراء ج ١ ص ٥٠٢ والغريب المصنف مخطوط ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، أنفق في تأليفه أربعين عاماً .

مولى الأنصار[1] وقيل إنه مولى الزُّهْرِيين .

يقال : إنه كان ربيب نافع ، وأنه هو الذي لقبه به لجودة قراءته ، لأن « قالون » بلسان الروم « جيد »[2] .

وقد حقق ابن الجزري هذا الأمر فقال : سألت الروم عن ذلك ، فقالوا : نعم ، غير أنهم نطقوا لي بالقاف كافاً على عادتهم[3] .

كما قالوا : إن عبد الله بن عمر كانت له جارية رومية ، وكانت تقول له : أنت قالون . أي رجل صالح .

قرأ القرآن على « نافع » كثيراً ، وكان جيد القراءة ، وكان أصم لا يسمع البوق لكن ينظر إلى شفتي القارىء ويرد عليه اللحن والخطأ .

ولد سنة ١٢٠هـ في أيام هشام بن عبد الملك ، وقرأ على نافع سنة ١٥٠ ، ومات سنة ٢٠٥هـ من أيام المأمون وله خمس وثمانون سنة[4] .

٧ ـ الكسائي ١١٩ ـ ١٨٩

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله ، بن بهمن ، بن فيروز الكوفي النحوي ، مولى بني أسد ، فارسي الأصل . اختلف في سبب تسميته الكسائي ، فقيل : إنه سئل من ذلك فقال : لأني أحرمت في كساء وقيل : لأنه من قرية بين واسط وبغداد اسمها باكُسَايا ، فهو نسب على غير قياس ، والقياس : باكساوي ، وباكُسَائي ، وقال آخرون : كان

(١) هذه الرواية نقلها ابن الباذش عن أبي علي الحسن بن علي الأهوازي شيخ القراء في عصره توفي بدمشق سنة ٤٤٦هـ وقرأ عليه غلام الهراس ، وأبو القاسم الهذلي ؛ وله كتاب : « الوجيز في القراءات الثمان » ينقل عنه أبو جعفر ابن الباذش كثيراً .

(٢) الاقناع ج ١ ص ٥٨ .

(٣) طبقات القراء ٦١٥/١ .

(٤) راجع في ترجمته بجانب ما سبق النشر ١١٢/١ والنجوم الزاهرة ٢٣٥/٢ ، والأعلام ٣٦٦/٤ .

يتشح بكـاء ويجلس في مجلس حمزة ، فإذا أراد أن يقرأ يقول حمزة : اعرضوا على صاحب الكساء ، فسمى الكسائي بذلك[1] .

كان صادق اللهجة ، واسع العلم بالقرآن ، والعربية ، والغريب ، وإمام مدرسة الكوفة النحوية ، وعمدة نحويي الكوفة ومرجعهم .

قال فيه الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي . . وقال أبو بكر الأنباري : اجتمعت في الكسائي أمور ، كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب ، وكان أوحد الناس في القرآن . .

انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده ، وعن محمد بن أبي ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني ، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش ، وعن إسماعيل ويعقوب ابني جعفر قراءة نافع ، وعن المفضل الضبي ، ورحل إلى البصرة ، فأخذ اللغة عن الخليل .

وأخذ القراءة عنه عرضاً وسماعاً جمع منهم أبراهيم زاذان ، وحفص الدوري ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وقتيبة بن مهران ، وخلف بن هشام البزار ، ويحيـى بن زياد الفراء ، وروى عنه الحروف يعقوب الحضرمي .

ذكر أبو عبيد في كتاب « القراءات » أن الكسائي كان يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً ، وكان من أهل القراءة ، وهي كانت علمه وصناعته ، ولم يجالس أحداً كان أضبط ، ولا أقوم بها منه ، وكانت قراءته متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من

---

(١) ذكر هذه الآراء محققة منسوبة لأصحابها ابن الباذش في الإقناع ج ١ ص ١٣٨ .

الأئمة إلا أن الناس كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم ، ويجلس على كرسي ، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره ، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادىء ، وربما وقع منه خطأ ، فيأمرهم بمحوه من كتبهم .

ألف كتباً كثيرة في اللغة والنحو والقراءة منها : معاني القرآن ، والقراءات ، مقطوع القرآن وموصوله ، والهاءات .

توفي برنبويه قرية من قرى الرَّي في رحلته مع الرشيد : إلى خراسان ، وتوفي معه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة فقال الرشيد : دفنا الفقه والنحو برنبويه . وكان ذلك سنة ٢٨٩هـ كما قال البخاري ، وأبو عمر الدوري ، وابن مجاهد[١] .

راويـــاه

اشتهر بالرواية عنه اثنان : الليث والدوري .

الليث

هو الليث بن خالد المروزي ، وقيل البغدادي .

ثقة ، معروف ، حاذق ، ضابط ، عرض القراءة على الكسائي وهو من أجل أصحابه وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول ، وعن اليزيدي .

وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيره .

توفي سنة ٢٤٠ هـ كما ذكره الأهوازي في كتابه الوجيز[١] .

---

(١) راجع في ترجمته : السبعة لابن مجاهد ، ووفيات الأعيان ، والاقناع ج ١ ص ١٣٨ ، ومعرفة القراء الكبار ١/١٠٠ والنشر ١/١٧٢ والأعلام ٩٤/٥ .

(٢) راجع في ترجمة الاقناع ج ١ ص ١٤٠ ومعرفة القراء الكبار ١/١٧٣ .

الــدوري

سبقت الترجمة له عند حديثنا عن راويي عمرو بن العلاء ؛ لأنه روى قراءة عمرو وقراءة الكسائي جميعاً ، وهو نزيل سامرا ، وشيخ قراء زمانه ، روى القراءة عنه الإمام الطبري ، المفسر ، المؤرخ ، ورئى أحمد بن حنبل يكتب عنه .

توفي سنة ٢٤٦ .

الثلاثة المتمون للعشرة

٨ ـ أبو جعفر (ـ ١٣٠) هـ

هو يزيد بن القعقاع ، المخزومي ، المدني ، القارىء ، وكنيته أبو جعفر .

من التابعين ، وأحد القراء العشرة ، صالح متعبد ، عرض القراءة على مولاه عبد الله بن عياش وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرة ، وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبي بن كعب ، وابن عباس على يزيد بن ثابت أيضاً ،وكلهم قرءوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد صلى بابن عمر ، وأقرأ الناس ، حتى كان إمام أهل المدينة في القراءة فعرف بالقاريء وذكر أبو الزناد أنه : لم يكن أحد أقرأ للسنة منه ، وكان يقدم في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج .

روى القراءة عنه : نافع ، وسليمان بن مسلم بن جماز ، وعيسى ابن وردان وجماعة .

توفي رحمه الله سنة ١٣٠هـ على الأصح(١) .

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/٥٩ ـ ٦٠ ، النشر ١/١٧٨ والأعلام ٩/٢٤١ .

راويــاه

أشهر من روى عنه : عيسى بن وردان وابن جماز .

عيسى بن وردان

هو عيسى بن وردان المدني ، يكنى أبا الحارث .

هو من أقدم أصحاب نافع ، ومن رفقائه في القراءة على أبي جعفر ، وشاركه في الإسناد وقد عرض القرآن على أبي جعفر ، وشيبة ، ثم عرض على نافع .

وعرض عليه القرآن اسماعيل بن جعفر وقالون .

وهو إمام مقرىء حاذق ، وراو ، محقق ، ضابط .

توفي عام ١٦٠هـ(٢) .

ابن جمــاز

سليمان بن محمد بن مسلم بن جماز الزهري المدني ، يكنى أبا الربيع .

عرض على أبي جعفر وشيبة ، ثم على نافع ، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع ، ثم عرض عليه اسماعيل بن جعفر ، وقتيبة بن مهران ، وهو مقرىء جليل ، ضابط ، مقصود في قراءة نافع وأبي جعفر .

توفي بعد سنة ١٧٠هـ(٢) .

٩ ـ يعقوب الحضرمي (١١٧ ـ ٢٠٥هـ)

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي ،

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٩٢ والنشر لابن الجزري ١/ ١٧٩ .

(٢) النشر ١/ ١٧٩ وتاريخ القراء العشرة ورواتهم للشيخ القاضي ص ٣٩ .

البصري ، مولى الحضرميين وكنيته أبو محمد ، أحد الأئمة العشرة .

إمام أهل البصرة ومقرئها ، انتهت إليه رياسة القراءة فيها بعد أبي عمرو ، وكان أعلم الناس بمذاهب النحويين في القراءات . قال عنه السجستاني : هو أعلم من رأيت بالحروف ، والاختلاف في القرآن ، وعلله ، ومذاهبه ، ومذاهب النحو ، وأروى الناس لحروف القرآن ، ولحديث الفقهاء . .

وقد اتبع البصريون اختياراته في القراءة بعد أبي عمرو ، ولا يقرأ إمام الجامع في البصرة إلا بقراءته ، حتى المائة التاسعة حيث كان يعيش ابن الجزري الذي استنكر قول من عد قراءته من الشواذ فقال : فليعلم أنه لا فرق بين قراءة يعقوب وقراءة غيره من السبعة عند أئمة المحققين ، وهو الحق الذي لا محيد عنه . .

وكان عالماً ثقة على صلاح ودين . وله مكانة في البصرة حتى كان يحبس ويطلق .

أخذ القراءة عرضاً عن جماعة منهم سلام بن سليمان المزني ، ومهدي بن ميمون ، وقرأ على شهاب بن شرنقة قراءة أبي الأسود الدؤلي عن على بن أبي طالب ، وقراءته على أبي الأشهب عن أبي رجاء عن أبي موسى في غاية العلو ، وسمع الحروف من الكسائي ومحمد بن زريق الكوفي عن عاصم ، وسمع من حمزة حروفاً .

وروى القراءة عنه عرضاً كثيرون منهم أبو حاتم السجستاني ، وأبو عمر الدوري .

توفي في ذي الحجة سنة ٢٠٥هـ عن ثمان وثمانين سنة[١] .

---

(١) انظر ترجمته في النشر ١٨٦/١ ، ومعرفة القراء الكبار ١٣٠/١ والأعلام ٢٥٥/٩ .

راويـــاه

من أشهر الذين رووا عن جعفر قارئان هما : روح ورويس .

روح

هو روح بن عبد المؤمن الهذلي بالولاء ، وكنيته أبو الحسن .

مقرىء جليل ، ضابط ثقة ، من أجل أصحاب يعقوب ، عرض عليه وأخذ الحروف عن جماعة عن أبي عمرو ، وعرض عليه جماعة منهم أحمد بن يزيد الحلواني .

توفي عام **٢٣٤** أو **٢٣٥**[١] .

رويـس

هو محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري ، وكنيته أبو عبد الله .

مقرىء حاذق ، ضابط مشهور أخذ القراءة عن يعقوب الحضرمي ، وختم عليه مرات ، وهو أكثر أصحابه فطنة ،وروى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار ، والإمام أبو عبد الله الزبيري ، .

وكان ماهراً في الإقراء بحيث يفرق بين المبتدئين في القراءة ومن مهروا فيها .

توفي بالبصرة سنة **٢٣٨**هـ[٢] .

١٠ ـ خلف العاشر ١٥٠ ـ ٢٢٩

هو خلف بن هشام البزار ، البغدادي ، كنيته أبو محمد .

تقدمت ترجمته باعتباره راوياً عن حمزة ، وله قراءة اشتهر بها وأشهر رواته : اسحاق وإدريس .

---

(١) انظر في ترجمته معرفة القراء الكبار ١/١٧٥ والنشر ١/١٨٧ .

(٢) راجع في ترجمته معرفة القراء الكبار ١/١٧٧ ، والنشر ١/١٨٦ .

إسحــاق

هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي ، ثم البغدادي ، كنيته أبو يعقوب .

روى عن خلف اختياره وقرأ عليه ، وقام به بعده ، كما قرأ على الوليد بن مسلم .

وقرأ عليه جماعة منهم ابن شنبوذ وابنه محمد بن إسحاق .

كان قيماً بالقراءة ، ثقة ، ضابطاً لها وإن كان لا يعرف من القراءات إلا اختيار خلف .

توفي سنة ٢٨٦هـ[١] .

إدريس

هو إدريس بن عبد الكريم البغدادي ، الحداد ، وكنيته أبو الحسن .

قرأ على خلف البزار روايته واختياره ، وعلى محمد بن حبيب الشموني .

وروى عنه القراءة سماعاً ابن مجاهد ، وعرضاً محمد بن أحمد بن شنبوذ ، وابن مقسم وأبو بكر النقاش وجماعة .

وهو إمام ضابط ، متقن ، ثقة ، سئل عنه الدارقطني فقال : هو ثقه ، وفوق الثقة بدرجة .

توفي سنة ٢٩٢هـ عن ثلاث وتسعين سنة[٢] .

---

(١) النشر لابن الجزري ١/١٩١ وتاريخ القراء العشرة ص ٤٥ .

(٢) النشر ١/١٦٦ ، وتاريخ القراء العشرة ص ٤٥ .

الأربع الشواذ

١١ ـ الحسن البصري (٢١ ـ ١١٠هـ)

هو أبو سعيد بن يسار ، مولى الأنصار .

علم من أعلام الإسلام ، ومن خيرة التابعين ، وإمام أهل زمانه علماً وعملاً ، وهو أشهر من أن يعرف .

قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري ، وعلى أبي العالية عن أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعمر بن الخطاب .

روى عنه أبو عمرو بن العلاء ، وسلام الطويل ، ويونس بن عبيد ، وعيسى بن عمر النحوي .

كان الحسن فصيح العبارة ، سليم اللغة حتى قال فيه الشافعي : لو أشاء أقول : إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت . وذلك لفصاحته[١] .

أشهر الرواة عنه : اثنان :

١ ـ شجاع بن أبي نصر البلخي ، البغدادي الزاهد .

كنيته أبو نعيم ولد في نحو سنة ١٢٠هـ وتوفي سنة ١٩٠هـ .

ثقة كبير ، عرض على أبي عمرو بن العلاء ، وكان من خيرة أصحابه ، وسمع من عيسى بن عمر .

وروى عنه القراءة أبو عبيد القاسم بن سلام ، وغيره .

سئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال : بخ بخ وأين مثله اليوم[٢] .

---

(١) راجع في ترجمته وفيات الأعيان ، واتحاف فضلاء البشر .

(٢) راجع : إتحاف فضلاء البشر .

٢ ـ الـدوري

وقد سبقت ترجمته باعتباره أحد راويي أبي عمرو بن العلاء .

١٢ ـ ابن محيصن (ـ ١٢٣)

محمد بن عبد الرحمن السهمي بالولاء .

مقرىء أهل مكة مع ابن كثير ، ثقة ، أعلم قراء مكة بالعربية ، وأقواهم عليها .

عرض على مجاهد بن جبر ، ودرباس مولى ابن عباس ، وسعيد ابن جبير .

عرض عليه شبل بن عباد ، وأبو عمرو بن العلاء ، وسمع منه حروفاً إسماعيل بن مسلم المكي ، وعيسى بن عمر البصري .

ولولا ما في قراءته من مخالفة المصحف لألحق بالقراءات المشهورة ، قال ابن مجاهد : كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية ، فخرج به عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه » . توفى سنة **١٢٣هـ**(١) .

وأشهر الرواة عنه اثنان : البزي وابن شنبوذ .

الـبزي

أحد راويي ابن كثير أيضاً ، وقد تقدمت ترجمته .

ابن شـنبـوذ

محمد بن أحمد بن أيوب البنداري ، وكنيته : أبو الحسن .

---

(١) راجع السبعة لابن مجاهد ، واتحاف فضلاء البشر .

شيخ الإقراء في العراق ، ارتحل في طلب العلم ، وكان ثقة ، عرف بالخير والصلاح ، واشتهر بالعلـم وقوة الحفظ . أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن إبراهيم ، ووراق خلف ، وعن إبراهيم الحربي ، وقنبل ، وجماعة في أمصار عديدة . وقرأ عليه جماعة كثيرة منهم أبو بكر بن مقسم ، والمعافى بن زكريا .

وكانت العلاقات قد ساءت بينه وبين ابن مجاهد ، فلم يقرىء من قرأ على ابن مجاهد ، ويقول فيه : لم تَغْبَرّ قدماه في هذا العلم .

وكان يجوز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف ، وعقد له بسبب ذلك مجلس ، فاعترف وتاب وكتب له محضر بذلك .

توفي سنة ٣٢٨هـ[١] .

١٣ ـ الأعمش (٦٠ ـ ١٤٨هـ)[٢]

هو سليمان بن مهران الكوفي ، مولى بني أسـد ، وكنيته أبو محمد .

الإمام الجليل ، مقرىء الأئمة ، وصاحب نوادر .

أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي ، وزر بن جبيش ، وعاصم بن أبي النجود ، ومجاهد بن جبر ، وأبي العالية الرياحي وغيرهم . روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً حمزة الزيات ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وجماعة ، وروى عنه الحروف محمد بن عبد الله المعروف بزاهر ، ومحمد بن ميمون .

---

(١) راجع النشر للجزري ، واتحاف فضلاء البشر للدمياطي .

(٢) راجع طبقات القراء ، ومعرفة القراء الكبار ، وإتحاف فضلاء البشر ، ومقدمة سعيد الأفغاني لحجة القراءات .

قال هشام : (ما رأيت في الكوفة أقرأ لكتاب الله من الأعمش ، وكان يقول : إن الله زين بالقرآن أقواماً ، وإني ممن زينه الله بالقرآن ، ولولا ذلك لكان على عنقي (من أطوف به في سكك الكوفة) .

ومن نوادره أنه خرج يوماً إلى الطلبة فقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم .

توفي سنة ١٤٨هـ .

وأشهر الرواة عنه اثنان : المطوعي والشنبوذي .

المطوعي

هو الحسن بن سعيد العباداني ، البصري العمري ، وكنيته : أبو العباس .

إمام ، ثقة ، ارتحل في القراءة إلى شتى الأقطار ، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم ، ومحمد الأصبهاني ، ويوسف الواسطي ، والحسن بن حبيب الدمشقي ، وابن مجاهد ، ويموت بن المزرع ، وابن شنبوذ ، وجماعة .

وقرأ عليه جماعة ، وعمر حتى جاوز المائة ، فانتهى إليه علو الإسناد في القراءات ، له كتاب « معرفة اللامات وتفسيرها » .

توفي سنة ٣٧١هـ[١] .

الشنبوذي

محمد بن أحمد بن إبراهيم الشطوي البغدادي ، وكنيته أبو الفرج ، وعرف بالشنبوذي .

---

(١) راجع : طبقات القراء وإتحاف فضلاء البشر .

إمام من أئمة القراءة ، مشهور نبيل ، حافظ حاذق ، رحل في الأقطار ، ولقي الشيوخ ، وتبحر في التفسير . أخذ القراءة عرضاً عن ابن مجاهد ، وأبي بكر النقـاش ، وأبي الحسن بن شنبوذ ، ولازمه فنسب إليه . وكان عالماً بالتفسير وعلل القراءات .

وقرأ عليه جماعة ، واشتهر اسمه وطال عمره .

ولد سنة ٣٠٠هـ وتوفي سنة ٣٨٨هـ(١) .

١٤ ـ اليزيدي (١٢٨ ـ ٢٠٢هـ)

هو يحيـى بن المبارك ، العدوي بالولاء ، البصري ، وكنيته : أبو محمد .

نحوي ، مقرىء ، ثقة ، علامة كبير في النحو والعربية والقراءة .

أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء ، وخلفه بالقيام بها ، وأخذ عن حمزة .

روى القراءة عنه أولاده : محمد وعبد الله وإبراهيم واسماعيل ، كما روى عنه أبو عمر الدوري ، وسليمان بن أيوب بن الحكم ، وسليمان بن خلاد ، وجماعة .

روى عنه الحروف أبو عبيد القاسم بن سلام .

وله اختيار خالف فيه أبا عمرو في حروف يسيرة ، وهوأضبط أصحاب أبي عمرو عنه ، وتصدى لروايتها عنه ، والاشتغال بها ، قيل : إنه أملى عشرة آلاف ورقة عن أبي عمرو خاصة .

نقل عنه أبو زرعة في « حجة القراءات » كثيراً .

---

(١) راجع : طبقات القراء وإتحاف فضلاء البشر .

له مناظرات ومجالس نحوية ذكرتها كتب الطبقات .

ولد سنة ١٢٨هـ وتوفى سنة ٢٠٢هـ[١] .

راويـــاه

روى عنه قراءته اثنان من القراء : سليمان الخياط ، وأحمد بن فرج .

سـليمـان

هو سليمان بن أيوب بن الحكم ، الخياط البغدادي ، يعرف بصاحب البصري ، وكنيته : أبو أيوب .

مقرىء جليل ، ثقة ، قرأ على اليزيدي ، وقيل : إنه عرض على ابنه : أبي عبد الرحمن عبد الله بن اليزيدي ، وقرأ عليه أحمد بن حرب المعدل ، وإسحاق بن مخلد الدقاق وآخرون .

توفى سنة ٢٣٥هـ[٢] .

أحمد بن فرح

هو أحمد بن فرح (بالحاء المهملة) بن جبريل ، الضرير ، البغدادي ، المفسر ، وكنيته : أبو جعفر .

ثقة كبير ، قرأ على الدوري بجميع ما عنده من القراءات ، وقرأ أيضاً على عبد الرحمن بن واقد ، والبزي وعمر بن شبه .

وقرأ عليه جماعة منهم ابن مقسم ، وابن مجاهد ، وابن شنبوذ .

توفى عام ٣٠٣هـ وقد قارب التسعين من عمره[٣] .

---

(١) راجع نزهة الألباء للأنباري ، وطبقات القراء لابن الجزري ، واتحاف فضلاء البشر .

(٢) راجع طبقات القراء واتحاف فضلاء البشر .

(٣) راجع طبقات القراء واتحاف فضلاء البشر .

الفصل الرابع

ترتيل القرآن

- الترتيل معناه وأركانه
- صور التلاوة
- التجويد
- مخارج الحروف وصفاتها

ترتيل القرآن

بين لنا رب العالمين في كتابه الكريم الأسلوب القويم الذي نتلو به كتابه ؛ لتتحقق لنا الثمرة المرجوة من تلاوته فقال تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلاً ﴾[1] وقال جل شأنه مخاطباً نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾[2] .

فالقراءة على مكث أي ، بتأنٍّ وتمهل هي الترتيل .

معنى الترتيل :

قال الجوهري : الترتيل في القراءة الترسل فيها والتبيين بغير بغي ، وكلام رَتِل بالتحريك أي مرتل وثغر رَتَل أيضاً إذا كان مستوى الثنيات ، ورجل رَتِل مثل تَعِب بَيِّن الرتَل أي مُفَلّج الأسنان[3] .

وفي القاموس المحيط : الرتل محركة حسن تناسق الشيء .

قال ابن عباس في تفسير « رتل القرآن » بينه ، وقال (مجاهد) :

---

(١) الإسراء/ ١٠٦ .

(٢) سورة المزمل/٤ .

(٣) الصحاح مادة (رتل) .

تأن فيه ، وقال الضحاك : انبذه حرفاً حرفاً ، أي تلبث في قراءته ، وتمهل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده[1] .

من خلال هذه التفسيرات سواء أكانت لغوية أم مأثورة يستبين لنا أن الترتيل يعني البيان والوضوح بحيث تخرج الحروف من ومخارجها، وتؤدي أداء جيداً ، ويتحرى الوقف الملائم ونحو هذا ، وقد سئل علي رضي الله عنه عن الآية ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ فقال : الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف .

قال ابن الجزري : الترتيل مصدر رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة ، وقد نزل القرآن الكريم بالترتيل ، فقال تعالى : ﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾[2] ، وروى ابن الجزري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل »[3] .

ولأهمية الترتيل لم تكتف الآية بمجرد الأمر عن طريق الفعل وإنما أكده بالمصدر ، تعظيماً لشأنه ، وليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن ، وتفهمه .

قراءة النبي صلى الله عليه وسلم .

وصفت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حتى إن الراوي عنها يقول : فإذا هي مفسرة حرفاً حرفاً[4] كما روى ابن أبي مليكة عن أم

---

(١) النشر ج ١ ص ٢٩٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) النشر ج ١ ص ٢٩٦ .
(٤) القطع والائتناف لابن النحاس ص ٨٦ والحديث رواه الترمذي ج ٤ ص ٢٥٤ عن يعلي بن مملك أنه سأل أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة النبي .

سلمة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته أي يقف على رؤوس الآيات .

كما جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنه : أنه تنزل السورة من القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم « فتعلم حلالها ، وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن »[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها حتى أصبح ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[2].

وعن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : كانت مدا، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم[3] .

من خلال هذه النصوص نتبين معالم القراءة النبوية ، كما يلي :

أ ـ إخراج الحروف من مخارجها إخراجاً دقيقاً .

ب ـ تخير الوقف الملائم .

د ـ مراعاة المد ، وتجويد الحروف .

هـ ـ التأمل والتدبر .

نخلص من هذا الى أن الترتيل كما فسره على ابن أبي طالب رضي الله عنه له ركنان :

١ ـ تجويد الحروف .

٢ ـ معرفة الوقوف .

---

(١) القطع والائتناف ص ٨٧ .

(٢) رواه النسائي وابن ماجة ، والآية من سورة المائدة/ ١١٨ .

(٣) رواه البخاري ، وراجع النشر ج ٢ ص ٢٩٧ .

وسنتحدث عن كليهما فيما بعد .

أنواع القراءة

ذكر صاحب النشر ثلاثة أنماط لقراءة القرآن هي :

١ ـ التحقيق   ٢ ـ الحدر   ٣ ـ التدوير

التحقيق :

وهو الإتيان بالشيء على حقه دون زيادة أو نقصان ، فهو بلوغ حقيقة الشيء ، والوقوف على كنهه .

والظواهر القرائية لهذه الطريقة تتمثل في : إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد ، وتحقيق الهمزة ، وإتمام الحركات ، واعتماد الإظهار والتشديدات ، وتوفية الغُنات ، وتفكيك الحروف ، وهو بيانها ، وإخراج بعضها من بعض بالسكت ، والترسل ، واليسر ، والتؤدة ، وملاحظة الجائز من الوقوف[١] وتتم كل هذه الظواهر دون مبالغة .

والذين قرءوا بالتحقيق حمزة ، وورش من غير طريق الأصبهاني عنه

وقرأ به قتيبة عن الكسائي .

وقرأ به بعض المصريين عن الحلواني عن هشام ، وأكثر العراقيين عن الأخفش عن ابن ذكوان .

وذكر ابن الجزري إسناداً لهذه القراءة يبدأ منه ، وينتهي بأبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلق أبو عمرو الداني من قبل على هذا الحديث بأنه غريب « لا أعلمه يحفظ إلا من هذا الوجه ، وهو مستقيم الإسناد »[٢] .

---

(١) النشر ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٥ .

٢ ـ قراءة الحدر :

هو من حدَر يحدُر (من باب نصر) إذا أسرع ، فهو من الحدور أي الهبوط ؛ لأن الإسراع من لوازمه على عكس الصعود ، فهي قراءة تتسم بالأداء السريع ، وتتلاءم مع من يريدون الإكثار من القراءة رغبته في مزيد من الأجر .

وظواهرها القرائية تتمثل من : إدراج القراءة وسرعتها ، وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس ، والبدل ، والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ، ونحوها من الظواهر اللغوية التي وردت القراءة بها مع إيثار الوصل ، وإقامة الإعراب ، ومراعاة تقويم اللفظ ، وتمكن الحروف .

والقراءة بالحدر مذهب ابن كثير وأبي جعفر ، وسائر من قصر المنفصل كأبي عمرو ، ويعقوب وقالون ، والأصبهاني عن ورش ، وكالولي عن حفص ، وأكثر العراقيين عن الحلواني عن هشام[1] .

٣ ـ قراءة التدوير :

فهو عبارة عن التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر .

وقد وردت هذه القراءة عن أكثر الأئمة ممن روى من المنفصل، ولم يبلغ فيه إلى الإشباع .

وهو مذهب سائر القراء ، وصح عن جميع الأئمة ، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا تنثروه ـ يعني القرآن ـ نثر الدقل ، ولا تهزوه هزَّ الشعر . وجاءه رجل فقال قرأت المفصل الليلة من ركعة ، فقال : هزّاً كهز الشعر .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٦ .

أي الأنواع الثلاثة أفضل ؟

ذهب بعضهم إلى أن كثرة القراءة أفضل ، ومعنى هذا أنهم يؤثرون الحدر على التحقيق محتجين بحديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها[1] كما ذكروا آثاراً كثيرة عن السلف في كثرة القراءة .

والذي عليه معظم السلف والخلف أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها ؛ لأن المقصود من القرآن الكريم فهمه وتدبره ، والتفقه فيه ، والعمل به ، كما قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته ﴾[2] والتلاوة والحفظ وسيلة إلى فهم المعنى ، الذي يلزم المسلم بالعمل والتنفيذ .

وقراءة التحقيق أدنى هذه الأنماط الثلاثة الى الترتيل .

وإذا نظرنا إلى خصائص قراءة النبي صلى الله عليه وسلم التي استنتجناها آنفاً نراها أقرب إلى قراءة التحقيق أيضاً ؛ إذ تتجه إلى إيضاح المعنى وإبرازه .

وحديث ابن مسعود ليس فيه حث على الإسراع ، وإنما فيه بيان للثواب العظيم في القراءة ، والذي يضاعفه الله للقارىء المحسن القراءة ، المستفيد منها في عمله وسلوكه .

وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة والآخر البقرة وآل عمران في الصلاة ، وركوعهما ، وسجودهما واحد ؟ فقال : الذي قرأ البقرة وحدها أفضل[3] .

---

(١) رواه الترمذي وصححه ، ورواه غيره « بكل حرف عشر حسنات » .

(٢) سورة ص / ٢٩ .

(٣) لنشر ج ٢ ص ٢٩٧ .

وقد أسلفنا حديث أبي الدرداء الذي روى فيه ترديد النبي صلى الله عليه وسلم لآية واحدة حتى الصباح.

وروى ابن الجزري عن محمد بن كعب القرظي قوله : لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿ إذا زلزلت الأرض ـ والقارعة ﴾ لا أزيد عليهما ، وأردد فيهما ، وأتفكر أحب إلى من أن أهُزَّ القرآن هزًّا[١] .

ويقول أبو حامد الغزالي : واعلم أن الترتيل يستحب لا لمجرد التدبر ، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب الى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال[٢] .

بين الترتيل والتحقيق :

أهناك فرق بينهما ؟ نقول على ضوء ما سبق : الترتيل أعم من التحقيق ، وهو يلائم من يقرأ للتدبر ، والتفكر ، والاستنباط ، أما التحقيق فيكون للتعليم والتمرين ، وترويض النشء على القراءة الصحيحة[٣] .

وعلينا الآن أن نتناول ركنى الترتيل اللذين أشرنا إليهما ، وهما : التجويد والوقف .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المرجع السابق ص ٢٩٨ .

التجويـد

التجويد مصدر جوَّد يجوّد إذا أدى العمل بإتقان وإحسان . والاسم منه الجودة وهي ضد الرداءة .

والمراد به في اصطلاح القراء : الأداء الجيد لحروف القرآن الكريم وكلماته مع بيان ووضوح ، وإعطاء كل حرف حقه ، ورده إلى مخرجه ، ومراعاة الصورة الملائمة في نطقه مع مجاوره ، وإعراب ألفاظه ، ومراعاة الحدود بمقاديرها الزمنية المناسبة . كل ذلك من غير إسراف ولا تعسف ، وبدون إفراط أو تكلف .

والتجويد حلية التلاوة وزينة القراءة ، وقد حرص عليه الأسلاف .

وقد أعطى عبد الله بن مسعود حظاً عظيماً في تجويد القرآن وترتيله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب سماع القرآن منه ، وكانت تبكيه قراءته أحياناً ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعني عبد الله بن مسعود .

كما روى ابن الجزري بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال : صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ووالله لوددت أن قرأ بسورة البقرة من صوته وترتيله[١] .

يقول ابن الجزري : وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجوداً ، مصححاً ، كما أنزل ، تلتذ الأسماع بتلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد يسلب العقول ، ويأخذ بالألباب ، سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه . ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن

---

(١) النشر ج ٢ ص ٣٠١ .

له حسن صوت ، ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيماً باللفظ ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع ، وأخذ من القلوب بالمجامع ، وكان الخلق يزدحمون عليه ، ويجتمعون على الاستماع إليه ، أمم من الخواص والعوام ، يشترك في ذلك من يعرف اللسان العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان(١) .

والتجويد أبعد ما يكون عن التكلف في النطق ، والتعسف في الأداء ، يقول أبو عمرو الداني ، مشيراً إلى الصور المرفوضة في الأداء ، والتي ينبغي أن ينأى عنها القراء : فليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات ، قراءة تنفر منها الطباع ، وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة ، الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ، ولا لَوْك ، ولا تعسف ، ولا تكلف ، ولا تصنع ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء(٢).

والوصول إلى المستوى الصحيح من تجويد القرآن ، يتطلب مزيداً من الدربة ، والمران ، والتلقي عمن يحسن الأداء ، وكلما أمعن القارىء في الدربة ، والرياضة على القراءة الصحيحة ، بعيدة عن مساوىء التكلف وصل ما يريد من التجويد .

وبجانب هذا كله فإن قراءة القرآن عبادة تتطلب حسن النية ، وإخلاص العمل ، والرغبة الصادقة في التقرب إلى الله بتلاوة كتابه ، والعمل بما فيه ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠٢ .

(٢) النشر ج ٢ ص ٣٠٣ .

به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾[1] .

وحق التلاوة هو العمل والتنفيذ .

ومن خلال ما أسلفناه من كلام أئمة القراء عن « التجويد » يتبين لنا أنه يقوم على مراعاة الأمور الصوتية التالية .

أ ـ معرفة مخارج الحروف ، وإخراج كل حرف من مخرجه الصحيح .

ب ـ معرفة صفات الحروف ، ليأخذ كل حرف صفته التي تميزه عن غيره من الحروف التي تشاركه في المخرج .

جـ ـ مراعاة الإظهار ، والإخفاء ، والإدغام ، والإقلاب بصورها المتعددة شفوية كانت أو حلقية . وقضايا التفخيم والترقيق .

د ـ المد ، وأسبابه ، وأنواعه ، والمدى الزمني لكل نوع من هذه الأنواع .

وقد دونت منذ مدى بعيد كتب في تجويد القرآن الكريم ، وهي في جوهرها دراسات صوتية تتناول قضايا النبر ، والتزمين ، ومخارج الحروف ، وصفاتها ونحو ذلك مما يؤكد أن العرب أسبق من بحث في هذه القضايا اللسانية .

ومن هذه المؤلفات : مؤلفات تناولت مسائل التجويد والأداء بين ما تناولته من موضوعات القراءات تأريخاً وأصولاً وفرشاً مثل : الكشف لمكي بن أبي طالب ، والإقناع لأبي جعفر بن الباذش وغيرهما .

وقد عرض ابن الجزري في كتابه النشر أبواباً من التجويد ، وله مؤلفات خاصة بالتجويد .

---

(١) راجع الكشف ج ١ ص ١٧ ، ٢٤ .

وأقدم ما ألف في التجويد بخاصة ـ فيما أعلم ـ قصيدة أبي مزاحم الخاقاني المتوفى سنة ٣٢٥ هـ ونشرت محققة بعناية الدكتور عبد العزيز القاري .

ومنها: الرعاية لتجويد القراءة، وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب[١] .

ومنها : كتاب جمال القراء ، وكمال الإقراء قصيدة نونية لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفي سنة ٦٤٣ هـ قال عنه ابن الجزري : وهو غريب في بابه جمع أنواعاً مما يتعلق بالقراءات ، والتجويد والوقف والابتداء[٢] .

وهذا المؤلف هو بنفسه عروة المفيد[٣] ، وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد ، جمعه الدكتور عبد العزيز القاري مع قصيدة أبي مزاحم في مؤلف واحد .

ثم تكاثرت المؤلفات فيما بعد في علم التجويد خاصة ، وغلب على أكثرها طابع النظم ، مثل : متن الجزرية ، وتحفة الأطفال ، ثم أخذ المحدثون يشرحون هذه المتون مثل : ملخص العقد الفريد في فن التجويد للشيخ علي أحمد صبره سنة ١٣٣١ هـ والاتقان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

والدرس اللغوي الحديث توفر على دراسة التجويد باعتباره يمثل جهود العرب في الدراسات الصوتية .

---

(١) راجع الكشف ج ١ ص ١٧ ، ٢٤ .

(٢) النشر ج ١ ص ١٦٥ محبس .

(٣) راجع كشف الظنون ج ٢ ص ١١٧١ وما بعدها ، والسيوطي في الاتقان ج ١ ص ١٣٣ الحلبي .

وقد تناولت في هذا الكتاب فصولاً من التجويد عند الحديث عن الأصول .

فتحدثت في الأصول عن الوقف قضية واحدة سواء ما يتصل منه بالقراءات أم ما يتصل منه بالتجويد ، ونحو ذلك فعلت في الحديث عن التفخيم والترقيق ، والإظهار والإدغام .

لكني هنا أقدم حديثاً موجزاً ووافياً عن قضيتين من قضايا التجويد وهما :

١ ـ مخارج الحروف .
٢ ـ صفات الحروف .

مخارج الحروف

حروف الهجاء في اللسان العربي ، أو الأصوات خمسة وثلاثون حرفاً .

ماله صورة منها ترسم تسعة وعشرون حرفاً[١] .

أما الحروف التي لا ترسم فهي ستة : الهمزة بين بين ، والألف الممالة ، وألف التفخيم والحرف المعترض بين الشين والجيم ، والحرف المعترض بين الزاي والصاد ، والنون الخفيفة[٢] .

وسنشير بإيجاز إلى مخارج هذه الحروف ، ليسير القارىء على

(١) قال سيبويه : فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة والألف والهاء . . . ، الكتاب ج ٢ ص ٤٠٤ ويرى المبرد أنها ثمانية وعشرون حرفاً ، فلا يعد منها الهمزة . المقتضب ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) في الكتاب أوصل سيبويه الأصوات والحروف إلى اثنين وأربعين حرفاً منها المستحسن وغيره ، وهذه الحروف كلها ترجع إلى التسعة وعشرين حرفاً » الكتاب ج ٢ ص ٤٠٤ .

هديها في تجويد الأداء للكتاب العزيز .

أ مخارج الحلق : للحلق ثلاث مخارج فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف ، ويليها في البعد مخرج الهاء .

ويليه المخرج الثاني ، وهو مخرج الحاء والعين (وهو وسط الحلق) .

والثالث : أدنى الحلق مما يلي الفم ، وهو مخرج الخاء والغين .

وهذه الحروف الستة هي المعروفة بحروف الحلق .

ب ـ اللسان والفم وفيهما عشرة مخارج .

١ ـ أقصى اللسان ـ أي أبعده مما يلي الحلق ، وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ويخرج منه القاف .

٢ ـ أقصى اللسان ـ مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف ، ويخرج منه الكاف وهذان الحرفان يقال لهما : لَهَوِيَّان لخروجهما من قرب اللهاة .

٣ ـ وسط اللسان : مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ويخرج منه الجيم والشين والياء وتسمى هذه الحروف شجرية لخروجها من « شجر » اللسان أي منفتحة[١] .

٤ ـ إحدى حافتي اللسان ، وما يحاذيها من الأضراس العليا ـ تخرج منها الضاد ، المعجمة وخروجها من الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً ، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالاً ، ومن الجانبين أشد عسراً ؛ ولذا فهي أصعب الحروف مخرجاً[٢] .

---

(١) راجع الكتاب ج ٢ ص ٤٠٥ .

(٢) راجع المبرد ج ١ ص ١٨٣ المقتضب ، يقول عن الضان : مخرجها من الشدق فبعض الناس تجرى له في الأيمن ، وبعضهم تجري من الأيسر .

٥ ـ ما بين حافتي اللسان معاً ، بعد مخرج الضاد ، وما يحاذيها من اللثة أي لحمة الأسنان العليا ، يخرج منه اللام ، وخروج حرف اللام من الحافة اليمنى أمكن عكس الضاد .

٦ ـ طرف اللسان ، وما يحاذيه من لثة الأسنان العليا تحت مخرج اللام قليلاً تخرج النون المظهرة بخلاف المدغمة ، والمخفاة ، فمخرجها الخيشوم[١] .

٧ ـ طرف اللسان مع ظهره مما يلي رأسه ، ويخرج منه الراء ، وهو أدخل إلى ظهر اللسان من النون وتسمى الحروف الثلاثة (اللام ـ النون ـ الراء) زلقية لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه .

٨ ـ طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ، وتخرج منه الطاء والذال والثاء ، وتسمى هذه الحروف لِثَوِيّة لخروجها من قرب اللثة .

٩ ـ طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا والسفلى ، قريبة إلى السفلى ، مع انفراج قليل بينهما ، وتخرج منه الصاد فالسين فالزاي ، وتسمى هذه الحروف أَسَلِيّة من أسلة اللسان ، أي مستدقة .

١٠ ـ ظهر اللسان من جهة رأسه ، وأصل الثنيتين العليين ، ويخرج منه الطاء فالدال المهملتان فالتاء المثناة الفوقية .

جـ ـ الشفتان .

١١ ـ بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ، ويخرج منه الفاء .

١٢ ـ الشفتان معاً ، ويخرج منهما الباء الموحدة والميم والواو إلا أنهما بانطباق مع الميم والباء ، وانفتاح مع الواو تسمى هذه الحروف شفوية لخروجها من الشفة .

د ـ الجوف .

١٣ ـ وهو الخلاء الداخل في الحلق والفم ، ويخرج منه حروف المد الثلاثة : الألف ولا تكون الا ساكنة ، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، واليا الساكنة المكسور ما قبلها ، وتسمى هذه الحروف بالجوفية أو الهوائية .

هـ ـ الخيشوم .

١٤ ـ الخيشوم وهو خرق الأنف ، المنجذب الى الداخل فوق سقف الفم ، وليس بالمنخر ويخرج منه الخنة ، والنون المدعمة والمخفاة كما أشرنا .

فالمخارج الفرعية كما رأينا سبعة عشر ، وهي موزعة على خمس مخارج رئيسة في منطقة الفم ومن كل منها يخرج حرف أو أكثر .

ومعرفة هذه المخارج ، وملاحظتها في النطق والأداء أكبر عون على تجويد التلاوة ، وتحقيق معنى الترتيل ، كما أنها من ناحية أخرى تحافظ على الخصائص الصوتية للسان الغربي .

وهنا قضية أخرى نختم بها القول في مخارج الحروف .

اختلف العلماء في عدد مخارج الحروف ، ولهم في ذلك مذاهب ثلاثة .

ذهب الخليل بن أحمد وأكثر القراء والنحويين وتبعهم ابن الجزري الى أنها سبعة عشر مخرجاً على الوضع الذي شرحناه ، والتزمنا به .

وذهب سيبويه والمبرد ، وتبعهما الشاطبي الى أنها ستة عشر مخرجاً .

وذهب الفراء وقطرب والجرمي الى أنها أربعة عشر مخرجاً .

فمن جعلها سبعة عشر ، وزع الحروف على النحو التالي : في الجوف مخرج ، ومن الحلق ثلاثة ، وفي اللسان عشرة ، وفي الشفتين

اثنان ، وفي الخيشوم واحد .

ومن جعلها ستة عشر : أسقط مخرج الجوف ، ووزع حروفه وهي حروف المد على بعض المخارج فجعل الألف مع الهمزة من أقصى الحلق ، وياء المد مع الباء المحركة من وسط اللسان ، وواو المد من الشفتين مع الواو المحركة .

ومن جعلها أربعة عشر : أسقط مخرج الجوف كذلك ، وجعل مخارج اللسان ثمانية بجعله مخرج اللام والراء والنون واحداً .

وقد التزمت في العرض السابق مذهب ابن الجزري ، وهو المشهور عند أهل الأداء والذي سار عليه من قبل الخليل وجمهرة من النحويين والقراء كما ذكرنا[1] .

صفات الحروف

صفات الحروف : كيفية تعرض للحرف عند حدوثه من مخرجه تميزه عن غير كالشدة والرخاوة ونحوهما .

وحروف الهجاء العربي لها صفات متعددة لاحظها العلماء المتمرسون بخصائص الصوت العربي فأوصلها بعض العلماء إلى أربع وأربعين صفة ، ومنهم من نقصها الى أربع عشرة صفة بحذف الإذلاق وضده ، والانحراف واللين ، وزيادة صفة الغنة .

ومنهم من عدها ست عشرة بحذف الإذلاق وضده أيضاً ، وزيادة صفة الهوائي .

---

(١) راجع الكتاب لسيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والنشر لابن الجزري .

واختار العلماء وأهل الأداء مذهب ابن الجزري في عدها سبع عشرة صفة .

والناظر الى هذه الصفات التي أحصاها العلماء يجدها قسمين :

١ ـ قسم منها له ضد ، وهي خمس : الهمس وضده الجهر ، والشدة والتوسط وضدهما الرخاوة والاستعلاء وضده الاستفال ، والإطباق وضده الانفتاح ، والإذلاق وضده الإصمات .

٢ ـ والقسم الآخر صفات لا ضد لها وهي سبع : الصفير والقلقلة والانحراف والتكرير ، واللين ، والتفشي ، والاستطالة .

وإليك بيانها وبيان الحروف التي تتصف بكل منها .

١ ـ الهمس لغة الخفاء ، واصطلاحاً : جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج ، وحروفه عشرة جمعت في قولنا : سكت فحثه شخص .

وبعض حروف الهمس أقوى من بعض ، فالصاد والخاء أقوى من بقية الحروف ، لما لها من بعض الصفات القوية ، وأضعفها الهاء ؛ ليس فيها صفة قوية .

٢ ـ الجهر ، وهو في اللغة الإعلان ، واصطلاحاً : انحباس جرى النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج ، وحروفه تسعة عشر ، وهي الباقية بعد استثناء حروف الهمس .

وتختلف حروف الجهر فيما بينها في القوة فالطاء أقوى ؛ لأن فيها مع الجهر : استعلاء وشدة .

٣ ـ الشدة: لغة القوة ، واصطلاحاً : انحباس جرى الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج ، وحروفه ثمانية جمعت في

قولهم : (أجد قط بكت) .

والطاء أقوى حروف الشدة لما فيها من الجهر والاستعلاء والإطباق .

ـ والتوسط وهو في اللغة الاعتدال ، واصطلاحاً : اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال انحباسه كما في الشدة ، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة ، وحروفه خمسة جمعت في قولنا : لنعمر .

٤ ـ الرخاوة ومعناها لغة : اللين ، واصطلاحاً : جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج ، وحروفه ستة عشر ، وهي بقية حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الشدة والتوسط .

٥ ـ الاستعلاء ، وهو في اللغة : الارتفاع ، واصطلاحاً : ارتفاع اللسان الى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وحروفه سبعة يجمعها قولهم : خص ضغط قظ .

٦ ـ الاستفال معناه : الانخفاض ، واصطلاحاً : انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى إلى قاع الفم عند النطق بالحرف ، وحروفه : اثنان وعشرون ، وهي حروف الهجاء ما عدا حروف الاستعلاء السبعة .

٧ ـ الإطباق وهو في اللغة : الإلصاق ، واصطلاحاً : تلاصق ما يحاذى اللسان من الحنك الأعلى باللسان عند النطق بالحرف ، أو بعبارة أخرى : تلاقي اللسان بما يحاذيه من الحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وحروفه أربعة : الصاد والضاد ، والطاء والظاء وأقواها الطاء ، وأضعفها الظاء (المعجمة) .

٨ ـ والانفتاح بمعنى الافتراق ، ويعنى به في الاصطلاح : تجافى اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف حتى يخرج الهواء من

بينهما ، وحروفه خمسة وعشرون ، وهي حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الاطباق .

٩ ـ الإذلاق : هو في اللغة حدة اللسان أي طلاقته وتدفقه في الحديث ، واصطلاحاً : سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان كاللام والراء والنون أو من الشفتين كالفاء والباء والميم ويجمع هذه الحروف قولنا : « فر من لب » .

الإصمات : لغة المنع ، واصطلاحاً : امتناع حروفه من أن يتكون منها وحدها كلمات رباعية أو خماسية ، بدون أن يكون فيها حرف من حروف الذلاقة ، ومن أجل هذا تأتي كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها حرف من حروف الذلاقة فهي غير عربية ، كلفظ « عسجد » اسم للذهب ، وحروف الإصمات هي حروف الهجاء مستثنى منها حروف الذلاقة .

١١ ـ الصفير : لغة صوت يشبه صوت الطائر . واصطلاحاً صوت زائد يخرج من الشفتين مصاحباً الحروف الثلاثة : الصاد والسين المهملتين ، والزاي المعجمة ، وهي المعروفة بحروف الصفير ، وأقواها الصاد لما فيها من استعلاء وإطباق .

١٢ ـ القلقلة : هي في اللغة : الاضطراب والتحريك ، واصطلاحاً : اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية ، وحروفها خمسة جمعت في قولنا : قطب جد، وسبب الاضطراب شدة حروفها لما فيها من الشدة التي تمنع جريان الصوت ، والجهر الذي يمنع جريان النفس .

ولها مراتب ثلاث : أعلاها الطاء ، وأوسطها : الجيم ، وأدناها : الحروف الباقية .

وهناك من يرتبها حسب حالة الحرف لا على حسب نوعه ، فأعلاها : المشدد الموقوف عليه ، ثم الساكن في الوقف ، ثم الساكن وصلا ، ثم المتحرك .

وتلزم القلقلة هذه الحروف خالة سكونها ، سواء أكانت وسطاً أم طرفاً ، مثال المتوسطة (خلقنا) (قطمير) (ربوة) (اجتباه) (يدخلون) والمتطرفة مثل : خلاقْ ـ محيطْ ـ بهيجْ ـ مجيدْ . هذا في حالة الوقف عليها ؛ إذ أن بيانها حال الوقف أولى ، ولا سيما إذا كان الموقوف عليه مشدداً مثل : (جئت بالحقّ) .

١٣ ـ اللين : وهو في اللغة ضد الخشونة ، واصطلاحاً إخراج الحرفة في يسر وبلا كلفة ، وحروفه : اثنان : الواو والياء الساكنان ، المفتوح ما قبلهما نحو : خوف ـ بيت .

١٤ ـ والانحراف لغة : الميل ، واصطلاحاً : ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان ، وله حرفان: اللام والراء . وتلزمهما هذه الصفة لانحرافهما عن مخرجهما ، حتى يتصلا بمخرج غيرهما ، فاللام الى ناحية طرف اللسان ، والراء إلى ظهره .

١٥ ـ والتكرير لغة : الإعادة مرة بعد مرة ، واصطلاحاً : ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف ، وهي صفة تلزم الراء ، والغرض من معرفتها الابتعاد عنها .

١٦ ـ والتفشي لغة : الانتشار والاتساع ، واصطلاحاً : إنتشار الهواء في الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء المعجمة ، قيل إن هذه الصفة خاصة بالشين وهو الأصح ، وقيل : تشاركها في هذه الصفة : الفاء ، والثاء ، والضاد ، والصاد ، والراء والسين .

١٧ ـ الاستطالة في اللغة : الامتداد ، واصطلاحاً امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان الى آخرها ، وهي صفة الضاد المعجمة .

ملاحظات هامة .

١ ـ هذه الصفات منها صفات قوية وهي اثنتا عشرة صفة : الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والإصمات ، والصفير ، والقلقلة ، والانحراف ، والتكرير والتفشي ، والاستطالة ، والغنة ، وأقواها : القلقلة ، فالشدة ، فالجهر ، فالإطباق ، فالاستعلاء ، فالباقي .

والصفات الضعيفة هي : الهمس والرخاوة والاستفال ، والانفتاح ، والذلاقة واللين والخفاء .

٢ ـ من صفات الحروف الغنة ، وهي لازمة للنون والميم في كل حالاتهما ، والخفاء ، وهي صفة لأربعة أحرف : حروف المد الثلاثة والهاء .

٣ ـ هناك فرق بين المخرج والصفة . . فالمخرج أقرب إلى الكم والمقدار أو المدى العضوي الذي يقع عليه عبء النطق ، وأما الصفة فهي الهيئة التي يظهر بها الحرف عند النطق ، فالمخرج بمثابة الوزن والمقدار ؟ والصفة بمثابة المحك والمعيار .

٤ ـ لكل حرف صفات عدة لا تقل عن خمس ، ولا تزيد عن سبع .

والحرف الوحيد الذي له سبع صفات هو الراء ، فهي : مجهورة ، متوسطة ، مستفلة منفتحة ، مذلقة ، منحرفة ، مكررة .

ومثال ما له ست صفات الباء ، فهي : مجهورة ، شديدة ، مستفلة ، منفتحة ، مذلقة ، مقلقلة .

ومثال ماله خمس صفات الفاء فهي : مهموسةٌ ، رخوة ، مستفلة ، منفتحة ، مذلقة[1] .

(١) يرجع في بحث صفات الحروف إلى كتاب سيبويه ج ٢ ص ٤٠٥ ، والمقتضب للمبرد ج ١ ص ١٩٤ وما بعدها مرتين الجزرية ، والإقناع لابن الباذش ، والنشر لابن الجزري .

الباب الثاني

بحوث في القراءات

وفيه أربعة فصول

١ ـ الأحرف السبعة .

٢ ـ الأصول والفرش .

٣ ـ رسم المصحف ـ شبه وردود .

٤ ـ صور من الاحتجاج للقراءات .

الفصل الأول

الأحرف السبعة

الأحرف السبعة والقراءات السبع

من العبارات الشائعة على ألسنة الدارسين للقراءات ومن هم بسبب منها : عبارة الأحرف السبعة ، وعبارة القراءات السبع ، ووقع شيء من الخلط واللبس على غير أهل التحقيق .

فما أصل العبارتين ؟ وما العلاقة بينهما .

الأحرف السبعة :

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[١] زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة من الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلف في حلال ، ولا حرام[٢] . .

وقد ذكر ابن الجزري أنه تتبع طرق هذا الحديث في جزء مفرد

---

(١) رواه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ـ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين .

جمعه لذلك ، وبلغ عدد رواته عنده نحو عشرين صحابياً منهم أبو بكر وعمر وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل .

كما نقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام قوله بتواتر هذا الحديث[1] .

وأمام هذا النص نحاول أن نفهم أمرين :

أولهما : المقصود بالحرف .

الآخر : المقصود بالسبعة .

المقصود بالحرف

حرف كل شيء طرفه ، ووجهه ، وحافته ، وحَدُّه ، وناحيته ، والقطعة منه ، والحرف أيضاً واحد من حروف التهجي كأنه قطعة من الكلمة ، ويطلق على القراءة من القراءات التي يقرأ بها القرآن كقولهم : حرف أبي بن كعب ، وحرف ابن مسعود ، وقراءة كل إمام تسمى حرفاً[2] .

وفي بيان علم القراءات لمعنى الحرف لا يبتعدون عن المعنى اللغوي كثيراً .

قال ابن الجزري نقلاً عن الحافظ أبي عمرو الداني : معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم ههنا يتوجه إلى أمرين :

أحدهما : أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات ؛ لأن

---

(١) النشر جـ ١ ص ٧٠ ت محيسن .

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٣٠ ، ١٣١ والإبانة عن معاني القراءات ص ٤١ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧ ، وتفسير الطبري ج ١ ص ٤٧ .

الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس ، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ﴾[1] فالمراد بالحرف هنا الوجه ، أي على النعمة والخير ، وإجابة السؤل والعافية ، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله ، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر ، فهذا عبد الله على وجه واحد ، فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات ، والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى أن كل شيء منها وجه .

والوجه الثاني من معناها : أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره ، وكان كسبب منه ، وتعلق به ضرباً من التعلق كتسميتهم الجملة باسم البعض منها ، فلذلك سمى صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً ، وإن كان كلاماً كثيراً .

ثم يعقب ابن الجزري على كلام الداني بأن كلا الوجهين محتمل احتمالاً قوياً ، ثم يشير إلى قول عمر رضي الله عنه : سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وهذا النص يؤيد الوجه الثاني .

المقصود بالسبعة

اتفق العلماء على أنه لا يعني بالأحرف السبعة أن يكون الحرف الواحد مقروء على سبعة أوجه لأن ذلك لا يوجد ـ كما قال ابن الجزري

---

(١) سورة الحج/ ١١ .

(٢) النشر ج ١ ص ٧٣ ـ ٧٤ مع تصرف يسير .

في النشر ـ إلا في كلمات يسيرة مثل (أف ـ جبريل ـ أرجه ـ هيهات ـ هيت) .

لكنهم اختلفوا في المقصود بالأحرف السبعة .

الرأي الأول :

هي سبع لغات من لغات العرب .

وذلك على وجهين :

أولهما : كما تختلف لغات العرب في تناول معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ وتعبيرات مختلفة على ضوء هذه اللغات ، وقد روى هذا الفهم عن محمد بن السائب الكلبي وسليمان بن مهران الأسدي (الشهير بالأعمش) .

والآخر : أن القرآن الكريم في جملته لا يخرج عن سبع لغات من لغات العرب هي أفصحها فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلغة هذيل أو ثقيف أو هوازن[١] .

وقد أيد هذا الرأي أبو عبيد القاسم بن سلام بقوله : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ، وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً »[٢] .

واختلف العلماء في تحديد اللغات السبع .

فقيل هي لغات قريش ، وهذيل ، وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر[٣] وهذا قول أبي حاتم السجستاني .

---

(١) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، وممن قال به مكي بن أبي طالب راجع الإبانة ، ص ٧١ .

(٣) المرجع السابق .

وقال أبو عبيد : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن[١] .

ويمكن أن يعترض على الرأي القائل بأنها اللغات السبع : باختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح ، وكلاهما قرشي ، ولغتهما واحدة .

الرأي الثاني

أنها سبعة من المعاني ، أو الأحكام ، أو طرائق التعبير التي جاءت في الكتاب العزيز .

والقائلون بهذا لهم عدة تفسيرات .

فمنهم من قال : هي ، الحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال ، والإنشاء ، والإخبار .

ومنهم من قال : هي : الناسخ، والمنسوخ ، والخاص والعام ، والمجمل والمبين ، والمفسر .

ومنهم من قال : هي : الأمر ، والنهي ، والطلب ، والدعاء ، والخبر ، والاستخبار ، والزجر .

ومنهم من قال : هي : الوعد والوعيد ، والمطلق والمقيد ، والتفسير ،والإعراب، والتأويل[٢] .

وقد يحتج لهذه الآراء بحديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب ، على سبعة أحرف : زجر وأمر ،

---

(١) النشر ج ١ ص ٧٥ ، وراجع الإبانة لمكي ص ٧٢ - ٧٣ .
(٢) النشر ج ١ ص ٧٥ - ٧٦ .

وحلال ، وحرام ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال[1] . .

ويمكن أن نناقش هذا الرأي بما يأتي :

١ ـ الصحابة الذين اختلفوا ورفعوا الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام مثل عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم وأبي بن كعب ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص لم يختلفوا في تفسيره ، ولا أحكامه ، وإنما اختلفوا في قراءة حروفه[2] .

٢ ـ يبدو التكلف في عدّ الأبواب السبعة بحيث تفتقد التناسق ، ووحدة الأساس الذي قامت عليه القسمة ؛ إذ هي تخلط بين الأحكام الشرعية ، وطرائق التعبير ، وعلوم القرآن .

٣ ـ من جهة الحديث الشريف . . نرى الأبواب المذكورة فيه غير الأحرف السبعة ، على أن الحديث ذكر الأحرف والأبواب ثم فسر الأبواب ، أو يكون ما ذكره من حلال وحرام « لا تعلق له بالسبعة الأحرف ولا بالسبعة الأبواب بل إخبار عن القرآن هو كذا وكذا ، وجاءت الصفات السبع اتفاقاً[3] .

الرأي الثالث :

العدد لا مفهوم له ، ولا تراد به حقيقته ، والعرب يطلقون لفظ

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي ، ورواه الطبراني من حديث عمرو بن أبي سلمة المخزومي .

(٢) يقول مكي في هذا المعنى : إن عمر إنما سمع هشاماً يقرأ غير قراءته ، فأنكر عليه ، ولم يره بغير حكما ، ولا بحرف معنى في القرآن ، ويدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تخاصموا إليه في القراءة أمرهم بالقراءة ، فلما سمعوا صوب قراءتهم ، ولم يسألهم عن معان مستورة في نفوسهم ، إنما سمع ألفاظهم فصوبها . . الإبانة ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) النشر ج ١ ص ٧٦ .

السبع ، والسبعين ، والسبعمائة ، ولا يريدون حقيقته العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ، كما جاء في الآيات (كمثل حبة أنبتت سنابل) (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وفي الحديث الشريف : « الإيمان بضع وسبعون سنة » « إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة »[1] .

ويرى ابن الجزري أن الحديث بالصورة التي ورد بها يعني أن العدد بحقيقته مراد ومقصود ، لأن وجوه اختلاف القراءات يمكن حصرها في سبعة كما سنشير في الرأي التالي[2] .

ويفسر آخرون من علماء القراءات بأن التحديد بالسبعة بأن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة ، أو أن اللغات الفصحى سبع .

الرأي الرابع

ذهب إليه ابن الجزري[3] : وهو أنها سبعة أوجه من الاختلاف لا تخرج عنها قراءة ، على النحو التالي .

١ ـ اختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى مثل : (يحسَِب) بفتح السين وكسرها .

٢ ـ اختلاف في الحركات مع تغيير في المعنى دون الصورة مثل (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ »[4] . بنصب الميم من آدم أو رفعها ، وفتح التاء من كلمات » أو ضمها .

٣ ـ أن يكون التغيير في الحروف مع التغيير في المعنى دون

---

(١) الاتقان ج ١ ص ٤٥ والنشر ج ١ ص ٧٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق مع إختصار وتصرف ص ٧٧ ، وما بعدها .
(٤) سورة البقرة/ ٣٧ ، الأولى قراءة الجمهور والأخرى قراءة ابن كثير .

الصورة مثل قوله تعالى[1] : ﴿ هنالك تبلو ﴾ قرىء (تتلو) .

٤ ـ تغير في الحروف مع تغير في الصورة لا المعنى نحو (الصراط والسراط) (وبصطة وبسطة) .

٥ ـ تغير في الحرف والصورة والمعنى واحد وتختلف عن الصورة السابقة بأن هذه حدث فيها تقديم وتأخير بين حروفها مثل (يأتل ويَتَأَلَّ)[2] والسابقة استبدل فيها حرف بحرف .

٦ ـ التغيير بالتقديم والتأخير . قرىء ﴿ وقاتلوا وقتلوا ﴾[3] وقرىء ﴿ وقتلوا وقاتلوا ﴾ كما قرىء ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾[4] بالتقديم والتأخير وقرىء ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾[5] ﴿ وجاءت سكرة الحق بالموت ﴾ .

٧ ـ التغيير بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾[6] قرىء ﴿ وأوصى ﴾ .

الرأي الخامس

ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي . . ويرى فيه وجوه التغاير السبعة التي ترجع إليها القراءات غير الوجوه التي ذهب إليـه ابن الجزري ، وهي في مجملها أمور نحوية وتصريفية .

١ ـ اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث

---

(١) سورة يونس/ ٣٠ .

(٢) سورة التوبة / ٢٢ قرأ الجمهور « يأتل » وقرأ أبو جعفر (يتأل) على وزن يتفعل بمعنى الحلف فيهما (اتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٤ .

(٣) آل عمران/ ١٩٥ .

(٤) التوبة/ ١١١ .

(٥) ق .

(٦) البقرة/ ١٣٢ .

مثل : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ قرىء ﴿ لأمانتهم ﴾[1] بالإفراد .

٢ ـ الاختلاف في التصريف كقوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ قرىء ﴿ ربُّنَا باعَدَ ﴾ رب (مبتدأ) باعد فعل ماض كما قرىء بَعِّدَ) فعل ماض مضعف[2] .

٣ ـ الاختلاف بالإبدال سواء أكان إبدال حرف بحرف أم كلمة بكلمة .

مثال الأول : ﴿ ننشزها ﴾ قرىء ﴿ ننشرها ﴾ بالراء مع فتح النون الأولى[3] .

ومثال الثاني : ﴿ كالعهن المنفوش ﴾ قرأ ابن مسعود ، وهي قراءة أحادية شاذة (كالصوف المنفوش ﴾[4] .

٤ ـ الاختلاف في التقديم والتأخير في الحروف مثل : ﴿ أفلم ييأس ﴾ قرىء (﴿ يأيس ﴾[5] وفي الكلمات مثل : ﴿يقتلون ويقتلون ﴾[6] قرىء بالتقديم والتأخير .

٥ ـ الاختلاف بالزيادة والنقص مثل قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾[7] قرأ نافع وابن عامر ، وأبو جعفر بدون الواو ، والقراءتان صحيحتان .

---

(١) المؤمنون/ ٨ .
(٢) سبأ / ١٩ وراجع اتحاف فضلاء البشر ، ص ٣٥٩ .
(٣) البقرة/ ٢٥٩ ، وراجع غيث النفع في القراءات السبع للصفاقس ص ٧٢ .
(٤) القارعة/ ٥ .
(٥) سورة الرعد/ ٢١ وراجع الاتحاف ص ٢٧٠ .
(٦) التوبة/ ١١١ وراجع الاتحاف/ ص ٢٤٥ .
(٧) آل عمران / وراجع الاتحاف ص ١٧٩ .

٦ ـ الاختلاف في وجوه الإعراب ، مثل : ﴿ فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ ﴾[١] وقد أشرنا إلى القراءتين فيها وهي اختلافات الإعرابين بين الفاعل والمفعول به .

٧ ـ اختلاف لغات العرب في التفخيم والترقيق ، والهمز والتسهيل ، والإظهار والإدغام ونحو ذلك .

هذا وقد اتجه مكي ابن أبي طالب إلى رأي يكاد يجمع بين ما ذهب إليه الرازي وابن الجزري من وجوه التغاير السبعة ونسبه إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٦) هـ وابن شريح (٤٧٦هـ) وأكبر الظن أن الرازي وابن الجزري أخذا رأييهما منه .

الرأي السادس :

ذهب إليه شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، المعروف بأبي شامة المقدسي[٢] المتوفى سنة ٦٦٥ .

يرى أن الأحرف السبعة هي الأصول السبعة المطردة في القراءات وهي :

١ ـ وصل ميم الجمع وهاء الضمير وعدم ذلك .
٢ ـ الاظهار والإدغام .
٣ ـ والمد والقصر .
٤ ـ وتحقيق الهمز وتسهيله .
٥ ـ والإمالة وعدم الإمالة .
٦ ـ والوقف بوجوهه المتنوعة : الإسكان ، والروم ، والإشمام .

---

(١) البقرة/ ٣٧ وراجع سراج القاريّ المبتدي لابن الناصح ص ١٩١ المكتبة التجارية الكبرى .
(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ط . بيروت ص ١٢٧ .

٧ ـ الياءات من حيث الفتح والإسكان والاثبات والحذف .

وهذا الرأي على جانب كبير من الوجاهة وحسن الفهم إلا أن المفروض أن كل القراءات تندرج تحتها لكنا نلاحظ أن هذا التفسير مقصور على الأصول المطردة في القراءات ولا يتناول « الفرش » وتحته قراءات كثيرة غير مطردة .

الرأي السابع

أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع .

وهو رأي بالغ الضعف لأمور :

١ ـ القراءات كثيرة ومتعددة ولا حصر لها .

٢ ـ الحديث منذ عصر النبوة وإطلاقه على القراءات غير سديد ،. كما أن فيه تحديداً لمحتواه وإخلالاً بمضمونه العظيم الذي يبرز مدى التنوع التعبيري في أسلوب القرآن الكريمَ مع استبقاء سلامة المعنى واستقامته ، وبعده عن التناقض ، واحتفاظه بخصائص الفصاحة ، وأعظم مقومات البلاغة .

٣ ـ أن هذا رأي ناشيء عن لبس في الفهم أساسه ما شاع بين الأوائل من تسمية القراءة حرفاً .

رأي وتعليق

بعد أن عرضنا لهذه الآراء التي حاول أصحابها تفسير الحديث الشريف ، وبيان ما جاء فيه عن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم أستطيع أن أقرر ما يأتي :

١ ـ الرأي القائل بأنها القراءات السبع نشأ عن وهم سرى إلى نفوس الكثيرين بعد أن قدم ابن مجاهد كتابه « السبعة » وفيه قرر اختياره

للسبعة القراء ، أو القراءات السبع ، ومن هنا لا تصلح تفسير سديداً للحديث الشريف .

٢ ـ رأي أبي شامة المقدسي بأن العدد لا مفهوم له رأي قائم على نظر سديد ، وخبرة بأساليب العرب ، وهو رأي مقبول تماماً لأن أئمة القراءات ذكروا أن القراءات المقبولة كثيرة ومتعددة ، وسياق الحديث لا يعني أن العدد مقصود برغم ما قرره العلامة ابن الجزري في نقد هذا الرأي(١) .

٣ ـ يمكن ـ بعد هذا ـ أن تكون الآراء الأخرى مجتمعة داخلة في مفهوم الحديث صالحة لتفسيره ، فأصول القراءات داخلة في مفهوم الحروف السبعة ، ووجوه الإعراب والتصريف كذلك ، واختلاف لغات العرب لا شك أنه داخل في معنى هذا الحروف ليتأتى التيسير المراد وكذا اختلاف الأحكام الشرعية ، وتنوع الأساليب .

ومن التكلف الوقوف عند رأي واحد منها على أنه الصحيح أو الأولى بالقبول .

كيف وجدت الأحرف السبعة في القرآن ؟

على ضوء ما أسلفنا من وجوه قيلت في توجيه الأحرف السبعة ، وما انتهى إليه اختيارنا نريد أن نشير إلى أمرين :

---

(١) لاحظت تكلفاً واضحاً في تفسير الحروف السبعة بسبعة أحكام ، أو سبع لغات ، أو سبعة وجوه من ذلك رأي الإمام الرازي ، الذي ذكره : اختلاف الأسماء في الافراد والتثنية ، ثم ذكر الاختلاف في الإبدال ، ثم ذكر الاختلاف في الزيادة والنقص مع أنها كلها من قبيل الاختلاف في التصريف ، فكيف يصل العدد إذن إلى سبعة ؟ !

أولهما : كيف وجدت الأحرف السبعة في القرآن ؟

الآخر : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع هذه الأحرف .

وللإجابة عن السؤال الأول نقول على ضوء ما سبق .

إن الأحرف السبعة موزعة في القرآن الكريم ، في قراءاته الكثيرة ، والمتعددة والتي نقلت إلينا نقلاً صحيحاً ، متواتراً بأسانيدها المعتد بها ، وموافقتها لوجوه قوية في العربية ، وكذا لرسم المصاحف العثمانية .

وليس معنى هذا أنها منحصرة في قراءة أو رواية واحدة .

على أن وجهة نظر العلماء في هذا تختلف باختلاف رأيهم في معنى الأحرف السبعة .

وأما وجود الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية ، فقد اختلف رأي العلماء في ذلك على وجهين :

ذهب جماعة من القراء والفقهاء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ، وحجتهم أن الأمة لا يصح أن تهمل شيئاً من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، كما أن المصاحف العثمانية نقلت عن المصاحف التي كتبها أبو بكر وعمر، وأمر بترك ما سواها فلا بد أن تكون جامعة لهذه الحروف لأنه لا يصح النهي عن القراءة ببعضها ، كما أجمعوا على أنه لا يجوز ترك شيء من القرآن .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمنة لها ، لم تترك حرفاً منها[1] .

---

(١) النشر ج ١ ص ٨٥ .

الحكمة في تعدد الحروف والقراءات

وراء اختلاف الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، ووعتها قراءاته المتنوعة فوائد كثيرة ، وحكم بالغة . .

أولها : تيسير القراءة على القراء .

يقول مكي بن أبي طالب في شرح هذا الجانب : وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومئونة شديدة ، فيسر اللّٰه عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات(١) في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ليقرأ كل قوم على لغتهم على ما يسهل عليهم من لغة غيرهم ، وعلى ما جرت به عادتهم ، فقوم جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف ، وقوم بالفتح ، وقوم بالإمالة ، وكذلك الإعراب واختلافه في لغتهم »(٢) .

فاختلاف الاحرف ـ إذن ـ بهذه الصورة يسر على القارئين أسباب القراءة برغم اختلاف لغاتهم .

ثانيها : فيها برهان عظيم على سمو بلاغة القرآن ، ومنزلته في الإيجاز ؛ إذ يترتب على ذلك سعة الوعاء المعنوي للآية ، فتحمل معاني عدة متآخية ، كما تدعم أحكاماً متعددة تفهم من الآية .

ثالثها: سهولة الحفظ، وتيسير النقل؛ لأن حفظ كلمة ذات وجوه في الأداء أيسر من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات .

رابعها : في تعدد القراءات آية بالغة وبرهان قاطع على صدق

---

(١) هذا هو تفسير مكي للحروف السبعة ، وإن كان كلامه في نيسير القراءات يوحي بما أشرنا إليه من صلاحية كل الآراء في تفسير الحديث ما عدا الرأي القائل بأنها القراءات السبع .

الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمة الآية القرآنية ؛ إذ أنه برغم تعدد القراءات ، وتنوع الأداء لم يتطرق إليه تناقض ولا تضاد ، ولا تخالف بل يصدق بعضه بعضاً ، ويبين بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد ، وأسلوب واحد .

خامسها: فيه دلالة على عظمة هذه الأمة وشرفها التي تلقت هذا القرآن بحروفه المختلفة ، ووعته هذا الوعي ، وقامت بما ينبغي له من ضبط وإحكام ، ودقة في الأداء ، وتوفرت على وضع القواعد والأصول للعلوم التي من شأنها صيانة الكتاب العظيم ورعايته ، مما يجعل أعلام هذه الأمة محلاً لفضل الله ومثوبته وتكريمه .

سادسها: في تعدد القراءات سند لقواعد مختلفة نحوية وتصريفية مثل قراءة حمزة لقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحامِ ﴾ بجر الأرحام فاستشهد بها من قال بجواز العطف على المجرور دون إعادة الجار ، ومنها قراءات تفسر معنى لغوياً في قراءة أخرى مثل قراءة ابن مسعود : (وتكون الجبال كالصوف المنفوش) فإنها مفسرة للقراءة الأخرى **سادسها** : ما يكون في حجة في قضية من قضايا العقيدة تأييداً لأهل الحق ، ودفعاً لأهل الزيغ وذلك كقراءة (رأيت نعيماً ومَلِكاً كبيراً) بفتح الميم ، وكسر اللام ، وهي قراءة ابن كثير وغيره ، وهي دليل واضح على رؤية اللّٰه في الدار الآخرة .

سابعها : تأثير اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية .

اختلاف القراءات مجال خصب لآراء فقهية وتشريعية تدعم التشريع الإسلامي وتكسبه خصوبة ومرونة ، وطواعية في مواجهة مشكلات الحياة المتعددة والمتجددة .

وذلك على النحو التالي :

قد تأتي القراءة مبنية لحكم أجمع عليه الفقهاء كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره (وله أخ أو أخت من أم) ؛ إذ أن العلماء أجمعوا على أن الأخ في الآية هو الأخ لأم .

وقد تأتي مرجحة لحكم مختلف فيه ، كقراءة (أو تحرير رقبة مؤمنة) في كفارة اليمين فكان في هذه القراءة ترجيح لما اشترطه الشافعي من الإيمان في العبد المقرر عتقه .

وقد تكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة (يَطْهُرْن) (ويَطَّهرن) بالتخفيف والتشديد ينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها ، وتطهر بالاغتسال .

وقد تقدم القراءات أحكاماً شرعية متعددة كقراءة (وأرجلكم) بالخفض والنصب فإن الخفض يقتضي فرض المسح ، والنصب يقتضي فرض الغسل ، فبينهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسح للابس الخف ، والغسل لغيره .

وقد تكون القراءة موضحة لحكم يقتضي الظاهر خلافه مثل (فاسعوا إلى ذكر الله) يقتضي ظاهرها المشي فجاءت قراءة (فامضوا الى ذكر الله) رافعة لهذا الوهم[1] .

القراءات واللهجات :

ثامناً : تقدم قراءات القرآن لدارسها سجلاً عن اللغات المنتشرة عند العرب ، واختلافاتها الصوتية وفي البنية والإعراب . .

---

(١) النشر ج ١ ص ٨٠ إلى ص ٨٢ بتصرف .

القراءات السبع ، والقراء السبعة
كيف نشأت فكرة القراءات السبع ؟

القراءات كثيرة ومتعددة تتجاوز المئات ، والقراء ورواتهم آلاف مؤلفة ، وظهرت فكرة تحديد أئمة وقراءات تكون مرجعاً لأهل الأمصار ، وقدوة لهم .

يقول مكي : إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد ، كثيراً في الاختلاف فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين ، وكمال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى ، وعلمه بما يقرأ فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب اليهم ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر[1] .

هكذا شرح مكي الأسس التي قام عليها فيما بعد اختيار ما عرف بالقراءات السبع والقراء السبعة .

وقد ألف ابن جبير المقري كتاباً في القراءات وسماه : كتاب الثمانية ، ذكر فيه القراء السبعة المشهورين :

ابن عامر إمام أهل الشام .
أبو عمرو بن العلاء من البصرة .
وحمزة وعاصم والكسائي من الكوفة .
ونافع من المدينة .
وابن كثير من مكة .

---

(١) الإبانة ص ٨٦ .

وزاد عليهم يعقوب الحضرمي .

وكان عمل ابن جبير اتجاهاً من اتجاهات التحديد التي ظهرت في هذا العصر وأول من سبَّع السبعة أبو بكر بن مجاهد[1] وتابعه على ذلك من أتى بعده

وشاع أمر القراء السبعة ، والقراءات السبع .
وهذا التحديد أمر أكده العلماء .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد »[2] .

وهنا أمور لا بد من مناقشتها :
ماذا يعني التزام ابن مجاهد بالسبعة ؟
هل هذا التحديد يعني إهدار من سواهم ؟
ما القيمة العلمية لعمل ابن مجاهد ؟

أما التحديد بالسبعة فيمكن أن نجيب عنه بما يأتي :

١ ـ أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ، ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف .

٢ ـ أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمنع ذلك لأن عدد الرواة

---

(١) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي ، شيخ القراء ، ولد سنة ٢٤٥ بسوق العطش ببغداد ، وتوفي سنة ٣٢٤ (طبقات القراء ج ١ ص ١٢٩) .
(٢) راجع النشر ج ١ ص ٩٧ .

الموثوق بهم أكثر من أن يحصى[1] .

فهدف ابن مجاهد مجرد الموافقة في العدد « لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة ، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قُراءتهم »[2] .

هذه هي الأسباب وراء التحديد بالسبعة .

ولا يعني إهدار من سواهم .

وما دام قد تبين لنا حكمة التحديد بالسبعة عند ابن مجاهد ومن تابعه فقد اتضح لنا بناء على هذا أنه لا يعني عدم توثيق من سواهم ، وذلك لأمور .

١ ـ لم تترك القراءة بقراءة غيرهم ، أو اختيار من أتى بعدهم إلى الآن مثل قراءة يعقوب الحضرمي[3] وعاصم الجحدري[4] ، واختيار أبي حاتم[5] وأبي عبيد[6] .

٢ ـ اختلاف وجهات النظر في السبعة زيادة ونقصانا ، يقول

---

(١) الإبانة ص ٩٠ .

(٢) النشر ج ١ ص ٩٧ .

(٣) يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري أحد القراء العشرة ، إمام البصرة ومقرئها ، وهو أعلم الناس بالحروف والنحو توفي سنة ٢٥٠هـ .

(٤) هو عاصم بن أبي الصبن الحجدري البصري ، قرأ على نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر توفي سنة ١٢٨هـ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : سهل بن محمد بن عثمان إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة ، عرض على يعقوب الحضرمي ، وروى عن الأصمعي (ت سنة ٢٥٥) طبقات القراء جـ ١ ص ٣٢٠ .

(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام الحراساني الأنصاري صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر ، ورحل في طلب العلم توفي سنة ٢٢٤ وطبقات القراء جـ ٢ ص ١٧ .

مكي : « والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره ، وكان السابع يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب[1] ، وتم ذلك في عصر المأمون .

وفي كلام ابن تيمية الذي نقله عنه صاحب النشر جاء فيه قوله : ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء : لولا أن ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين[2] .

كما نقل صاحب النشر عن مكي : وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سببين ممـن هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلا السبعة ، على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة » ثم ذكر مكي أمثلة لذلك ، فذكر أبو حاتم الذي ترك ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق السبعة ، وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء نحو خمسة عشر رجلاً[3] .

٣ ـ مما أجمع[4] عليه علماء الإسلام والأئمة المتبعون للسلف أنه لا يتعين القراءة بهذه القراءات في جميع أمصار المسلمين ، فمن ثبت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة ،أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوَهما كما ثبت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتد بهم ، والمعدودين من أهل الإجماع والخلاف .

---

(١) الإبانة ص ٣٩ ، والنشر جـ ١ ص ٩٣ .
(٢) النشر ج ١ ص ٩٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .
(٤) ذكر هذا الإجماع صاحب النشر ج ١ ص ٩٧ .

فمتى توافر في القراءة شروط القبول قرىء بها ولو كانت لغير السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد.

القيمة العلمية لعمل ابن مجاهد . .

لكن هذا العمل الذي عمله ابن مجاهد له قيمة علمية كبيرة .

هو أنه وضع أمام الجماهير المسلـمة أنماطاً محددة من القراءات معتداً بها ، دفعا لما يترتب على اختلاف القراءات الكثيرة من نوع من الفوضى لدى غير الواعين بأبعاد هذا العلم فقدسَـنَّ منهج التحديد ، وهو نافع بلا ريب .

وجاء بعده من ذكر القراءات العشر ، وقراءها ، وأضاف الى السبعة أبا جعفر المدني ، وأبا يعقوب البصري ، وخلفا العاشر البغدادي .

ويبدو لنا من خلال النصوص السابقة أن العلماء الذين جاءوا بعد ابن مجاهد ارتضوا عمله ، ووافقوا عليه وتلقوه بالقبول ، وقد أسلفنا قول من قال : لولا ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانه يعقوب . .

وثمرة صنيع ابن مجاهد باقية إلى عصرنا الحاضر فيما نراه من الدقة والانضباط[1] واجتماع العالم الإسلامي على الشاطبية والتيسير ، مع علمنا بقيمة القراءات الأخرى التي استوفت شروط القبول .

---

(١) راجع السبعة لابن مجاهد ـ مقدمة د. شوقي ضيف ص ٢٣ .

الفصل الثاني

الأصول والفرش

تطلق كلمة « الأصول »[1] في القراءات على الظواهر القرائية التي تمثل أحكاماً مطردة في كل السور .

وسنتحدث هنا عن « الأصول » التالية بما يحدد موقف القراء منها ، وقد نجد أنفسنا مضطرين لتناول ما يتصل بها من أحكام التجويد ؛ ليكون الحديث فيها وافياً متكاملاً . وهي :

١ ـ الوقف والابتداء .
٢ ـ الإدغام والتبيين .
٣ ـ المد والقصر .
٤ ـ الهمز والتليين .
٥ ـ الإمالة والفتح .
٦ ـ التفخيم والترقيق ـ الراءات واللامات .
٧ ـ الهاءات .
٨ ـ أحكام الياءات ـ الإثبات والحذف .
٩ ـ وصل ميم الجمع وهاء الضمير .

---

(١) قال الجرجاني : الأصول : جمع أصل وهي اللغة عبارة عما يفتقر إليه ، ولا يفتقر هو إلى غيره التعريفات ص ١٨ .

ويقابل الأصول ما يسمى بالفرش : وهو ما كان غير مطرد من حروف القراءات ، أو ما قل دوره منها ، وسميت فرشاً ؛ لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور دون أصل يجمعها صارت كالمفروشة بخلاف الأصول التي تتصف بالاطراد ، وبعض القراء يسمون الفرش فروعاً في مقابلة الأصول(١) .

ويرى شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، المعروف بأبي شامة المقدسي أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم هي هذه الأصول التي أشرنا إليها مع مزج بعضها ببعض على النحو الذي بيناه فيما سبق(٢) .

وهذا الرأي أغفل الأحكام غير المطردة ، وهي المعروفة بالفرش أو الفروع ، كما أنه من ناحية أخرى نرى الأصول أكثر من سبعة ، كما هو واضح .

١ ـ الوقف والابتداء

الوقف في اللغة : الكف والحبس .

وفي اصطلاح القراء : عبارة عن قطع الصوت عند آخر الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض عنها(٣) .

ولدراسة الوقف على منهج القراء ، وفي علم القراءات جانبان(٤) :

---

(١) سراج القارىء المبتدي وتذكرة المقرىء المنتهي لابن القاصح ص ١٤٨ الحلبي مصر والاتحاف ص ١١٨ .

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي ت ٦٦٥هـ ط بيروت ص ١٢٧ .

(٣) النشر جـ ١ ص ٣٣٤ ، الاتحاف ص ١٠٠ ، هداية القارىء ص ٣٧١ .

(٤) النشر ج ١ ص ٣٢٣ بتصرف .

أولهما : معرفة ما يوقف عليه ، وما يبتدأ به . وهذا قضية يحددها المعنى ، ويحكم فيها السياق ، وتتصل بتجويد الأداء .

والآخر : كيف يوقف على الكلمة ، وكيف يبتدأ ؟ ، وما يحدث في هذا الصدد من صور صوتية أو تصريفية[1] .

أهمية دراسة الوقوف :

وبخاصة الجانب الأول ؛ إذ أن دراسته على جانب كبير من الأهمية لصلته الوثيقة بإبراز المعنى الذي يحتمه السياق ، كما يكون مفسداً للمعنى ومغيِّراً له إذا وقف القارىء وقفاً غير صحيح .

روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : الترتيل معرفة الوقوف ، وتجويد الحروف .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيتعلم حلالها، وحرامها، وأمرها ، وزاجرها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها[2] . وقول ابن عمر هنا : لقد عشنا برهة يدل على إجماع الصحابة على ذلك .

وصح عن الشعبي وهو من أئمة التابعين علماً وفقهاً ومقتدى أنه قال : إذا قرأت (كلُّ من عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ (ويبقى وجه

---

(١) الوقف : في علم الصرف تختص بحوثه بالجانب الثاني ، والفرق بينه وبين الوقف في القراءات أن الأخير مقصور على ما وردت به الأسانيد المتواترة ، فلا يلزم في كل وقف جائز تصريفياً ، أن تكون صورته جائزة في القراءات .

(٢) كتاب القطع والائتناف لأبي جعفر النحاسي تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر ـ بغداد سنة ١٩٧٨ ص ٨٦ ـ ٨٧ وما بعدهما والكتاب كله موسوعة توفرت على دراسة مواضع الوقف في القرآن الكريم مستندة إلى معاني الآيات ، ومواقع الاعراب .

ربك ذو الجلال والإكرام)[1] .

بهذا يستبين لنا أهمية هذا الجانب من جوانب الوقف ، وأنه يسهم إسهاماً كبيراً في الترتيل الصحيح للقرآن الكريم .

ولكي يعرف الإنسان التالي للكتاب العزيز أين يقف ؟ يجب أن يعرف ما يأتي :

الوقف نوعان : اضطراري ، واختياري .

أما الاضطراري فيكون عند انقطاع النفس ، وتعذر مواصلة القراءة لسبب من الأسباب الخارجة عن طاقة القارىء ، فيقف حيثما اتفق له ولو كان موقفاً قبيحاً أو غير مناسب . حتى إذا استجمع القارىء نفسه واصل القراءة مبتدئاً البداية المناسبة التي تبرز المعنى الصحيح للآية .

مثاله أنه يضطر القارىء الى الوقوف عند قوله تعالى : ﴿ فبهت الذي كفر والله . . ﴾ فمثل هذا عندما يواصل القراءة يقول : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ، وهو المعروف بالوقف القبيح .

وأما الوقف الاختياري ، فله عدة أحكام حسب طبيعة الموقف الذي اختاره القارىء وهي :

١ ـ الوقف التام .

٢ ـ الوقف الكافي .

٣ ـ الوقف الحسن .

٤ ـ الوقف السنة .

١ ـ الوقف التام :

وهو أن لا يكون للكلام الذي تقف عليه تعلق بما بعده من ناحية

---

(١) النشر ج ٢ ص ٢٩٨ . ٣١٦ .

اللفظ أو المعنى وأكثر ما يكون في رؤوس الآيات ، وانقضاء القصص .

مثل ﴿ مالك يوم الدين ﴾ والابتداء بالآية ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

ومثل ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ والابتداء بالآية ﴿ وإذ قال ربك للملائكة ﴾ .

وقد يكون الوقف تاماً قبل انقضاء الآية .

مثل قوله تعالى : ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ وإلى هنا انتهى كلام ملكة سبأ ، وتم المعنى .

ويكون الابتداء بعد هذا بقوله تعالى : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ وهو رأس الآية .

وقد يلزم لتمام الوقف أن تأتي بعد نهاية الآية بجزء من الآية التي بعدها ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون . وَلَدَ اللهُ ﴾ فالوقوف على رأس الآية (يقولون) لا يكون وقفاً تاماً ؛ لأن المعنى لا يتم إلا بإضافة هذا الجزء إليه .

وأحياناً يكون الوقف تاماً على تفسير أو إعراب ، وغير تام على تفسير أو إعراب آخر .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ إلى هنا تم الكلام ، وما بعده مستأنف وهو قول عائشة وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ، ومذهب أبي حنيفة ، وقال بـه من أئمة العـربية الفـراء والأخفش ، وأبو حاتم وسواهم ، ومن أئمة القراء : نافع والكسائي ويعقوب . قال عروة : والراسخون في العلم لا يعلمون التأويل ، ولكن يقولون آمنا به .

وهـذا الوقف غيـر تام عنـد آخرين ، والتمـام عنـدهم على

(والراسخون في العلم) فهو عندهم معطوف وذهب لهذا الرأي كثير من المفسرين والأصوليين كابن الحاجب[1] .

هذا وتتفاضل درجات التمام في الوقف التام حسب درجات اكتمال المعنى .

٢ ـ الوقف الكافي :

ويكون الوقف كافياً إذا كان ما نقف عليه له ارتباط بما بعده في المعنى دون اللفظ ، وسمى بذلك للاكتفاء به عما بعده .

وهو كالوقف التام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده .

ويكثر في رؤوس الآي وفي غيرها مثل قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ .

وقد تتفاضل درجات الكفاية فالوقف على قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ كاف وعلى قوله : ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ أكفى منه ، ولو وقفت على قوله تعالى : ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ كان أكفى منهما .

وقد يكون الوقف كافياً على تفسير أو إعراب ، ويكون غير كاف على إعراب آخر .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ فالوقوف هنا كاف إذا جعلت « ما » في العبارة التالية ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ نافية ، فإن جعلتها موصولة كان الوقف غير كاف .

٣ ـ الوقف الحسن :

ويكون الوقف حسناً إذا كان ما تقف عليه له ارتباط بما بعده لفظاً ،

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، والنشر ج ١ ص ٣١٩ .

وسمى بذلك لأنه في نفسه حسن ومفيد ، لكن لا يجوز الابتداء بما بعده لتعلقه به لفظاً إلا إذا كان رأس آية فإنه يوقف عليه تنفيذاً للسنة كما سنشير لذلك بعد .

ومثاله الوقف على ﴿ بسم الله ﴾ وعلى ﴿ الحمد لله ﴾ وعلى ﴿ رب العالمين ﴾ .

وقد يكون الوقف حسناً على تقديراً ، وكافياً على تقدير آخر ، وتاماً على تقدير ثالث .

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ يجوز أن يكون حسناً إذا جعلت (الذين يؤمنون) صفة للمتقين . وإن جعلتها خبر المبتدأ محذوف ، أو مفعولاً لفعل محذوف كان كافياً ، وإن جعلته مبتدأ خبره وأولئك على هدى من ربهم كان الوقف تاماً .

٤ ـ الوقف السنة :

وهو الوقف على رءوس الآيات .

وقد أجازه أكثر القراء ، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما ترويه عنه أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ﴾[١] .

ومن هنا سمى هذا الوقف : الوقف السنة ، كما ذهب الى ذلك بعض القراء .

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وأحمد ، وهو حديث حسن وسنده صحيح ، وراجع النشر ج ١ ص ٣١٨ .

وقال أبو عمرو[1] : وهو أحب الي .

واختاره البيهقي في شعب الإيمان وغيره من العلماء وقالوا : الأفضل الوقوف على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعده ؛ لأن اتباع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أولى[2] .

ولا يعني الوقف على رءوس الآية تنفيذاً للسنة أن يبدأ القارىء بما بعدها ، فقد يكون البدء موهماً معنى فاسداً مثل قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ﴾ فإذا وقفت على رأس هذه الآية تنفيذاً للسنة وجب عليك عند البدء أن تقول : ﴿ ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ الصافات / ١٥١ ، ١٥٢ .

كما ينبغي أن نعلم أن الوقف على رءوس الآي قد يكون تاماً ، وقد يكون كافياً ، وقد يكون حسناً .

٥ ـ الوقف اللازم أو الواجب :

هذا نوع من الوقف الاختياري لا يخرج عن دائرة الأنواع السابقة ، وقد اختار له بعض علماء القراءات[3] هذا الاسم تعبيراً عن مزيد استحباب الوقف في هذا الموضع دفعاً لوهم يتسرب الى الذهن عند الوصل ، وليس المراد باللزوم أو الواجب الواجب الفقهي بمعنى أنه يعاقب على تركه .

مثال الوقف اللازم التام : ﴿ فلا يحزنك قولهم : إنا نعلم ما

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء قارىء البصرة وإمام من أئمة اللغة والنحو .

(٢) راجع النشر ج ٢ ص ٣١٨ .

(٣) الذي سماه لازماً هو أبو عبد الله محمد بن طيفور السنجاوندي ، وغيره من العلماء سماه « الواجب » راجع النشر ج ١ ص ٣٢٤ .

يسرون وما يعلنون ﴾[1] فالوقف على (قولهم) ، والابتداء من (إنا نعلم) .

ومثال الوقف اللازم الكافي : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ والابتداء بقوله تعالى ﴿ يخادعون الله ﴾[2] لئلا نتوهم أن الحال صفة .

ومثال الوقف اللازم الحسن : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ﴾ والابتداء ﴿ إذ قربا قرباناً ﴾[3] لئلا يوهم أنه « إذ » معمولة للفعل (واتل) .

٦ ـ الوقف القبيح :

هو الوقف الاضطراري عندما ينقطع النفس فيضطر القارىء إلى أن يقف موقفاً لا يفيد أو يفسد المعنى ولا يتأتى هذا الوقف في حالة الاختيار وإلا أثم القارىء .

ومن أمثلة الوقف على ﴿ بسم ﴾ أو ﴿ الحمد ﴾ .

وتتفاوت درجات القبح فالوقف على قوله تعالى : ﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه ﴾[4] قبيح جداً لما يترتب عليه من فساد المعنى ، وأن الأبوين يشتركان مع البنت في نصف التركة .

ومثل الوقف على قوله تعالى : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى ﴾[5] ؛ إذ يترتب عليه محال وهو أن الموتى يستجيبون مع الذين يسمعون وليس الأمر كذلك .

---

(١) سورة يس/ ٧٦ .
(٢) سورة البقرة/ ٩ .
(٣) سورة المائدة/ ٢٧ .
(٤) سورة النساء/ ١١ .
(٥) سورة الأنعام/ ٣٦ .

وأقبح منهما الوقف على قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيى ﴾[1] لما يترتب عليه من سوء الأدب ونسبة ما لا يليق لله سبحانه وتعالى .

ومما ينبغي لنا أن نعلمه من اصطلاحات القراء أنهم إذا قالوا : لا يوقف على كذا ، معناه أنه لا يبتدأ بما بعده ، فحيثما يجوز الوقف يجوز الابتداء .

« موقف أئمة القراء من مواضع الوقف والابتداء »

نافع قارىء المدينة كان منهجه أن يتخير محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى .

وابن كثير كما روى عنه أبو الفضل الرازي كان يراعي الوقف على رءوس الآي مطلقاً ، ولا يعتمد في أوساط الآي وقفاً إلا في مواطن ثلاثة : ﴿ وما يعلم تأويله الا الله ﴾[2] ﴿ ما يشعركم ﴾[3] ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾[4] ومعنى هذا أنه كان يلتزم السنة في الوقف على آخر كل آية مضيفاً إليها هذه المواطن الثلاثة من الأوساط حتى إنه ذكر أنه لا يبالي بعده هذه الثلاثة : أين يقف ، بمعنى أنه لا يقف في غيرها إلا اضطراراً .

وعمرو بن العلاء كان يتعمد الوقف على رءوس الآي ويقول هو أحب الي .

وأما عاصم فقد روى عنه أبو الفضل الرازي أنه كان يراعي حسن الابتداء .

---

(١) سورة البقرة/ ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران/ ٧ .
(٣) سورة الأنعام/ ١٠٩ .
(٤) سورة النحل/ ١٠٣ .

وذكر الخزاعي أنه عاصماً والكسائي كانا يطلبان الوقف حيث يتم الكلام .

واتفقت الرواة عن حمزة أنه كان يقف عند انقطاع النفس ، وعللوا ذلك بأن قراءته تعتمد على التحقيق والمد الطويل ، ولكن ابن الجزري يعلل ذلك بأن القرآن عنده كالسورة الواحدة ، فلم يكن يتعمد وقفاً معيناً(١) .

وبقية القراء يراعون الحسن في الوقف والابتداء ، كما حكى عنهم الإمامان : أبو الفضل الخزاعي ، وأبو الفضل الرازي .

الوقف المتكلف :

قد يتجه بعض القراء أو المعربين ، أو أصحاب الأهواء الى تكلف أنواع من الوقف والابتداء من شأنها أن تخرج معنى الآية عن مساره الصحيح الى معنى آخر قد يكون مقبولاً لكنه غير مراد ، ولا يساير السياق .

وهذا اتجاه خاطىء في تلاوة الكتاب العزيز إن لم يكن تحريفاً للكلم عن مواضعه(٢) ، ومحاولة ضالة ، وضارة بالمعاني السامية التي تحملها الآيات الحكيمة .

من أمثلة هذه الوقوف المتكلفة .

الوقف عند قوله تعالى : ﴿ واغفر لنا ، وارحمنا أنت ﴾ والابتداء

---

(١) النشر جـ ٢ ص ٣٣٢ ، وهو الذي اعتمدنا عليه في بيان مواقف أئمة القراء من الوقف .

(٢) النشر جـ ١ ص ٣٢٤ .

بقوله : ﴿ مولانا فانصرنا ﴾[1] على معنى النداء .

الوقف عند قوله تعالى : ﴿ ثم جاءوك يحلفون ﴾ ثم الابتداء بقوله : ﴿ بالله إن أردنا ﴾[2] على معنى القسم .

الوقف عند قوله تعالى : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح ﴾ ثم الابتداء بقوله : ﴿ عليه أن يطوف بهما ﴾[3] على أن الجار والمجرور خبر .

الوقف عند قوله تعالى : ﴿ عينا فيها تسمى ﴾ ثم الابتداء بقوله ﴿ سل سبيلا ﴾[4] ويكون المعنى عينا فيها مسماه ، واسأل طريقاً موصلة إليها .

ومثل هذا التكلف كثير يأباه سياق الكتاب العزيز .

تعانق الوقف (المراقبة) :

قد يجيز بعض القراء الوقف على حرف ، ويجيز آخرون الوقف على حرف آخر ، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد ، فإذا وقفت على أحدهما امتنع الوقف على الآخر .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾[5] فمن أجاز الوقف على « لا ريب » لا يجيزه على « فيه » والذي يجيزه على لفظ « فيه » يمنع الوقف على « لا ريب » .

ومثله أيضاً : من أجاز الوقف على ﴿ وما يعلم تأويله الا الله ﴾ يمنعه على[6] ﴿ والراسخون في العلم ﴾ ومن أجازه على ﴿ الراسخون في العلم ﴾ يمنعه على ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ .

---

(١) البقرة/ ٢٨٦ .
(٢) النساء/ ٦٢ .
(٣) البقرة/ ١٥٨ .
(٤) الأنساب/ ١٨ .
(٥) البقرة/ ٢ .
(٦) آل عمران/ ٧ .

يقول ابن الجزري : وما بين هذين الوقفين يسمى « مراقبة » ، وأول من نبه على « المراقبة » في الوقف الإمام أبو الفضل الرازي أخذه من المراقبة في العروض[1] .

الوقف والقطع والسكت :

أما الوقف فقد عرفنا أنه عبارة عن قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة .

وأما القطع فهو قطع القراءة رأساً ، فكأن القارىء أعرض عن القراءة لعمل آخر ، والقطع لا يكون إلا على رءوس الآيات كما اشترط ذلك وسار عليه جمهور القراء .

روى عن ابن أبي الهذيل ، وهو تابعي مشهور أنهم كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآية ويدعوا بعضها »[2] وهذا قول عام يشمل القراءة في الصلاة أو خارجها ، وقوله : « كانوا » يشير الى أن يحكي أعمال الصحابة .

وأما السكت : فهو عبارة عن قطع الصوت زمناً ، هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس .

ولأئمة القراءة اتجاهات متعددة في تأدية السكت تختلف طولاً وقصراً لكنها بصفة عامة دون الوقف .

وفي رواية حفص عن عاصم ـ كما جاء في الشاطبية وشروحها يحسن السكت في المواضع التالية من الكتاب العزيز :

قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم

---

(١) النشر جـ ٢ ص ٣٣١ .

(٢) النشر ج ٢ ص ٣٣٣ .

يجعل له عوجاً ﴾[١] .

قوله تعالى : ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾[٢] .

قوله تعالى : ﴿ فإذا بلغت التراقي ، وقيل من ﴾[٣] .

قوله تعالى : ﴿ كلا بلْ . . . ﴾[٤] .

هذا « والسكت » مقيد بالسماع والنقل ، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به ، ويكون ذلك مراعاة للمعنى ، أو تحقيقاً لغرض معين ، أو دفعاً لشبهة تعرض في حالة عدم السكت .

وذهب ابن سعدان فيما حكاه عن أبي عمرو ، وأبي بكر بن مجاهد فيما حكاه عنه أبو الفضل الخزاعي الى أنه جائز في رءوس الآي مطلقاً ، حالة الوصل لقصد البيان .

وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك[٥] .

سكت حمزة .

وكان حمزة يسكت على كل ساكن بعده همزة من كلمة أخرى سكتة خفيفة يريد بذلك التجويد والتحقيق وتبيين الهمزة لا الوقف[٦] نحو : (قد أفلح - من آمن - عذابٌ أليم - عليهم أأنذرتهم - جديد أفترى - خَلَوْا إلى ﴾ فإذا كان الساكن حرف مد نحو (قالوا آمنا ﴾ لم يسكت ، وكذلك

---

(١) الكهف/ ١ .

(٢) سورة يس/ ٥٢ .

(٣) سورة القيامة/ ٢٧ .

(٤) سورة المطففين/ ١٤ .

(٥) النشر جـ ٢ ص ٣٣٧ .

(٦) الإقناع ج ١ ص ٤٨٢ وقد أشار فيه ابن الباذش إلى أنه قرأ بالسكت على أبيه وعلى غيره من طريق أبي عمرو ، ومن طريق خلف وحده .

إن كان الساكن مع الهمزة في كلمة نحو ﴿ يَنْأَوْنَ يَجْأَرون ﴾ وفي المسألة تفصيلات أخرى[١] .

كيف تقف ؟

وهذا هو الجانب الثاني من جانبي الوقف .

توفر علماء التصريف على دراسة الوقف ، والوجوه التي يأتي عليها ، كما عرفها اللسان العربي ، ومنها السكون المجرد ، والروم[٢] ، والإشمام[٣] ، وإبدال الألف في المنصوب المنون ، وإبدال تاء التأنيث هاء ، ونحوها من الظواهر التصريفية والصوتية[٤] .

وليس كل ما جاز في العربية جاز في القراءات ؛ لأن القراءات بجانب موافقتها لقواعد اللسان العربي الفصيح الذي نزل به الكتاب العزيز هي سنة متبعة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

ومهمتنا هنا أن نبرز ما ورد من هذه الوجوه في القراءات .

الوقف على المرفوع والمجرور .

روى أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف عن أبي جعفر الوقف بالروم ، وذلك في نحو (الدينِ) (نستعينُ) ونحو ذلك .

وقرأ الباقون بالسكون[٥] .

---

(١) راجع الاقناع جـ ١ ص ٤٨٢ وما بعدها ، والنشر ج ١ ص ٣٣٢ وما بعدها ط محيش .

(٢) الروم : الإتيان بالحركة خفية ، حرصاً على بيان الحركة التي تحرك بها آخر الكلمة في الوصل .

(٣) والاشمام : تصوير الفم عند حذف الحركة بالصورة التي يكون عليها حين التلفظ بها من غير صوت (النشر جـ ٢ ص ٢٨١ ـ الكشف جـ ١ ص ١٢٢ ـ الشافية جـ ٢ ـ ص ٢٧٥ .

(٤) راجع شرح الشافية ص ٢٧١ وما بعدها .

(٥) راجع إرشاد المبتدىء ص ١٠٠ وما بعدها والنشر جـ ٢ ص ٢٨٣ ، والأتحاف ص ١٠٠ ـ ١٠٢ .

الوقف على تاء التأنيث .

تقلب تاء التأنيث في الوقف هاء .

وكان الكسائي يقف على ما قبل تاء التأنيث المنقلبة هاء في الوقت بالإمالة عند خمسة عشر حرفاً يجمعها قولهم : فُجثت زينب لذود شمس مثل الفاء في (خليفة) (مصفوفة) والجيم في (زجاجة) (درجة) ونحوها .

وبميل الكاف إذا كان قبلها ياء نحو (الأيكة) أو كسرة نحو (ضاحكة) (مشركة) .

وبميل الراء إذا كان قبلها كسرة مثل (ناظرة) (فاخرة) أو ساكن نحو (سِدْره ـ عبرة) واستثنى (فطرة)[1] فلم يملها[2] .

ويبدو حرص الكسائي على الإمالة واختياره لها ، لأن رآها موافقة لخصائص العربية ، قيل للكسائي : إنك تميل ما قبل هاء التأنيث ، فقال : هذا طباع العربية[3] .

الوقف على المهموز .

تفرد حمزة بتخفيف كل همزة متوسطة ، أو متطرفة عند الوقف .

ووافقه هشام[4] على تخفيف المتطرفة خاصة .

وحقق ذلك سائر القراء غيرهما في الوقف كالوصل .

وإذا وقعت الهمزة بعد حرف زائد لا يغير الكلام حذفه لم

---

(١) جزء من الآية ٣٠ من سورة الروم .

(٢) راجع : رشاد المبتدىء ص ١٠٠ وما بعدها .

(٣) النشر جـ ٢ ص ٢٣٥ .

(٤) هو هشام بن عمار ، من الرواة عن ابن عامر ، عالم أهل دمشق ، وخطيبهم ومقرئهم توفي سنة ٢٤٥ ـ معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ١٦٠ .

تخفف[1] نحو « فإن ـ لأن ـ فبأي ـ والآخرة »[2] .

أما طريقة حمزة في تخفيف الهمزة عند الوقف فقد فصلها أبو العز الواسطي القلانسي في كتابه الإرشاد[3] ، وكذلك ابن البـاذُش في الإقناع ، ومكي في الكشف .

ويناقش مكي علة تخفيف الهمزة ، ويذكر ثقلها ، وبعد مخرجها ، وتصرف العرب من تغيير لفظها .

أما تخصيص التخفيف بالوقف دون الوصل فعلته « أن القارىء لا يقف إلا وقد وهنت قوة لفظه وصوته فيما قرأ قبل وقفه ، والهمزة حرف صعب اللفظ به ، فلما كان الوقف يضعف فيه صوت القارىء بغير همز ، كان فيما فيه همز أضعف ، فخفف الهمزة في الوقف للحاجة إلى التسهيل ، والتخفيف على القارىء ، مع أنها لغة للعرب ، ومع نقله ذلك من أئمته[4] ..

أما عامة القراء الذين اتجهوا إلى تحقيق الهمزة في الوقف متوسطة أو متطرفة فحجتهم أنهم أتوا بالهمزة على أصل الكلام ، وأنه وافق بين الوصل والوقف ، وأنه إجماع من القراء غير حمزة ، وأن التخفيف يحتاج إلى معاناة شديدة[5] .

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب جـ ١ ص ٩٥ .

(٢) هذه الحروف بالترتيب (البقرة/ ٢٤ ـ الرحمن/ ١٣ ـ الاعراف/ ١٨٥ ـ البقرة/ ٤ .

(٣) قال القلانس : كان حمزة يلين الهمزة في الوقف إذا سكنت ، ويقلبها إذا انضم ما قبلها واواً ، وإذا انكسر ياء ، وإذا انفتح ألفا ـ مثل المؤمنون . ذئب ـ اقرأ ـ من يشاء ـ ونحو ذلك وإن تحركت بالفتح منونه جعلت بين بين . . . الخ راجع إرشاد المبتدىء ـ تحقيق/ عمر الكبيس ـ رسالة مخطوطة بكلية اللغة العربية بإشرافنا .

(٤) الكشف جـ ١ ص ٩٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٩٨ .

وقد ألف أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاباً مفرداً في تخفيف الهمزة المتطرفة لحمزة وهشام ، وذكر أمثلته وعلله ، كما ذكر صور تخفيف الهمزة متوسطة ومتطرفة وعلل ذلك في كتابه الكشف عن وجوه القراءات السبع[1] .

الابتـداء

الحديث عن الابتداء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوقف .

وإذا قال القراء لا يجوز الوقف على كذا فمعنى هذا أنه لا يجوز الابتداء بما بعده . وإذا قيل يجوز الابتداء بكذا فمعنى هذا أنه يجوز الابتداء بما بعده .

ويتميز الابتداء بأنه لا يكون إلا اختيارياً ، فلا توجد ضرورة تدعو إليه ، ومن هنا لا يكون الابتداء إلا بما هو مستقل بمعناه ، موف بـالمقصود ، ولـه أقسام أربعـة كالـوقف ، فمنه التـام ، والكافي ، والحسن ، ومنه القبيح أيضاً . . وتتفاوت فيه درجات التمام والكفاية والحسن والقبح .

فالوقف على (ختم الله) قبيح ، والابتداء بلفظ الجلالة أشد من ذلك لفساد المعنى حينذاك والابتداء بختم « كاف » .

والوقف على (عزير بن) (والمسيح بن) قبيـح ، والابتداء « بابن » أقبح والابتداء بعزير وبلفظ المسيح أقبح منهما .

والوقف على قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ﴾ ضرورة ، والابتداء بما بعده قبيح .

وقد يكون الوقف حسناً ، والابتداء بالكلمة التي وقفت عليها قبيحاً .

---

(١) راجع الكشف من ص ١٠٠ إلى ص ١١٨ .

نحو : (يخرجون الرسول وإياكم) الوقف هنا حسن لتمام الكلام والابتداء «بإياكم» قبيح لفساد المعنى إذ يصير تحذيراً من الإيمان بالله تعالى .

وقد يكون الوقف قبيحاً والابتداء به جيداً نحو : (من بعثنا من مرقدنا هذا) فالوقف على «هذا» قبيح لأن فيه فصلاً بين المبتدأ وخبره، ولأنه يوهم الإشارة إلى مرقدنا ، وليس الأمر كذلك . والابتداء بهذا جيد لاستقامة المعنى معه .

٢ ـ الإدغام والإظهار

الإدغام معناه لغة : إدخال شيء في شيء لمناسبة بينهما ، قال الخليل : يقال : أدغمت الفرس اللجام ، أي أدخلته في فيه[١] .

وفي اصطلاح القراء : أن تصل حرفاً ساكناً . بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف ، فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعة واحدة[٢] .

أو هو : اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً[٣] .

والإدغام ـ بهذا ـ عملية صوتية تحدث عندما تتوافر أسبابها، ويترتب عليها أن يتحول الحرفان المتقاربان أو المتجانسان إلى متماثلين .

وهو ظاهرة يألفها اللسان العربي ، قال أبو عمرو بن العلاء : الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره[٤] وله

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ٤٩١ والكشف جـ ١ ص ١٤٣ .

(٢) الإقناع جـ ١ ص ١٦٤ .

(٣) النشر جـ ١ ص ٣٧٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٧٥ .

شواهد كثيرة في كلامهم .

أسباب الإدغام :

وللإدغام أسباب تهيىء لحدوثه ، وهي التماثل والتجانس ، والتقارب .

فالتماثل أن يتفقا مخرجاً وصفة كالباء في الباء ، والتاء في التاء ، وسائر الحروف المتماثلة .

والتجانس أن يتفقا مخرجاً ، ويختلفا صفة كالذال في الثاء ، والثاء في الظاء ، والتاء في الدال .

والتقارب أن يتقاربا مخرجاً أو صفة ، أو مخرجاً وصفة .

ويشترط في الأدغام التقاء الحرفين لفظاً وخطاً ، أو خطاً فقط .

وموانع الإدغام المتفق عليها ثلاثة : أن يكون الحرف الأول :

أ ـ تاء الضمير سواء أكان متكلماً أم مخاطباً مثل قوله تعالى : ﴿ كنت تراباً ﴾ ﴿ أفأنت تسمع ﴾ .

ب ـ أو مشدداً مثل قوله تعالى : ﴿ ربّ بما أنعمت علي) ﴿ أو أشد ذكراً ﴾ ﴿ مَسَّ سقر ﴾ .

جـ ـ أو كان منوناً مثل قوله تعالى : ﴿ غفور رحيم ﴾ ﴿ نعمة تمنها ﴾ ﴿ رجل رشيد ﴾ .

وللإدغام مذاهب شتى وصور متعددة في كلام العرب ، لكننا في القراءات نتوافر على ما ورد بسند صحيح متواتر ؛ لأن كل ما صح في العربية لا يلزم أن تصح القراءة به؛ إذ القراءة سنة متبعة ، والعكس صحيح ؛ إذ ما صح سنده ، ووافق المصحف العثماني لا بد أن يصح وجهه في العربية.

أحكام الإدغام

قال أبو جعفر بن الباذش : والحرف عند لقائه حرفاً آخر لا يخلو من أحد ثلاثة أقسام :

قسم لا يجوز فيه إلا الإدغام .
وقسم لا يجوز فيه إلا الإظهار .
وقسم يجوز فيه الإظهار والإضمار .

القسم الأول : ما يجب فيه الإدغام

صورته أن يكون الحرفان مثلين أو لهما ساكن .

كقوله تعالى : ﴿من نَّاصرين﴾ آل عمران/ ٢٢ ﴿يدركَكُّمُ الموت﴾ النساء/ ٧٨ ﴿فلا بسرف فِّي القتل﴾ الإسراء/ ٣٣ ﴿فما زالت تلك﴾ الأنبياء/ ١٥ .

وكذا كل حرف ساكن لقي مثله في جميع القرآن ، سواء أكان ساكناً أساساً أم أصله الحركة[١] .

وعلة الإدغام في هذه الحالة .

إرادة التخفيف ؛ لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ، ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه، ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك ، وشبهه النحويون بمشي المقيد ؛ لأنه يرفع رجلاً ثم يعيدها إلى موضعها، أو قريب منه ، وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين وهو ثقيل على السامع[٢] .

وتشبيه النحويين أدق لأنه يصور صعوبة النطق بالمثلين من الناحية

---

(١) الإقناع جـ١ ص ١٦٤ بتصرف .
(٢) الكشف جـ١ ص ١٣٤ .

العضوية ، وهي المعتبرة هنا أعني في الدرس اللغوي ، وفيما اتسم به الحرف القرآني من السهولة واليسر .

القسم الثاني : ما يجب فيه الإظهار

والإظهار عكس الإدغام بمعنى أن ينطق اللسان بالحرف مستقلاً بنفسه ، واضحاً بصفاته .

وصورته : أن يتباين الحرفان مخرجاً وصفة ، أو مخرجاً أو صفة .

واختلاف المخرج وإن قل من أسباب الإظهار ، وكذلك تباين الصفتين ، وكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتاً منه لذهاب ما يذهب منه من الصوت[١] .

وعلة الإظهار : أن الأصل إظهار الحروف ، وكان هو الأصل ؛ لأنه الأكثر ، والإدغام دخل لعلة فإذا لم توجد علة فلا بد من الرجوع إلى الأصل[٢] .

القسم الثالث : ما يجوز فيه الإظهار والإدغام

وهو ما اجتمع علة كل من الإظهار والإدغام كاختلاف الحرفين مع تقارب المخرج مثل (قالت طائفة) (ودت طائفة)[٣] وتماثل الحرفين مع فتح الأول مثل : (قال لهم) (ذهب بسمعهم)[٤] فنجد هنا سبباً للإدغام ، كما نجد سبباً للإظهار .

وقد يكون الإدغام في العربية أوجه ، وقد يكون الإظهار أوجه ، وقد يكونا متساويين على قدر القرب والبعد .

---

(١) الاقناع جـ ١ ص ١٧٠ .

(٢) الكشف جـ ١ ص ١٣٤ بتصرف .

(٣) الحرفان من سورة آل عمران (آية ٧٢ ـ ٦٩) .

(٤) الحرفان من سورة البقرة (آية ٢٤٧ ـ ٢٠٠ .

وهذا الباب طريقه الرواية ومن هنا كان محل عناية القراء وعلماء القراءات ، ويعتمدون عليه في التعليل لكل مروي .

وهو ينقسم عند القراء إلى قسمين : إدغام صغير ، وإدغام كبير .

الإدغام الصغير

ليس فيه إدغام متحرك ، ولا مثل[1] بل له مواطن معينة يلتزم فيها تتجاوز دائرة الإدغام القياسي المعروف في علم التصريف ، وهذا النوع له مسوغاته الصوتية التي تُحسِّنُهُ أو تجيزه ، كما أن الاعتماد فيه ـ كما أشرنا ـ على السند والرواية .

وهو عند القراء على قسمين .

القسم الأول : كلمات نطقها العرب ساكنة ، أو على تعبير القراء سكونها خلقه[2] .

وهي ستة أصناف .

١ ـ قدْ ٢ ـ إذ ٣ ـ تاء التأنيث المتصلة بالفعل ٤ ـ لام هل وبل ٥ ـ حرف الهجاء ويقصد بها التي في أوائل السور ٦ ـ النون الساكنة والتنوين[3] .

وقد فصلت كتب القراءات الروايات التي وردت بإدغام ما أدغم منها ، والقراء الذين قرءوا بها ولا نريد أن نفصل ذلك هنا ونحن نريد أن نقدم مدخلاً يعرف الباحث الخطوط العريضة فحسب .

(١) الاقناع جـ ١ ص ٢٣٨ وعرفه صاحب النشر بقوله ما كان أول الحرفين منهما ساكناً راجع جـ ١ ص ٣٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، والنشر جـ ١ ص

(٣) ذكر أبو العز في كتابه إرشاد المبتدىء وتذكرة المنتهي خمسة أصناف فقط ، ولم يذكر النون والتنوين راجع ص ٨٩ رسالة ماجستير تحقيق .

لكن سأقصر الحديث على سبيل المثال على ما قيل في واحد من هذه الستة .

قال أبو جعفر ابن الباذش : باب دال قد .

اتفقوا على إدغامها في مثلها ، والتاء نحو (وقد دّخلوا) المائدة/ ٦١ ولا يجوز غيره حسب ما قدمناه ، ونحو ﴿ وقد تّبين لكم ﴾ العنكبوت/ ٣٨ ويجوز الإظهار ، وقد رواه المسيّبي[١] .

واختلفوا فيها عند ثمانية أحرف : الجيم والسين ، والشين ، والصاد ، والزاي ، والذال ، والضاد ، والظاء نحو : ﴿ لقد جاءكم ﴾ التوبة/ ١٢٨ ﴿ لقد سمع ﴾ آل عمران/ ١٨١ ﴿ قد شغفها ﴾ يوسف/ ٣٠ وليس غيره و﴿ لقد صدقكم ﴾ آل عمران/ ١٥٢ و ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ الأعراف/ ١٧٩ وليس غيره و ﴿ لقد زينا ﴾ الملك/ ٥ و ﴿ لقد ضربنا ﴾ الروم/ ٥٨ و﴿ لقد ظلمك ﴾ ص/ ٢٤ .

فقرأ ابن كثير وقالون وعاصم بإظهار الدال عند الثمانية .

وأدغم ورش في الظاء والضاد .

وأدغم ابن ذكوان في الذال والضاد والظاء ، زاد له غير الفارسي[٢] الزاي .

الباقون وهم : أبو عمرو وحمزة والكسائي وهشام بالإدغام في الثمانية .

---

(١) المسيبي هو أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المسيِّبي ، قيّم في قراءة نافع ضابطا لها، عالم بالحديث آخذ عنه ولده محمد ، وخلف بن هشام وغيرهما توفي سنة ٢٠٦هـ .

(٢) هو أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد بن إسحاق الفارسي يعرف بابن غسان ، مقرىء نحوي ، شيخ صدوق ، قرأ عليه أبو عمر والداني توفي سنة ٤١٢هـ .

القسم الثاني : ما كان سكونه عن حركة

وصورته : أن يكون الحرفان اللذان وقع فيهما الإدغام متقاربين مخرجاً ، وكان سكون أولهما غير أساس بأن كان نتيجة لوضع إعرابي .

وقد ذكر له القراء تسعة أنواع :

١ ـ الباء مع الفاء ٢ ـ الباء عند الميم ٣ ـ الثاء عند التاء ٤ ـ الثاء عند الذال ٥ ـ الدال عند الثاء ٦ ـ الذال عند التاء ٧ ـ الراء عند اللام ٨ ـ اللام عند الذال ٩ ـ الفاء عند الباء .

وتحدد الروايات ما نقل من إدغام في هذه المواضع التسعة .

ومثال ذلك ما قاله القراء من إدغام في باب الباء عند الفاء . على النحو التالي :

وجملة ذلك خمسة مواضع[1] في النساء/ ٧٤ ﴿ أو يغلبْ فسوف نؤتيه ﴾ وفي الرعد/ ٥ ﴿ وإن تعجبْ فعجب ﴾ وفي سبحان[2]/ ٦٣ ﴿ اذهب فمن تبعك ﴾ وفي طه/ ٩٧ ﴿ فاذهب فإن لك ﴾ وفي الحجرات/ ١١ ﴿ ومن لم يتب فأولئك ﴾ .

فأدغم فيهن أبو عمرو والكسائي بلا خلاف عنهما ، وخلاد وهشام[3] بخلاف عنهما والذي ثبت عن الجوهري[4] عن خلاد ، وعن

---

(١) هذا النص بكامله من كتاب الإقناع لابن الباذش جـ ١ ص ٢٦٢ وما بعدها .

(٢) سورة الاسراء .

(٣) خلاد أحد الرواة عن حمزة ، وهشام أحد الرواة عن ابن عامر وقد ترجمنا لهما في فصل القراء .

(٤) هو أبو بكر محمد بن شاذان ، مقرىء حاذق ، مشهور ، روى القراءة عرضاً عنه الحسن بن شنبوذ ، وأبو بكر النقاش ت سنة ٢٨٦ .

الحلواني عن هشام الإدغام[1] وبه قرأتُ[2] على أبي القاسم من طريفهما عنهما .

وقرأت على أبي رضي الله عنه ، وعلى ابن شريح بالإدغام لخلاد ، وبالإظهار لهشام وكذلك ذكر أبو الطيب .

وقال أبو عمرو[3] وخيّر خلاد في ﴿ ومن لم يتب فأولئك ﴾ وخيرني فارس بن أحمد لهشام ، فقرأت عليه بالوجهين ، وبالإظهار آخُذُ .

قال أبو جعفر[4] : بالإدغام آخذ لهما في الباب .

وقال الأهوازي : سمعت أبا عبد الله العجلي[5] يقول : وجدت الحذاق من أهل الآداء على إخفائها عند الفاء عن اليزيدي عن أبي عمرو .

الباقون بالإظهار في الخمسة .

هذه صورة لما ورد من خلافات حول الإظهار والإدغام في الموضع الأول من المواضع التسعة وعلى هذه النحو توفرت كتب القراءات على ما ورد من روايات حول الخلاف في المواضع الباقية .

وقد تحدث مكي عن أحكام الإدغام الصغير بصورتيه . يقول : واعلم أن الإدغام إنما يحسن في غير المثلين ويقوى إذا سكن الأول ،

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن يزيد الحلواني ، إمام كبير قرأ بمكة على النواس ، وبالمدينة على قالون توفي سنة ٢٥٠هـ .
(٢) هذا كلام ابن الباذش .
(٣) أبو عمرو الداني ، انظر التيسير ص ٤٤ .
(٤) هو ابن الباذش .
(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله العجلي اللالكائي المقرىء ، وهو شيخ متصدر صاحب القصيدة الرائية التي عارض بها قصيدة أبي مزاحم الخاقاني ، قرأ عليه أبو علي الأزهري وآخرون .

وهو على ضربين : أحدهما : إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني ، فيصير بالإدغام إلى زيادة قوة ؛ لأنك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني ، فإذا فعلت ذلك نقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة ، فذلك حسن جيد . والضرب الثاني : ان يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين فيحسن الإدغام ؛ إذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الإدغام . وضرب ثالث من إدغام المتقاربين ضعيف قليل ، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني ، فيصير بالإدغام أضعف من حاله قبل الإدغام[١] .

وهكذا علل مكي لأحكام الإدغام الصغير ، ولما ورد فيه من قراءات في مواضعه التي ذكرها القراء .

الإدغام الكبير

ما كان أول الحرفين فيه متحركاً سواء كانا مثلين أم جنسين أم متقاربين .

وسمي كبيراً لأنه أكثر من الصغير ، ولما فيه من تصيير المتحرك ساكناً ، ولما فيه من الصعوبة[٢] وقيل لكثرة وقوعه ؛ إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل لشموله المثلين والجنسين والمتقاربين[٣] .

ذكر ابن الباذش أن هذا الإدغام انفرد به أبو عمرو بن العلاء ، وكان له مذهبان : أحدهما الإظهار كسائر القراء والآخر الإدغام ، وأنه كان يأخذ به عند الحدر ، وإدراج القراءة[٤] .

---

(١) الكشف جـ ١ ص ١٣٥ .
(٢) الإقناع جـ ١ ص ١٩٥ .
(٣) النشر جـ١ ص ٣٧٤ .
(٤) نوع من القراءة شرحنا أصوله في الفصل الخاص بالترتيل .

ثم قال : وكان أبو عمرو يدغم المتحرك في مثله وفي مقاربة إذا كانا متحركين ، سواء سكن ما قبله أو تحرك ، ولا تصل إلى الإدغام حتى تسكن المدغم ، وترد الأول لمقاربه، الذي تدغم فيه .

وإذا كان أول المثلين مشدداً أو منوناً ، أو منقوصاً ، أو تاء مخاطبة ذكرا أو أنثى لم يدغم باتفاق الأئمة ـ كما ذكر الخزاعي ـ ونقل عن أبي عمرو الإدغام في ذلك أيضاً مثل **قوله تعالى** : ﴿ صوافَّ فإذا ﴾ الحج/ ٣٦ ﴿ مسَّ سقر ﴾ القمر/ ٤٨ .

والمتقاربان كالمثلين في امتناع الإدغام في حالتي التشديد والتنوين[(١)] .

ويذكر ابن الجزري أن أبا عمرو غير منفرد بالإدغام الكبير بل قد ورد أيضاً عن الحسن البصري ، وابن محيصن ، والأعمش ، وعيسى بن عمر ، ويعقوب الحضرمي ، ومسلمة بن عبد الله الفهري ، ومسلمة بن محارب السدوسي وغيرهم .

وقد قدم أبو جعفر ابن الباذش دراسة جيدة مدعومة بأقوال النحاة وأسانيد القراء شرحت أصول الإدغام الكبير وما قيل فيه حسب حروف المعجم بحيث يغني الناظر فيه ، والمتتبع له عن النظر في فرش الحروف[(٢)] .

ملحوظة :

ما أسلفناه من الكلام عن الإدغام سواء الواجب منه أم الجائز ، الصغير أم الكبير إنما هو الإدغام القائم على الرواية أعني الإدغام في دائرة

---

(١) راجع الاقناع ص ١٩٥ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق من ص ١٩٨ إلى ص ٢٣٧ .

بحوث القراءات ، أما الإدغام التصريفي أو القياسي ، والذي يعد ظاهرة لغوية مطردة في اللسان العربي في مثل شد ـ يشد ، والذي له شروطه المعروفة بالتفصيل في كتب التصريف فذلك غير داخل معنا ؛ لأن الالتزام به شرط لا بد من تحققه ؛ لأنه هو الوجه في العربية ولا يمكن أن تكون قراءات القرآن على خلافه ؛ لأنه بلسان عربي مبين .

حروف يخاف على القارىء اللحن فيها حالة الإدغام

ذكر القراء بعض الحروف التي وقع الخلاف فيها بين الإظهار والإدغام ، غير أنه في حالة الاتجاه إلى الإدغام في بعضها قد يترتب عليه وقوع اللحن .

من هذه الحروف التي ذكرها القراء . على سبيل المثال لا الحصر ـ

حروف الفاء لا يجوز إدغامها في الميم والواو والباء ، والباعث على المنع هنا باعث صوتي ، وذلك لأنها، انحدرت إلى الفم حتى قاربت مخرج الثاء نحو ﴿ويستخلفْ من بعدكم ﴾ الأنعام/ ١٣٣ ﴿ نتخطفْ من أرضنا ﴾ القصص/ ٥٧ ﴿ لا تخف وبشروه ﴾ الذاريات/ ٢٨ ﴿ إن نشأ نخسفْ بهم الأرض ﴾ سبأ/ ٩ وليس في القرآن من الفاء عند الباء غيره .

فخوفاً من اللحن منع المانعون الإدغام .

وقد قرأ الكسائي مدغماً ووجهه أنها من حروف الشفة ، وأن الباء مجهورة ، والفاء مهموسة .

ومن ذلك الميم عند الفاء والواو نحو ﴿ هم فيها ﴾ ﴿ويمدهم في طغيانهم ﴾ البقرة/ ١٥ ﴿ قمْ فأنذر ﴾ المدثر/ ٢ ﴿ من يسلمْ وجهه﴾ لقمان/ ٢٢ وشبه ذلك حيث سكنت ، لا يجوز في شيء منه الإدغام لما

فيه من الإخلال بالغنة ، فالحكم أن تظهر الميم عندهما ، وتبين بياناً حسناً من غير تكلف[1] .

ومن ذلك الظاء عند التاء : وهو موضع واحد في سورة الشعراء ، قوله تعالى ﴿ أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ الآية **١٣٦** فالقراء على الإظهار ، وكأنهم عدلوا عن الإدغام لما فيه من اللبس .

وقد روى عباس[2] عن أبي عمرو عن ابن سعدان[3] عن اليزيدي عنه ، وعن أبي المنذر نصير بن يوسف بن أبي نصر الرازي ، ثم البغدادي النحوي المتوفى سنة ٢٤٠هـ عن الكسائي إدغامها فيها ، وإذهاب صفتها ، فتكون في السمع مثل « أوعدت » من الوعد وهو جائز[4] .

وهذا الجواز في تقديري من الناحية اللغوية البحتة ، وموقف أهل الأداء أدق لما فيه من دفع اللبس ، والبعد عن اللحن .

وهناك حروف أخرى فصلها القراء ، وتوفرت عليها كتب القراءات .

---

(١) راجع الاقناع جـ ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٢) هو أبو الفضل العباس بن الفضل بن عمرو الواقفي ، الأنصاري البصري ، قاضي الموصل ، أستاذ ثقة من أكابر أصحاب أبي عمرو توفي سنة ١٨٦ .

(٣) هو أبو جعفر محمد بن سعدان ، النحوي ، الكوفي ، الضرير ، إمام كامل ثقة عدل ، صنف في العربية والقراءات ، وأخذ القراءة عن سليم عن حمزة ، توفي سنة ٢٢١هـ .

(٤) راجع الاقناع جـ ١ ص ١٨٧ .

٣ ـ المـد والقصر

المد في اللغة : مطلق الزيـادة ، قال تعـالى : ﴿ أتمدونني بمال ؟ ﴾ ﴿ يمددكم بأموال وبنين﴾[١] .

وفي الاصطلاح : إطالة الصوت في النطق بحرف المد عند ملاقاته الهمزة أو السكون ويقابله القصر . وهو في اللغة : الحبس ، قال تعالى : ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾[٢] وقال : ﴿ فيهن قاصرات الطرف[٣] ﴾ أي حبس أنظارهن على أزواجهن من أهل الجنة لا ينظرن إلى غيرهم ومن الاصطلاح : ترك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حالته[٤] .

أسباب المد :

أسباب معنوية ، وأخرى لفظية .

أما الأسباب المعنوية :

فهي قصد المبالغة في النفـي ، وهو سبب قوي مقصود عند العرب ، ومنه مد التعظيم في نحو (لا إله إلا الله ـ لا إله إلا هو ـ لا إله إلا أنت) .

قال ابن مهران في كتاب « المداث » له : إنما سمي مد المبالغة ؛ لأنه طلب للمبالغة في نفـي إلهية غير الله سبحانه قال : وهذا معروف

(١) الأولى : النمل/ ٣٦ والثانية : نوح/ ١٢ .
(٢) الرحمن/ ٧٢ .
(٣) الرحمن/ ٥٦ .
(٤) النشر جـ ١ ص ٤٢١ .

عند العرب ؛ لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة ، وعند المبالغة في نفي شيء ، ويمـدون ما لا أصل له بهذه العلة ، والذي لـه أصل أولى وأحرى .

وقال الشيخ محي الدين النووي ، رحمه الله في الأذكار : ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله : لا إله إلا الله ، لما ورد فيه من التدبر ، وأقوال السلف ، وأئمة الخلف في مد هذا مشهوره[1] .

وأما الأسباب اللفظية : فهي تتلخص في أن حروف المد الثلاثة : الياء الساكنة بعد كسر ، والواو الساكنة بعد ضم ، والألف ولا تكون إلا ساكنة بعد فتح تلاقي همزة أو سكوناً[2] .

أقسام المد :

على أساس الأسباب اللفظية ينقسم المد إلى أقسام مختلفة .

فهو أولاً إما طبيعي لم تتهيأ له أسباب المد ، وإما فرعي تهيأت فيه لحروف المد أسبابه ، والمد الفرعي إذا كان سببه ملاقاة الهمزة انقسم إلى : متصل ومنفصل وبدل ، وإن كان سببه السكون العارض سمي المد العارض للسكون ، وإن كان سببه سكوناً لازماً سمي المد اللازم ، والمد اللازم ينقسم إلى كلمي وحرفي حسب موقعه[3] ، وإليك هذا الرسم البياني .

---

(١) راجع النشر جـ ١ ص ٤٥٨ مع بعض تصرف .

(٢) وهناك سبب آخر صوتي وراء وجوب المد أو جوازه : هو أن حرف المد ضعيف ، والهمز قوي ، فزيد في المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوى ، وقيل : لأن الهمز شديد مجهور ، فلكي نتمكن في النطق به كما ينبغي لجأنا إلى المد .

(٣) الأصل في دراسة هذا الباب ، وتقدير المدى الصوتي ، واختلاف وجهات نظر القراء =

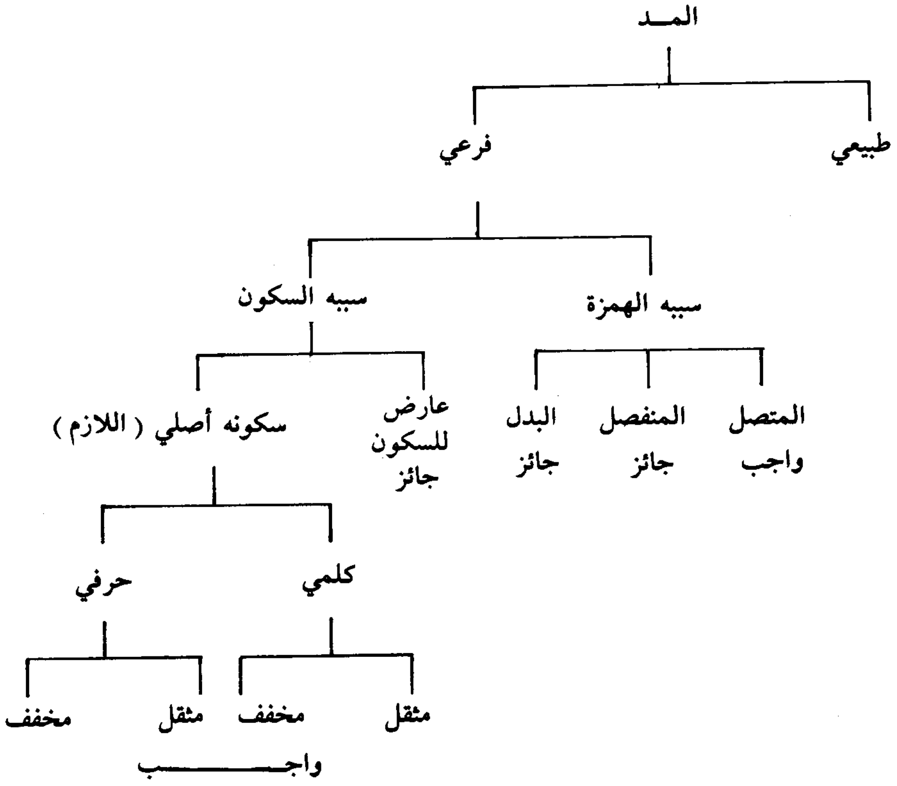

١ ـ المد الطبيعي :

وهو أداء حروف المد إذا لم تلاق همزة أو سكوناً الأداء المعتاد دون زيادة ، ويسمى المد الأصل ، ومقداره : حركتان وأمثلته : قال ـ يقول ـ قيل ونحوها .

ومن أجل هذا لا يعد في حقيقة الأمر مدا ، وإنما هو القصر المقابل للمد .

= في تحقيقه يرجع إلى ما رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه : كان ابن مسعود يقرىء رجلًا ، فقرأ الرجل : (انما الصدقات للفقراء والمساكين) مرسلة ، أي مقصورة ، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) فمدها » .

٢ ـ المد المتصل :

وهو ما اجتمع فيه حرف المد مع الهمزة في كلمة واحدة ، وسمي متصلاً لاتصال المد بحرف الهمزة في كلمة واحدة[1] ، وذلك نحو : السماء ـ جاء ـ شاء ـ الملائكة ـ أولئك ـ هاؤم (الحاقة/ ١٩) سوء ـ تبوء ـ سيئت .

٣ ـ المد المنفصل :

ما جاء فيه بعد حرف المد همزة ، منفصلة عنه في كلمة أخرى .

ومن أمثلته : بما أنزل ـ قالوا آمنا ـ وفي أنفسكم .

٤ ـ مد البدل :

وهو ما تقدم فيه الهمز على حرف المد ، نحو : آمنوا ـ إيماناً ـ أوتوا .

وسمي بدلاً لإبدال حرف المد من الهمز ؛ إذ أصله « أَأْمنوا » قلبت الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى ، وهكذا الأمثلة الباقية .

٥ ـ المد العارض للسكون :

وهو ما جاء فيه بعد حرف المد ، أو حرف اللين سكون عارض في حالة الوقف فقط مثل : العالمين ـ نستعين ـ بيت ـ خوف ـ مآب .

وسمي عارضاً لعروض المد بعروض السكون .

٦ ـ المد اللازم :

وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون أصلي ، لازم في الوقف والوصل جميعاً . نحو : الصاخَّة ـ آلآن ـ آلم .

وهو على قسمين : كلمي ، وحرفي .

---

(١) الفرق بينه وبين مد البدل ، أن في المتصل يسبق حرف المدة الهمزة ، وفي البدل عكس هذا .

فإذا كان بعد حرف المد سكون أصلي ثابت في الوصل وفي الوقف في كلمة تزيد على ثلاثة أحرف سمي : كِلميًّا ، فإن كان الساكن الذي بعده مدغماً فيما يليه سمي : كلميا مثقلا مثل : الصاخّة ـ دابة ـ أتحاجّوني .

وإن كان الساكن غير مدغم فيما يليه سمي : كلميا مخففا ، ووقع ذلك في كلمة واحدة هي كلمة « آلآن » في موضعين بسورة يونس : ﴿ آلآن وقد كنتم ﴾ (آلآن وقد عصيت قبل ﴾ .

وإذا كان بعد حرف المد سكون أصلي لازم وصلاووقفاً في حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد ولين، أو حرف لين فقط ، وهذا المد مقصور على فواتح السور ، ويقع في ثمانية أحرف جمعت في قولنا : كم عسل نقص .

فإن أدغم ساكنه فيما بعده سمي مثقلاً ، وإن لم يدغم سمي مخففاً ، وقد اجتمع النوعان في : « ألم » .

وسمي هذا المد بأنواعه الأربعة (كلمي مثقل ـ كلمي مخفف ـ حرفي مثقل ـ حرفي مخفف) لازماً للزوم سببه ، وهو السكون الأصلي بعد المد وصلا ووقفا .

أحكام المد :

للمد أحكام تتراوح بين الوجوب والجواز .

وقد اختلفت وجهات القراء في المدى الذي يتبع في كل نوع من أنواع المد بين حركتين أو أربع ، أو خمس ، أو ست ، أو سبع[١] .

---

(١) قدر علماء القراءات الحركة بقدر قبض الاصبع أو بسطه .

وسنعرض مذاهب القراء في المد بشمول وإيجاز بعـون الله وحده :

١ ـ اتفق العلماء على أن المد الطبيعي لا يتجاوز حركتين بقدر ما يبرز صوت الحرف فحسب .

٢ ـ واتفق العلماء أيضاً على وجوب المد ، وتمكينه في نوعين : المد المتصل ، سواء أكانت الهمزة متوسطة أم متطرفة ، والمد اللازم الكلمي بنوعيه : المثقل والمخفف وكذلك اللازم الحرفي بنوعيه أيضاً .

وكذلك كلمة (محيايْ) في سورة الأنعام/ ١٦٢ في الوقف والوصل في قراءة ورش[1] عن نافع .

وتمد بمقدار أربع حركات أو خمس فإن وقفت عليها تزاد إلى ست ، وإلى هذا ذهب حفص وآخرون .

وهناك ملاحظة :

هي أن المد اللازم الحرفي مقصور على فواتح السور ، لكن فواتح السور ليست كلها مما يمد مدا واجبا باتفاق؛ إذ أن المد فيها إنما كان لعله التقاء الساكنين ، ومن هنا قسمت إلى أربعة أقسام ، كما ذهب لذلك مكي وأبو عمرو .

أ ـ قسم هجاؤه على حرفين ، يجمع حروفه قولنا : « حي طهر » ويمد مداً طبيعياً لا إشباع فيه وروى عن ورش الإشباع فيه اتباعاً لما التقى فيه ساكنان .

ب ـ قسم هجاؤه على ثلاثة أحرف أوسطه متحرك نحو (ألف) ولا مد فيه ؛ لأنه ليس فيه حرف مد .

---

(١) راجع الإقناع جـ ١ ص ٤٦٢ .

حـ ـ قسم هجاؤه على ثلاثة أحرف ، ثانيه حرف مد ولين، وهو حروف (كم عسل نقص) ما عدا العين . أجمع القراء على إشباع المد فيه ، وهذا القسم وحده الذي يدخل في الحكم السابق ، وهو وجوب المد .

د ـ قسم على ثلاثة أحرف ، ثانيه ياء قبلها فتحة ، وذلك نحو « عين » .

وللمتأخرين فيه قولان : منهم من يمده لـورش وحده ، ولا يمده لسائر القراء ، وهو مذهب أبي عبد الله بن سفيان ، ومنهم من يمده للجماعة فيسوى بينه وبين حرف المد (من المد الطبيعي) ، وهو ابن مجاهد ، أو أقل من حرف المد وهو مذهب ابن غلبون وأصحابه[١] .

٣ ـ المد المنفصل ، ومد البدل ، والمد العارض للسكون ، يجوز مدها وقصرها مع اختلافات كثيرة ومتعددة للقراء فيها .

أ ـ ففي المد المنفصل كان ابن كثير ، وأبو عمرو ، وقالون يقصرون حرف المد ، فلا يزيدونه تمكينا على ما فيه من المد الذي لا يوصل إلا به[٢] .

وروى عن قنبل مد « لا إله إلا الله » حيث وقع .

وروى عن حفص جوازاً من أربع حركات أو خمس .

ب ـ المد العارض للسكون يجوز مده وقصره ، والمراد بالمد ما يشمل التوسط وما فوقه والتوسط أربع ، والمد ست حركات ، والقصر حركتان .

---

(١) الاقناع ج ١ ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ مع تصرف .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦٣ .

فإذا كان الحرف الذي عرض له السكون مفتوحاً جاز فيه : القصر والتوسط والمـد .

وإن كان مكسوراً ففيه أربعة أوجه ، الثلاثة المتقدمة بالسكون المحض ، والروم[1] مع القصر .

وإن كان مضموماً نحو (نستعينُ) ففيه سبعة أوجه : الثلاثة المتقدمة بالسكون المحض ، والإشمام مع الثـلاثة ، والـروم على القصر .

وقد أوجز صاحب النشر مواقف القراء من المد العارض للسكون في ثلاثة مذاهب .

أولها : الإشباع كاللازم لاجتماع الساكنين اعتداداً بالعارض ، قال الداني : وهو مذهب القدماء من مشيخة المصريين ، قال وهو اختيار الشاطبي لجميع القراء ، واختاره بعضهم لأصحاب التحقيق كحمزه ، وورش ، والأخفش عن ابن ذكوان .

ثانيها : التوسط لمراعاة اجتماع الساكنين وملاحظة كونه عارضاً ، وهو مذهب أبي بكر بن مجاهد وأصحابه .

ثالثها : القصر ؛ لأن السكون عارض فلا يعتد به ؛ ولأن الجمع بين الساكنين مما يختص بالوقف .

ثم يقول ابن الجزري : الصحيح جواز كل من الثلاثة لجميع

---

(١) الروم هو الإتيان ببعض الحركة بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد ، ويكون في المرفوع والمجرور . والإشمام : هو إطباق الشفتين بعد الإسكان ، وتدع بينهما انفراجاً ليخرج النفس بغير صوت ، وذلك إشارة للحركة التي ختمت بها الكلمة ، ولا يكون إلا في المرفوع والمجرور .

القراء لعموم قاعدة الاعتداد بالعارض وعدمه[1] .

جـ ـ ومد البدل : يجوز قصره عند جميع القراء ، وذهب ورش إلى إشباع المد بإفراط أو اعتدال على اختلاف في ذلك بين الرواة عنه[2] .

٤ ـ الهمزة والتليين

الهمزة حرف يخرج من أقصى الحلق ، وهي أدخل حروف الحلق في الحلق ؟ ولأجل هذا استثقل أهل التخفيف مخرجها فخففوها .

وتخفيف الهمزة ، وتسهيلها أو تحقيقها سمات عرف بها اللسان العربي ، ونطق بها الفصحاء ، ووردت في لغات القبائل .

وفي مجال القراءات ، وهي تقوم على السند والتلقي مع الحفاظ على خصائص اللسان العربي نرى علماء القراءات لهم آراء مختلفة باختلاف أحوال الهمزة ساكنة أو متحركة ، مفردة أو معها همزة أخرى ، في كلمة أو في كلمتين .

وضبطاً لهذه الحالات المتعددة نقدم الرسم البياني التالي :

---

(١) النشر جـ ١ ص ٤٤٧ وما بعدها .

(٢) النشر جـ ١ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ محيش .

الهمزة

- ١ ـ المتحركة
  - تلاقي همزة أخرى
    - (١) في كلمة داخلة على أل داخلة على غيرها
    - (٢) في كلمتين
      - متفقتي الحركة
        - مكسورتان
        - مفتوحتان
        - مضمومتان
      - مختلفتي الحركة
        - مضمومة ومفتوحة
        - مفتوحة ومضمومة
        - مكسورة ومفتوحة
        - مفتوحة ومكسورة
        - مضمومة ومكسورة
  - ٣ ـ لا تلاقي همزة أخرى
    - تقع فاء
    - تقع عيناً
    - تقع لاماً
- ٢ ـ الساكنة
  - تلاقي همزة أخرى ولا بد أن تكون متحركة
    - قبلها
    - بعدها
  - لا تلاقي همزة أخرى
    - تقع فاء
    - تقع عينا
    - تقع لاما
    - مذهب أبي عمرو فيها
    - مذهب ورش

الصورة الأولى
تلاقي همزتين في كلمة

إذا التقت الهمزة المتحركة بهمزة أخرى في كلمة فإن لها صورتين :

أن تدخل على « أل » وجملتها في القرآن ستة مواضع ، والهمزة الداخلة فيها كلها للاستفهام وهي : ﴿ قل آلذكرين ﴾ الأنعام/ ١٤٣ ، ١٤٤ ﴿ آلآن ﴾ يونس/ ٥١ ، ٩١ ﴿ قل : آلله أذن لكم ﴾ يونس/ ٥٩ ﴿ آلله خير ﴾ النمل/ ٥٩ .

وقد أجمع القراء على تحقيق همزة الاستفهام وتخفيف الثانية .

ويقول ابن الباذش : وصورة التخفيف قد ذكر أصحاب سيبويه أنه بالبدل ألفاً[١] .

والصورة الأخرى : الداخلة على غير أل .

وهي ثلاثة أضرب : مفتوحتان ـ مفتوحة ومكسورة ـ ومفتوحة ومضمومة .

الهمزتان المفتوحتان في كلمة

هذه الصورة وقعت في ثمانية وعشرين موضعاً من القرآن الكريم كله .

منها تسعة عشر موضعاً مضى فيها القراء على أصولهم بين التسهيل والتحقيق .

---

(١) الإقناع جـ ١ ص ٣٥٩ .

وتسعة مواضع لم يسيروا فيها على أصولهم ، واختلفوا في كل موضع منها اختلافات شتى يمكن الرجوع إليها من مصادرها من كتب القراءات وفي فرش الحروف .

والمواضع التسعة عشر هي : ﴿ ءأنذرتهم - أ أنتم أعلم ﴾ البقرة/ ٦ ، ١٤٠ ﴿ أأسلتم - أأقررتم ﴾ آل عمران ٢٠ ، ٨١ ﴿ أأنت قلت ﴾ المائدة/ ١١٦ ﴿ ءألد وأنا عجوز ﴾ هود/ ٧٢ ﴿ ءأرباب متفرقون ﴾ يوسف/ ٣٩ ﴿ ءأسجد ﴾ الإسراء/ ٦١ ﴿ ءأنت فعلت ﴾ الأنبياء/ ٦٢ ﴿ ءأنتم أضللتم ﴾ الفرقان/ ١٧ ﴿ ءأشكر أم أكفر ﴾ النمل/ ٤٠ ﴿ ءأنذرتهم ﴾ يس / ١٠ ﴿ ءاتخذ من دونه ﴾ يس / ٢٣ ﴿ ءأنتم ﴾ الواقعة/ ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٢ ﴿ ءأشفقتم ﴾ المجادلة/ ١٣ ﴿ ءأنتم أشد ﴾ النازعات/ ٢٧ .

قرأ الكوفيون وابن ذكوان بتحقيق الهمزة في هذه الموضع ، وقرأ الباقون وهم : الحرميان ، وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية ، واختلفوا في درجة التسهيل بإبدالها ألفاً كما ذهب ورش ، أم بين بين كما ذهب ابن كثير[1] .

وسأقدم مثالاً واحداً من المواضع التسعة التي لم يجر القراء فيها على أصولهم قوله تعالى : ﴿ أن يؤتي أحد ﴾ آل عمران/ ٧٣ .

قرأه ابن كثير بهمزتين على الاستفهام ، الثانية منها بين بين من غير فصل والباقون بهمزة واحدة على الخبر .

وقوله تعالى : ﴿ آمنتم ﴾ الأعراف/ ١٢٣ ، وطه / ٧١ ، والشعراء/ ٤٩ .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦١ بتصرف .

قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي فيهن على الاستفهام بهمزتين محققتين بعدهما ألف .

وروى حفص في الثلاثة بهمزة وألف على الخبر[1] .

الهمزتان : المفتوحة والمسكورة في كلمة

وردت هذه الصورة في أربعة وعشرين موضعاً .

وكانت الهمزة الأولى في جميع هذه المواضع للاستفهام إلا في (أئمة) التي وردت في خمسة مواضع من القرآن : التوبة/ ١٢ ـ الأنبياء/ ٧٣ ـ القصص/ ٢٥ ٤١ ـ السجدة/ ٢٤ ومن أمثلتها أيضاً ﴿ أئنكم لتشهدون ﴾ الأنعام/ ١٩ ﴿ أئن لنا لأجرا ﴾ الشعراء/ ٤١ .

قرأ الحرميان وأبو عمرو بتحقيق الأولى ، وتسهيل الثانية بين بين .

وفصل بينهما بألف قالون وأبو عمرو ، والباقون بتحقيق الهمزتين فيهن .

وفي الأربعة والعشرين موضعاً ثمانية عشر موضعاً جرت على أصولهم ، وهي التي ذكرناها .

وبقيت مواضع ستة اختلف فيها القراء اختلافات شتى على غير أصولهم[2] .

ووردت هاتان الهمزتان للاستفهام في أحد عشر موضعاً من القرآن جرى فيها القراء على أصولهم من القول بالتخفيف ، والتحقيق ، والفصل وتركه ولها تفصيلات في كتب القراءات .

---

(١) راجع بقية الأمثلة التسعة في الإقناع جـ ١ ص ٢٦٢ وما بعدها .

(٢) راجع الإقناع جـ ١ ص ٣٧١ وما بعدها ، وكذلك الكشف جـ ١ ، وراجع السبعة لابن مجاهد في فرش الحروف في السور المختلفة .

الهمزتان : المفتوحة والمضمومة في كلمة

جاءت في أربعة مواضع من القرآن والهمزة الأولى فيهن للاستفهام وهن : ﴿ أؤنبئكم ﴾ آل عمران / ١٥ ﴿ ءأنزل عليه ﴾ ص/ ٨ ﴿ ءالقى الذكر ﴾ القمر/ ٢٥ .

فهنا الحرميان وأبو عمر يسهلون الثانية ، وقالون : يدخل بينهما ألفاً .

والموضع الرابع ﴿ أَشِهدوا ﴾ قرأه نافع بهمزتين ، الثانية مضمومة مسهلة بين الهمزة والواو ، وفصل قالون من غير طريق مكي بألف .

الصورة الثانية

الهمزتان المتحركتان في كلمتين

وهذا النوع على ضربين :

أ ـ أن تتفق حركة الهمزتين .

ب ـ أن تختلف .

أ ـ تلاقي الهمزتين مع اتفاق الحركة :

تحت هذا النوع صور ثلاث : المكسورتان ـ المفتوحتان ـ المضمومتان .

الهمزتان المكسورتان

وردت في خمسة عشر موضعاً من القرآن الكريم .

وفي المواضع كلها سبقت الهمزة الأولى منهما بألف إلا موضعاً واحداً سبقت فيه بواو .

من ذلك : ﴿ هؤلاء إن كنتم ﴾ البقرة/ ٣١ ﴿ من النساء إلا ﴾

النساء/ ٢٢ ، ٢٤ ﴿ ومن وراء إسحاق ﴾ هود/ ٧١ ﴿ هؤلاء إلا ﴾ الإسراء/ ١٠٢[١] .

والموضع الذي سبقت فيه الأولى بواو ﴿ بالسوء إلا ﴾ يوسف/ ٥٣ .

قرأ الكوفيون وابن عامر بتحقيق الهمزتين فيهن ، وسهل الباقون مع اختلاف في صور التسهيل ، فقنبل وورش يبدلان الثانية ياء ممدودة ، والقياس فيه بين بين .

وقرأ قالوان والبزي بجعل الأولى بين بين ، وتحقيق الثانية ، إلا قوله تعالى : ﴿ بالسوء إلا ﴾ فإنهما حذفا الهمزة الأولى ، وألقيا حركتها على الواو قبلها ، وحققا الثانية .

يقول أبو جعفر ابن الباذش : هكذا أخذ علينا أبي رضي الله عنه ، وهو القياس ، ولا أعلمه رُوِي ثم يذكر أن مذهب الكوفيين في الهمزة المسبوقة بواو أن تجعل الأولى بين بين[٢] .

المفتـــوحتـــان :

وردت في القرآن في تسعة وعشرين موضعاً .

منها : ﴿ السفهاء أموالكم ﴾ النساء/ ٥ ، ﴿ أو جاء أحد منكم ﴾ النساء/ ٤٣ .

وملاحظتنا أن الهمزة الأولى فيهاسبقتبالألف ، ذكر الفعل (جاء) في سبعة عشر موضعاً[٣] منها .

---

(١) بقيـة المواضع راجع فيها الاقناع جـ ١ ص ٣٧٨ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) بقية المواضع ـ المرجع السابق ص ٣٨٠ .

حقق الهمزة فيهن الكوفيون وابن عامر .

وسهل ورش وقنبل الثانية بأن أبدلاها ألفا ، والقياس أن تجعل بين بين ، فقد روى سيبويه عن الخليل عن أبي عمرو جعل الأولى بين بين على ما يوجبه القياس[1] وإن كان رأى الخليل وسيبويه أن تسهيل الثانية أولى من تسهيل الأولى بحجة أنه التخفيف وقع على الثانية إذا كانتَا في كلمة واحدة نحو آدم وآخر ، فكذلك إذا كانتا من كلمتين[2] .

لكن ابن الباذش يذكر أنه قرأ على أبيه على نحو ما ذهب إليه ورش وقنبل ،وكذلك طاهر بن غلبون ، ثم يقول : ولا أعلمه روى[3] .

أما قالون والبزي وأبو عمرو فيحذفون الأولى . هكذا أخذ القراء عنهم .

المضمـومتـان :

وردت الهمزتان المضمومتان في موضع واحد .
هو قوله تعالى ﴿ أولياءُ أولئك ﴾ الأحقاف/ ٣٢ .
ورش وقنبل يخففان الثانية ، والقياس بين بين .
وقالون والبزي يجعلان الأولى بين بين ، أي بين الهمزة والواو .
وأبو عمرو يسقطها ، والوجه في ذلك بين بين .
والباقون يحققونهما معاً .

ب ـ تلاقي الهمزتين في كلمتين مع اختلاف الحركة :

ولها خمس صور :

---

(١) راجع الكتاب لسيبويه جـ ٣ ص ٥٤٩ هارون .
(٢) الكتاب جـ ٣ ص ٥٥٢ هارون .
(٣) الإقناع جـ ١ ص ٣٨٠ .

١ ـ تلاقي الهمزة المضمومة مع المفتوحة .

وأمثلتها : ﴿ السفهاءُ ألا ﴾ البقرة/ ١٣ ﴿ يا سماءُ أقلعي ﴾ هود/ ٤٤ ﴿ البغضاءُ أبدا ﴾ الممتحنة/ ٤ .

٢ ـ المفتوحة مع المضمومة ، وذلك في موضع واحد ، قوله تعالى : ﴿ جاء أُمة ﴾ المؤمنون/ ٤٤ .

٣ ـ المكسورة مع المفتوحة ، مثل : ﴿ من الشهداءِ أَن ﴾ البقرة/ ٢٨٢ ﴿ من وعاءِ أَخيه ﴾ يوسف/ ٧٦ .

٤ ـ المفتوحة مع المكسورة ، عكس السابقة ، نحو ﴿ شهداءَ إذ حضر ﴾ البقرة/ ١٣٣ .

٥ ـ مضمومة ومكسورة ، نحو : ﴿ من يشاءُ إلى ﴾ البقرة/ ١٤٢ ، ٢١٣ ﴿ نشاءُ إنك ﴾ هود/ ٨٧ .

هذا وعكس الصورة الخامسة لا وجود له في القرآن الكريم .

قرأ الكوفيون وابن عامر بتحقيق الهمزتين .

وقرأ الباقون بتسهيل الثانية على ما تقتضيه وجوه التسهيل[١] .

ملاحظة هامة : هذه الاختلافات بين القراء في وجوه النطق بالهمزتين ، مختلفتي الحركة ، أو متفقتين إنما تكون في حالة الوصل فحسب ، أما في الوقف فلا شيء سوى التحقيق ، يقول أبو عمرو الداني : والتسهيل لأحدى الهمزتين في هذا الباب إنما يكون في حال الوصل لا غير ، لكون التلاحق فيه »[٢] .

---

(١) في كتب القراءات بحوث مستفيضة في شرح وجوه التسهيل والموازنة بينها ومدى موافقتها أو مخالفتها لقواعد العربية ـ راجع الإقناع لابن الباذش والكشف لمكي ، والسبعة لابن مجاهد والنشر لابن الجزري .

(٢) التيسير ص ٣٤ ط استانبول .

الصورة الثالثة
الهمزة المتحركة المفردة

سندرس هذه الهمزة عند القراء حسب موقعها من الكلمة .

فالهمزة المتحركة تقع فاء للكلمة ، وتقع عيناً ، وتقع لاما .

١ ـ الهمزة المتحركة إذا وقعت فاء(*) :

أ ـ قد تقع فاء وقبلها حركة مماثلة .
ب ـ قد تقع فاء وقبلها حركة مخالفة .
جـ ـ قد تقع فاء وقبلها سكون .

أ ـ مع الحركة المماثلة :

أمثلتها : مآب ـ مآرب ـ وما تَأَخر ـ تَأَذن[١] .

أجمع القراء على تحقيقها إلا همزة في الوقف فإنه يقول بتسهيلها بين بين[٢] .

ب ـ مع الحركة المخالفة :

١ ـ الهمزة المفتوحة ، المضموم ما قبلها .

يقول ورش بتسهيلها واواً في ثلاثة أسماء : (مُؤَجلا) آل عمران/ ١٤٥ ﴿ مُؤَذن ﴾ الأعراف/ ٤٤ ، ويوسف/ ٧٠ ﴿ والمُؤَلفة ﴾ التوبة/ ٦٠ وخمسة أفعال : ﴿ يُؤَاخذ ﴾ النحل/ ٦١ وفاطر/ ٤٥ ﴿ يُؤَخِّرَ ﴾

(*) المقصود بكونها فاء ليس وقوعها الأصل الأول للكلمة كما يحدد الصرفيون ،وإنما وقوعها في أول الكلام .
(١) لم يذكر القراء في الحركة المماثلة إلا المفتوحة بعد فتح .
(٢) الاقناع جـ ١ ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢ .

المنافقون/ ١١ ﴿ يُؤَيد بنصره ﴾ آل عمران/ ١٣ ﴿ يُؤَده ﴾ آل عمران/ ٧٥ ﴿ يُؤلف ﴾ النور/ ٤٣ .

وبقية القراء يقولون بالتحقيق إلا حمزة في الوقف فقط فإنه يوافق ورشا .

٢ ـ الهمزة المفتوحة المكسور ما قبلها :

يبدلها ورش ياء في كلمة (لئِلا) حيث وقعت وفي قوله تعالى : ﴿ لِأهب لك ﴾ مـريم/ ١٩ ووافقه أبو عمرو على التخفيف في ﴿ لأهب لك ﴾ فتصير ﴿ لِيَهَبَ لك ﴾ ومن هنا قيل : هي ياء المضارعة ، فمعنا احتمالان : إما أنها بدل من ألف المتكلم ، أو ياء مضارعة ، وكلا الوجهين صحيح[1] .

ولو نظرنا للهمزة في الكلمتين نجد أنها ليست فاء على الحقيقة ، إذ هي في الأولى همزة (أن) والحروف لا توزن عند الصرفيين ، والفاء في « أهب » حذفت لوقوعها فاء للمثال المكسور العين في المضارع مثل وعد يعد[2] .

٣ ـ الهمزة المضمومة ، المفتوح ما قبلها .

جاءت في حرفين ﴿ يَؤُوده ﴾ البقرة ٢٥٥ ﴿ تَؤُزهم ﴾ مريم / ٨٣ .

أجمع القراء على تحقيقهما إلا حمزة في حالة الوقف فحسب .

جـ المتحركة وقبلها ساكن :

ومن أمثلتها : الأرض ـ الآخرة ـ الآن .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٢) حذفت فاء وهب شذوذا لعدم كسر العين في المضارع .

يـذهب ورش الى أن كل همزة في أول كلمة سبقها ساكن تحذف ، وتنقل حركتها الى الساكن قبلها أياً كانت هذه الحركة إذا كانا من كلمتين بشرط ألا يكون الساكن حرف مد ولين ، أو ميم الجمع . هذا في حالة الوصل ، وفي حالة الوقف يحقق الهمزة لابتدائـه بها.

ونلاحظ أن القراء يعاملون الأمثلة السابقة على هذا النحو .
وهذا النقل الذي اختص به ورش وهو لغة لبعض العرب .

وإن كان الساكن والهمزة في كلمة لم ينقل ورش الحركة إليه نحو ﴿ شيئـاً ﴾ ﴿ كهيئة ﴾ ال عمـران / ٤٩ والمائـدة / ١١٠ (جـزءاً) البقرة / ٢٦٠ ونحوه، إلا[1] ﴿ ردءاً يصدقني ﴾ القصص / ٣٤ فإنه خالف أصله فألقى الحركة على الدال وهما في كلمة وتابعه على ذلك قالون فقرئت (رِدًّا) بفتح الدال من غير همز .

وقد قسم أبو عمرو الساكن الواقع قبل الهمزة الى ثلاثة أقسام :
١ ـ أن يكون تنويناً . نحو ﴿ حامية . ألهاكم ﴾ القارعة / ١١ التكاثر / ١ ، ﴿ من نبيٍّ إلا ﴾ الأعراف / ٩٤ .
٢ ـ أن يكون لام تعريف نحو : الأرض ـ الآخرة ـ الآزفة وشبهه .
٣ ـ أن يكون سائر حروف المعجم ﴿ من آمن ﴾ ﴿ قد أفلح ﴾ ﴿ خلوا إلى ﴾ البقرة / ١٤ .
نخلص من هذا الى أن باب النقل على ثلاثة أوجه :

---

(١) روى نافع أن « رِدَا » في هذه القراءة ليس مخففاً من (ردءاً) وأنه فِعَل من قولهم : أردى على المائة أي زاد عليها ، واستشهد ببيت حاتم :
وَأَسْمَـرَ خَـطِّيـاً كـأن كعـوبـه نوى القَسْب قد أردى ذرا العَشْرِ
والقَسْب : الصلب ، أو تمر يابس يتفتت في الفم ، صلـب النـواة . راجع ديوان حـاتم ص ١٢١ ، والبيان والتبيين ٣/ ٢٥ والاقنـاع جـ ١ ص ٣٩٥ والصحاح للجوهري .

١ ـ قسم يجوز نقل الحركة إليه نحو ﴿ مَنْ آمن ﴾ ﴿ الأرض ﴾ ﴿ شيءٍ إذ ﴾ ونحوها .

٢ ـ قسم لا يجوز نقل الحركة اليه وهو الألف وميم الجمع ، وكذلك إذا كان الساكن والهمزة في كلمة عند ورش .

٣ ـ قسم يجوز نقل الحركة اليه ، ولم ينقل ورش الحركة اليه ، وهو حرف اللين : الواو والياء .

٢ ـ المتحركة عيناً :

النوع الثاني من الهمزة المفردة المتحركة : أن تقع عيناً ولها صورتان :

الصورة الأولى أن يسبقها متحرك .

وللقراء في هذه الصورة أصل مطرد وحرفان .

أما الأصل المطرد فهو : (أَرَأَيْتَ ـ أَرَأَيْتُم ـ أَرَأَيْتُكُم) وشبهه إذا كان في أوله ألف الاستفهام .

قرأ نافع بتخفيف الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والألف .

وقيل عن ورش في ذلك بالبدل .

وقرأ الكسائي جميع ذلك بحذف الهمزة الثانية ، وهو مسموع في هذا الفعل عن العرب .

والباقون بتحقيقها ، وإذا وقف حمزة خفف ، والواجب في تخفيفها أن يكون بين بين ، ويجوز البدل والحذف .

وأما الحرفان : أحدهما : ﴿ التَّنَاوُش ﴾ سبأ / ٥٢ .

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر بالهمز ، ويمدون زيادة .

وقرأ الباقون بواو مضمومة فلا يزيدون في المد .

والآخر : ﴿ سأل سائل ﴾ المعارج / ١ .

قرأ نافع وابن عامر (سال) بإبدال الهمزة ألفاً ، والبدل في هذا الفعل مسموع ، حكاه سيبويه عن العرب[1] .

وقرأ الباقون بالهمزة ، وخفف حمزة بالبدل أو بين بين .

الصورة الثانية : أن يسبقها ساكن .

وإن سكن قبل الهمزة الواقعة عيناً اختلفوا من ذلك أصلين :

أولهما : قول الله تعالى : ﴿ واسئلوا الله من فضله ﴾ النساء/ ٣٣ ﴿ فسئلوهم ﴾ الأنبياء / ٦٣ ﴿ فسئل الذين ﴾ يونس / ٩٤ ﴿ فسئلوا أهل الذكر ﴾ النحل /٤٣ ، والأنبياء / ٧ ونحوه من كل فعل أمر من الفعل « سأل » وقبل السين واو أو فاء.

قرأ ابن كثير والكسائي ، ومعهما حمزة في حالة الوقف فقط ، بحذف الهمزة ، وإلقاء حركتها على السين وقرأ الباقون بالإثبات .

فإن كانت مادة « سأل » على صورة النهي مثل : ﴿ لا تسئلوا عن ﴾ المائدة / ٢١٠١ أو الماضي نحو ﴿ سأل ﴾ المعارج /١ ﴿ سُئِلَ ﴾ البقرة / ١٠٨ أو المضارع مثل ﴿ تسئلوا ﴾ البقرة / ١٠٨ أو المضارع الغائب المقترن بلام الأمر (أمر الغائب) ﴿ وليسئلوا ﴾ الممتحنة / ١٠ .

فقد اتفقوا على الهمزة في كل ذلك .

وإن كان أمر المواجه ليس قبله واو أو فاء فقد اتفقوا على ترك الهمزة نحو : ﴿ سل بني اسرائيل ﴾ البقرة/ ٢١١ .

والأصل الآخر : قوله تعالى : ﴿ استيأس ﴾ حيث وقع ، وقد وقع

---

(١) الكتاب جـ ٣ ص ٥٤٣ هارون وراجع الاقناع جـ ١ ص ٣٦٩ وما بعدها .

في خمسة مواضع : ﴿ فلما استيئسوا منه ﴾ يوسف / ٨٠ ﴿ ولا تايئسوا من روح الله إنه لا يايئس ﴾ ٨٧ ﴿ حتى إذا استيئس الرسل ﴾ ١١٠ . وفي الرعد/٣١ ﴿ أفلم يايئس الذين آمنوا ﴾ .

قرأ البزي بالألف وفتح الياء من غير همز ، وهناك روايات مختلفة عنه .

وقرأ الجماعة بالهمز

٣ ـ المتحركة لاما :

النوع الثالث من الهمزة المفردة المتحركة : أن تقع لاما .

ولها صورتان :

الأولى : أن يسبقها متحرك .

مثل ﴿ الصابئين ﴾ البقرة/ ٢٦٢ والحج / ١٧ ﴿ والصابئون ﴾ المائدة / ٦٩ .

فقد ترك همزهما نافع ، وهمز الباقون .

وهناك أحد عشر حرفاً أخرى اختلفت فيه آراء القراءَ[1]، وليس لهم أصول مطردة فيها .

الصورة الأخرى : أن يسبقها ساكن .

اختلف القراء فيها في أصلين مطـردين وفي ثلاثة أحرف .

أول الأصلين : (النبي ـ النبيين ـ الأنبياء ـ النبوة) ونحوها حيث وقع .

قرأ نافع بالهمز إلا أن قالون ترك الهمز في الأحزاب (للنبي إن أراد ـ بيوت النبي إلا) ٥٠ ، ٥٣ وذلك في الوصل فقط ، وفي الوقف يهمز ، وبقية القراء بغير همز .

---

(١) راجع الاقناع جـ ١ ص ٤٠١ وما بعدها .

والأصل الثاني : (القرآن ـ قرآناً ـ قرآنه) حيث وقع إذا كان اسماً

ترك همزه ابن كثير وهمزه الباقون .

ويوافق حمزةُ ابن كثير في الوقف .

والأحرف الثلاثة هي :

(النسىء) التوبة / ٣٧ قرآه ورش بتشديد الياء من غير همز وهمز الباقون وإذا وقف حمزة وهشام وافقا ورشا .

(البريَّة) في موضعين من سورة البينة / ٦ ، ٧ .

قرأ نافع وابن ذكوان بالهمز فيهما ، وخفف الباقون .

القسم الثاني
الهمزة الساكنة

ولها حالتان :

أ ـ حالة تلاقي فيها همزة أخرى .

ب ـ وحالة تكون فيها مفردة .

أ ـ التقاء الساكنة مع همزة أخرى :

إذا التقت الهمزة الساكنة بهمزة أخرى فلا بد أن تكون الأخرى متحركة لأن الساكنين لا يجتمعان .

فإذا وقعت المتحركة بعدها لزم الإدغام إذا كانت عيناً مثل « رَأَّس ـ سأَّل » ولم تجىء هذه الصورة في كتاب الله .

وإن كانتا منفصلتين مثل : « اقرأْ إنا أنزلناه » فيرى ابن الباذش أن الأولى تخفيف الأولى ، وذكر الأهوازي جواز التحقيق والإدغام ،

والتحقيق أجود[1] .

ولم تأت هذه الصورة في الكتاب العزيز أيضاً .

فإذا كانت الهمزة المتحركة سابقة قلبت الثانية ـ أعني الساكنة ـ حرف مد من جنس حركة الأولى مثل : آدم ـ آمن ـ آخر قلبت الساكنة ألفاً ، ومثل : أوتوا ـ أوتى قلبت الساكنة واواً ، ومثل : إيمان ـ إيتاء قلبت ياء .

وهذا أمر أجمع عليه القراء والنحويون إذا استثنينا ما حكاه سيبويه من قوله : « وزعموا أن ابن أبي اسحاق[2] كان يحقق الهمزتين وأناس معه ، وقد تكلم ببعضه العرب ، وهو رديء »[3] .

ب ـ الساكنة المفردة :

وردت الساكنة المفردة كثيراً في القرآن الكريم ، سواء أكانت فاء أم عيناً أم لاماً .

فإن كانت فاء أو عيناً كثر ورودها في الأسماء والأفعال .

من أمثلتها في الأسماء : (المؤتفكات ـ المؤمن ـ المؤمنون ـ الكأس ـ الرأس ـ البأس ـ البئر ـ الذئب ـ سؤلك ـ الرؤيا) ونحوها .

ومن أمثلة الأفعال : (يؤمن ـ يؤمنون) ﴿ يؤلون ﴾ البقرة / ٢٢٦

---

(١) الاقناع جـ ١ ص ٤٠٥ والأهوازي هو أبو علي الحسن ، صاحب المؤلفات وشيخ القراء في عصره ، قرأ عليه غلام الهراس وأبو القاسم الهذلي ، وله الوجيز في القراءات الثمان توفي بدمشق سنة ٤٤٦هـ .

(٢) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي ، البصري ، جد يعقوب بن اسحاق أحد القراء العشرة ، آخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وروى عنه عيسى بن عمر الثقفي ، وأبو عمرو بن العلاء توفي سنة ١١٧هـ .

(٣) الكتاب جـ ٤ ص ٤٤٣ هارون .

﴿ يقول أئذن لي ﴾ التوبة / ٤٩ ﴿ الذي أئتمن ﴾ البقرة / ٢٨٣ ﴿ لقاءنا أئت ﴾ يونس / ١٥ وشبهه .

وإذا كانت لاماً لا تأتي إلا في الأفعال نحو : (أنشأنا ـ أخطأنا ـ شئنا ـ شئتم ـ جئنا ـ جئتم ـ تبرأنا » وشبهه .

في كل هذه الحالات يذهب ورش الى ترك الهمزة إذا كانت فاء للفعل ، وإن كانت عيناً أو لاماً همز كالباقين .

وأبو عمرو بن العلاء لا يهمز كل همزة ساكنة فاء كانت أو عيناً ، أو لاماً في اسم أو فعل ، ويبدلها على حركة ما قبلها .

لكن الروايات اختلفت عنه متى يفعل ذلك ؟

فيروي أبو عمر الدوري عن اليزيدي عنه : إنه كان لا يهمز إذا قرأ فأدرج القراءة وقيل : لا يهمز إذا قرأ في الصلاة ، وقيل : لا يهمز إذا قرأ بالإدغام .

ويرى ابن الباذش أن الذي عليه الأئمة لأبي عمر تحقيق الهمز مع الإظهار ، وبالتخفيف لا غير مع الإدغام(١) .

والباقون بتحقيق الهمزة في هذا كله .

---

(١) راجع الإقناع جـ ١ ص ٤٠٨ وما بعدها .

٥ ـ الإمالة والفتح

وهي من الأصول المطردة في القراءات .

معنى الإمالة .

تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة[١] .

ويصفها ابن الباذش فيقول : أن تنتحي بالفتحة نحو الكسرة انتحاء خفيفاً كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة ، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء ، ولا تستعلي كما كانت تستعلي قبل إمالتك الفتحة قبلها نحو الكسرة[٢] .

ويقرب منها اصطلاح « بين بين » وهو أن ينحو القارىء أو المتكلم بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الباء قليلاً ، ويقال له أيضاً : التقليل والتلطيف . وسماها الداني : الإمالة الوسطى .

وهي بهذا درجة من درجات الإمالة .

الامالة وتأثيرها الصوتي ، وفائدتها في الأداء :

توجد الإمالة نوعاً من التناسب الصوتي ، وعدم التباين ، ويقول صاحب النشر : وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح ، وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال من أمال ، وأما من فتح فإن راعى كون الفتح أمتن ، أو أنه الأصل[٣] وقد يكون من أسباب الإمالة الدلالة على الأصل .

---

(١) راجع كتاب سيبويه ٢/ ٣١٠ الأميرية ، وأسرار العربية ص ٤٠٦ والكشف جـ ١ ص ١٦٨ ، والشافية الكافية جـ ٤ ص ١٩٧٠ .

(٢) الاقناع جـ ١ ص ٢٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، والنشر ج ٢ ، ص ٢٥ ، والكشف جـ ١ ص ١٦٨ .

الامالة بين اللسان العربي والقراءات :

الإمالة منهج لبعض قبائل العرب في القول والحديث ، ومن هنا فهي داخلة في الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، ووردت بها الروايات المتواترة .

قال أبو عمرو الداني فيما نقله عنه صاحب النشر .

« والإمالة والفتح لغتان مشهورتان ، فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ، قال : وعلماؤنا مختلفون : في أي هذه الأوجه أوجه وأولى قال: واختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين لأن الغرض من الإمالة حاصل بها ، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء ، ثم أسند حديث أبي حذيفة بن اليمان ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون[1] أهل الفسق وأهل الكتابين ، ثم قال : فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة، ومن لحون العرب وأصواتها » .

يتضح مما سبق أن المشهور بين عامة اللغويين أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من قيس وأسد ، وتميم ، وأن الفتح لغة أهل الحجاز .

وليس معنى هذا أن ظاهرة الأمالة مقصورة على النجديين ، والفتح مقصور على أهل الحجاز ؛ إذ نجد الأمالة في قبائل أخرى غير عامة أهل نجد ، كما نرى الفتح في بعضهم أيضاً .

يقول سيبويه : بلغنا عن ابن أبي إسحاق أنه سمع كثير عـزة

(١) راجع الموضح للداني مخطوط ورقة ٢ ، ٣ ، والنشر جـ٢ ص ٣٠ ت الضياع .

يقول : صار بمكان كذا وكذا أي بإمالة الألف في صار »[1] والمعروف أن كثير عزة من خزاعة[2] .

وقال أبو بكر بن مقسم : إن أكثر أهل اليمن يميلون ألف حتى ؛ لأن الإمالة غالبة على ألسنتهم في أكثر الكلام[3] .

ويقول الأشموني في شرحه على الألفية : نقل عن بعض الحجازيين إمالة نحو : خاف وطاب وفاقاً لبني تميم ، وعامتهم يفرقون بين ذوات الواو نحو خاف ، فلا يميلون ، وذوات الياء نحو طاب فيميلون[4] ومثل هذا القول سبق لأبي حيان أن قرره في الارتشاف[5] .

وعند القراء :

من القراء من لم يمل وهو ابن كثير ، ومنهم من اتجه إلى الإمالة .

والذين يميلون قسمان :
قسم يكثر من الإمالة وهم ورش وأبو عمرو ، وحمزة والكسائي .
والقسم الآخر منهم مقلون وهم قالون وابن عامر وعاصم .

وهناك علاقة واضحة بين القراء المكثرين من الأمالة ، وبيئاتهم وشيوخهم ؛ إذ أغلبهم من العراقيين وقد نزل فيهم من قبائل العرب أسد وتميم[6] .

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦١ .
(٢) الأغاني جـ ٢ ص ٢٥ .
(٣) همع الهوامع للسيوطي جـ ٢ ص ٢٠٤ .
(٤) منهج السالك جـ ٤ ص ٢١٠ .
(٥) ارتشاف الضرب لأبي حيان مخطوط ص ٢٠٩ .
(٦) راجع بحث هذه المسألة بتفصيل في كتاب الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ١٥٤ وما بعدها . د. شلبي .

وابن الجزري يقدم نظرة شاملة للإمالة عند القراء تختلف قليلاً عما ذكرنا ؛ إذ يقول : وما من أحد من القراء إلا رويت عنه إمالة قلت أو كثرت[1] .

ومعنى هذا أنه قد روى عن ابن كثير إمالة، وإذا كان ابن الجزري لم يبينها فقد بينها الداني في كتابه الموضح ؛ إذ ذكر أن ابن كثير في رواية البزي عنه أنه كان يقرأ الهاء والياء مكسورة من قوله تعالى : ﴿ كهيعص ﴾[2] .

وبالرجوع إلى كتب القراءات ترى التفصيلات الشاملة والدقيقة لقراءة الأمالة ، وأحيل القارىء بخاصة إلى كتاب الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش .

أسباب الإمالة عند القراء والنحاة .

لا تكاد تختلف أسباب الإمالة عند القراء والنحاة إلا اختلافاً يسيراً ، وذلك راجع إلى أمرين ، فيهما تفسير للاتفاق والاختلاف .

١ ـ أن جمهرة القراء كانوا أصحاب قدم راسخة في النحو وعلوم العربية .

٢ ـ أن القراءة سنة متبعة تخضع للسند والأثر أكثر من القياس والنظر .

ومن هنا نرى صوراً من الأمالة قد لا تكون شائعة عند النحاة بينما هي شائعة وسائغة عند القراء ، كما نرى أسباباً للإمالة يعتد بها في العربية ولا يعتد بها عند القراء .

---

(١) منجد القارئين ص ٦٠ .

(٢) الموضح للداني ورقة ٥٧ والإمالة في القراءات ص ٦٠ .

وسأشير إلى أمثلة لذلك بعد بيان أسباب الأمالة .

سأذكر هذه الأسباب من خلال ما قرره علمان من أعلام النحو والقراءة، وهما أبو محمد مكي بن أبي طالب القسي ٣٤٧هـ وأبو جعفر أحمد ابن الباذش ٥٤٠ هـ .

يقول مكي وقد أوجز علل الإمالة : اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث : وهي الكسرة ، وما أميل ليدل على أصله ، والإمالة للإمالة[1] . .

ثم يتبع ذلك بتفصيلات وأمثلة متعددة من واقع القراءات المتواترة .

وأما ابن الباذش فيذكر أسباب الإمالة على نحو ما جاءت في كتب النحاة ، فيصل بالأسباب إلى ستة ، ثم يفصل القول فيها على ضوء أمثلة من القراءات المتواترة . يقول : وللامالة أسباب توجبها قد حصرها أبو بكر ابن السراج في أصوله[2] وفيما نقل أبو علي عنه[3] إلى ستة أسباب ، وهي : كسرة تكون قبل الألف أو بعدها ، وياء ، وألف منقلبة عن الياء ، وألف مشبهة بالألف المنقلبة عن الياء ، وكسرة تعرض في بعض الأحوال ، وإمالة الإمالة[4] .

(١) الكشف جـ ١ ص ١٧٠ .
(٢) هو محمد بن السري البغدادي ، كنيته أبو بكر ، وهو من تلامذة المبرد ، كما تتلمذ عليه الزجاجي والسيرافي ، وأبو علي الفارسي ، والرماني ، وله مصنفات في النحو واللغة والقراءات والأدب ، ومن أشهر مؤلفاته : الأصول الكبير توفي سنة ٣١٠هـ .
(٣) هو أبو علي الفارسي تتلمذ على الزجاج ، وأخذ كتاب سيبويه عن ابن السراج ، وروى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد ، ومن مؤلفاته : الحجة والإيضاح توفي سنة ٣٧٧هـ .
(٤) الاقناع جـ ١ ص ٢٦٨ .

فهذه هي الأسباب الموجبة للإمالة ما لم يمنع من ذلك الحروف المستعلية[1] ، أو الراء غير المكسورة .

من الواضح أن هذه الأسباب لا تخرج عن الثلاثة التي ذكرها مكي ، وأن ابن السراج نقل هذه الأصول عن كتاب سيبويه[2]،وقد صرح ابن الباذش أن أباه أخبره بذلك ، كما أخبره أن سيبويه زاد ثلاثة أسباب شاذة :

وهي إمالة الألف المشبهة بالألف المنقلبة ، وذلك مثل هاء التأنيث في الوقف .

والإمالة للفرق بين الاسم والحرف مثل الحروف في فواتح السور .

والإمالة لكثرة الاستعمال[3] كما أميل « الحجاج » إذا كان علماً لكثرته في الكلام .

بعض وجوه الاختلاف والاتفاق بين النحاة والقراء

نتيجة لما عرفناه من أن منهج القراء والقراءات السند المتواتر والاتباع وجدنا ما أشرت إليه آنفاً من وجوه اختلاف واتفاق بين النحاة والقراء ، وكلها في دائرة أسباب الإمالة سواء القياسية منها والشاذة .

١ ـ ما وقع فيه حرف استعلاء متقدماً على الألف ، أو متأخراً عنها

---

(١) هـي التي يجمعها قولهم : خصن ضغط قظ .

(٢) باب الإمالة في الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ١١٧ (هارون) أشار الدكتور شلبي في كتاب الإمالة أنه بالموازنة بين ما استخرجه من الكتاب . وما جاء في أصول ابن السراج اتضح فيه أن ابن السراج أغفل الإمالة للإمالة مع أن نقل ابن الباذش يؤكد أن ابن السراج لم يغفل هذا الأمر ، ولعل سر هذا أن الدكتور شلبي اعتمد في نقل كلام ابن السراج على الهمع جـ ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) الاقناع جـ ١ ص ٢٦٩ ، والكتاب جـ ٤ ص ١٣٥ ـ ١٣٨ .

ومتصلاً بها فلا يمال عند النحاة والقراء جميعاً . مثل لقاء ـ نفاق ـ شقاق ـ قصاص .

٢ ـ ما وقعت فيه بعد الألف راء مضمومة أو مفتوحة ، أو وقعت فيه قبل الألف راء مفتوحة فقد اتفق النحاة والقراء على عدم إمالته[١] .

٣ ـ الياء وإن كانت من أقوى أسباب الإمالة عند النحاة لم تكن سبباً لإمالة شيء عند القراء .

فالقراء لم يميلوا مثلاً : أيام ـ بيان ـ ثياب ـ حياة .

وأمالوا لفظ « الديار » في : خلال الديار ـ من دياركم ـ من ديارنا ـ في ديارهم ، وذلك لأجل الراء المكسورة بعد الألف بدليل إمالة نحو : كفار ـ نهار ـ مقدار ـ أبكار[٢] .

٤ ـ الإمالة بالأسباب الشاذة التي أشرنا إليها ، وقلنا إنها نقلت عن سيبويه .

فبرغم أن أسبابها شاذة على حد تعبير النحاة لكن القراء أخذوا بها .

من ذلك هاء التأنيث في الوقف .

قال سيبويه : سمعت العرب يقولون : ضربت ضربِه ، وأخذت أخذِه ، وشبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف[٣] .

وجاء القراء وعالجوا هذه القضية معالجة مفصلة .

يقول مكي : اعلم أن هاء التأنيث أشبهت الألف التي للتأنيث من

---

(١) راجع الإمالة الدكتور شلبي ص ٢١٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٣) الكتاب جـ ٤ ص ١٤٠ .

خمس جهات : إحداها : قرب المخرج من الألف ، والثانية : أنها زائدة كألف التأنيث ، والثالثة : أنها تدل على التأنيث كالألف ، والرابعة : أنها تسكن في الوقف كالألف ، والخامسة : أن ما قبلها لا يكون إلا مفتوحاً كالألف » ثم يقول : فلما تمكن الشبه في الوقف بالسكون أجراها الكسائي مجرى الألف في الوقف خاصة ، فأمال ما قبلها من الفتح ، فقربه من الكسر ، كما يفعل بألف التأنيث[١] .

وهكذا يوجه مكي هذا النوع من الإمالة الذي اتجه إليه القراء ، ولم يهتم به النحاة إلا قليلاً .

ويروي ابن الباذش عن خلف بن هشام قوله : سمعت الكسائي يقف على قوله تعالى : ﴿ بالآخِرة ﴾ وعلى (نعمة ـ ومعصية ـ ومِرْية ـ والقيِّمة) ونحو ذلك بكسر الراء في الآخرة ، والميم في نعمة ، والياء في معصية ، وكذلك بقيتها[٢] .

ويقول ابن الجزري عن إمالة ما قبل هاء التأنيث في الوقف : فتبدل في الوقف هاء ، وقد أمالها بعض العرب ، كما أمالوا الألف . وقيل للكسائي : إنك تميل ما قبل هاء التأنيث ، فقال : هذا طباع العربية . قال الحافظ أبو عمرو الداني : يعني بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب ، يقولون : أخذته أخذِه ، وضربته ضربِه . وقال : وحكي ذلك عنهم الأخفش سعيد ابن مسعدة . قلت : والإمالة في هاء التأنيث وما شابهها من نحو (همزة ولمزة وخليفة ، وبصيرة) هي لغة الناس اليوم ، والجارية على ألسنتهم في أكثر البلاد ، شرقاً وغرباً ، وشاماً ، ومصراً ، لا يحسنون غيرها ، ولا ينطقون بسواها ، يرون ذلك أخف على لسانهم ، وأسهل في طباعهم ،

---

(١) الكشف جـ ١ ص ٢٠٣ .
(٢) الإقناع جـ ١ ص ٣١٥ .

وقد حكاها سيبويه عن العرب [١] . .

وهكذا أصل ابن الجزري قراءة الكسائي بإمالة ما قبل هاء التأنيث ، وذكر أنها وثيقة الصلة بلغات العرب الفصيحة ، ولا يعني شذوذها عند النحاة أن هذه القراءة غير فصيحة .

وكذلك الإمالة للفرق ، والإمالة لكثرة الاستعمال كثر ورودها في القراءات برغم شذوذها عند النحاة[٢] .

٦ ـ الراءات واللامات
بين التفخيم والترقيق

الحديث عن الراءات واللامات عند القراء بين التفخيم والترقيق يتصل بالإمالة ذلك لأن ترقيق الراء فيه إمالة محدودة نحو الكسر يبدو ذلك من قول مكي : واعلم أن الترقيق في الراء إمالة نحو الكسر ، ولكنها إمالة ضعيفة لانفرادها في حرف واحد ؛ لأن الإمالة القوية ما كانت في حرفين ، وأقوى منها ما كان في ثلاثة أحرف أو أربعة[٣] .

التفخيم والترقيق

التفخيم ويسمى أحياناً : الفتح هو : تضخيم المدى الصوتي للحرف وتسمينه ، والتفخيم والتغليظ سواء إلا أنهم استعملوا التفخيم مع الراء ، والتغليظ مع اللام .

وأما الترقيق فهو مقابل لهما ، وهو من الرقة التي هي ضد السمن ،

---

(١) النشر جـ ٢ ص ٨٢ .
(٢) راجع الاقناع جـ ١ ص ٣٢١ وما بعدها .
(٣) الكشف جـ ١ ص ٢٠٩ .

وهو عبارة عن إنحاف ذات الحرف وذبوله .

أحكام الراءات

الأصل في الراءات التفخيم والتغليظ ، وقد ترقق في حالات معينة .

وهي على ضربين : ضرب متفق عليه ، وضرب مختلف فيه .

والمتفق عليه ثلاثة أقسام :

قسم أجمع القراء على تفخيمه .

وقسم أجمعوا على ترقيقه .

وقسم أجازوا فيه الوجهين .

١ ـ ما أجمعوا على تفخيمه .

أ ـ كل راء مفتوحة أو مضمومة وقبلها فتحة أو ضمة أو كسرة عارضة ، أو ساكن قبله أحد هذه الثلاث أو كان بعدها حرف استعلاء[١] أو راء أخرى في كلمة بينهما ألف فتفخم الراء في هذه الأحوال كلها متوسطة أو متطرفة ، منونة أو غير منونة ، مشددة أو مخففة وأمثلتها : ربِّك ـ يُرَدون ـ ذكروا ـ اليُسْرَ ـ العُسْرَ ـ غفورٌ شكورٌ ـ لِرَبهم .

ب ـ كل راء مفتوحة قبلها كسرة لازمة ، وبعدها ضاد أو طاء بأي حركة محَركاً ، أو راء مفتوحة أو مضمومة بينهما ألف ، أو كان الاسم أعجمياً .

وأمثلة ذلك : إعراضاً ـ صِراط ـ الفِرارُ ـ فِراراً ـ اسرائيل ـ عمران ـ إبراهيم .

جـ ـ كل راء مفتوحة وقعت بعد ساكن هو صاد أو طاء أو قاف .

---

(١) حروف الاستعلاء جمعت في قولهم : (خص ـ ضغط ـ قط) .

وقد وقعت هذه في سبع كلمات من الكتاب العزيز .

﴿ إِصْرَهم ﴾ ارعراف/ ١٥٧ و﴿ مصر ﴾ في أربعة مواضع : يونس / ٨٧ ويوسف ٢١ ، ٩٩ والزخرف ٥١ و﴿ فطرة لله ﴾[1] الروم/ ٣٠ و ﴿ قطراً ﴾ الكهف/ ٩٦ ، و﴿ مصراً ﴾ البقرة/ ٦١ و ﴿ إصرا ﴾ البقرة / ٢٨٦ و ﴿ وِقْرا ﴾ الذاريات/ ٢ .

وهنا يبدو أن القراء لم يحفلوا بالكسر في هذه الكلمات السبع وذلك لسبب صوتي هو وجود الحرف المستعلي .

د ـ كل راء ساكنة قبلها فتحة أو ضمة أو كسرة عارضة ، أو كانت الكسرة لازمة وبعد الراء حرف استعلاء مفتوح .

وأمثلة ذلك : مَرْجعكم ـ كُرْسيه ـ أم ارْتَابوا ـ إرْصاداً ـ مِرْصاداً فِرقة ـ قرطاس .

١ ـ ما أجمعوا على ترقيقه .

أ ـ كل راء مكسورة كسرة عارضة أو لازمة مثل : فريق ـ الحريق ـ رئاء ـ نُكُر ـ نهر .

ب ـ كل راء ساكنة ، وما قبلها مكسور كسراً لازماً وليس بعدها حرف استعلاء مثل : مِرْيه ـ شِرْعة ـ فرعون ـ الإربة ـ فرق .

٣ ـ ما أجازوا فيه الوجهين .

كل راء ساكنة بعدها ياء مفتوحة نحو « مريم ـ قرية ـ من قريتنا ـ من قريتكم » .

---

(١) في خط المصحف التاء مفتوحة ، والتاء المربوطة تكتب في خط المصحف مفتوحة في ١٣ كلمة منها كلمة فطرة .

من أهل الأداء من ذهب إلى تفخيم هذا النوع مثل أبي بكر الداجوني ، وإليه ذهب عثمان بن سعيد الداني ، وقال : الياء إذا تحركت بالفتح كسائر الحروف لا توجب إمالة ولا ترقيقاً وخطأ من أخذ بالترقيق[1] .

وكان أبو محمد مكي والناس الجماءَ الغفير يأخذون بالترقيق ، وعليه أكثر قراء الأندلس .

وذكر الأهوازي أنه على الترقيق وجد أهل البصرة ، ومدينة السلام (بغداد)[2] .

الضرب المختلف فيه :

ضابطه : كل راء مفتوحة ، منونة كانت أو غير منونة قبلها كسره لازمة ، وليس بعدها في الكلمة نفسها صاد ولا طاء ، ولا ضاد ، ولا قاف ، ولا راء أخرى .

فورش يرقق مثل : الآخرة ـ فاقرة ـ تبصرة ـ قاصرات ـ فاطر ـ قطران ـ المدبرات ـ فراشا ـ سراجا ـ سراعاً إلخ .

واستثنى قوم إرم ذات العماد/ الفجر/ ٧ ففخموه ، واختار ذلك عثمان بن سعيد[3] ، وحجته أنه أعجمي ، واختار ابن غلبون[4] ترقيقه واستثنى قوم « حصرت » في الوقف وأكثرهم على الترقيق له .

فأما في الوصل فمنهم من يفخمه ومنهم من يرققه .

---

(١) الإقناع ، جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) هو أبو عمرو الداني القرشي ، القرطبي صاحب التيسير ت ٤٤٤هـ .

(٤) هو أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون ، الحلبي ، نزيل مصر ، شيخ الداني ، ومؤلف كتاب التذكرة في القراءات الثمان ت ٣٩٩ .

وهناك صور أخرى كثيرة من هذا الضرب ارجع إليها في مظانها[1] .

وفي حالة الوقف :

في حالة الوقف تختلف أحكام الراءات عند القراء من حيث التفخيم والترقيق .

أ ـ فكل راء في الطرف مفتوحه سبقها كسرة أو ياء متصلين بها أو منفصلين عنها يرققها جميع القراء نحو (ليغفِرَ ـ الخيرَ ـ الطيرَ ـ الشعرَ ـ الخنازيرَ ـ الفقيرَ) .

ب ـ وكل راء في الطرف مفتوحة قبلها فتحة أو ضمة متصلتان بها أو منفصلتان عنها فالوقف عليها بالتفخيم كالوصل مثل : (ألم تَرَ ـ الدبُرَ ـ الأمورَ ـ والعسرَ واليُسْرَ) . وكذلك إن كان قبلها ألف مثل : (إلا النارَ)[2] .

جـ ـ كل راء مضمومة في الطرف منونة أو غير منونة وليها كسرة لازمة أو باء ساكنة فالقراء إلا ورشا إن وقفوا بالروم فخموا ، وإن وقفوا بالسكون أو الإشمام رققوا ، وأما ورش فيرقق في الجميع .

وإذا تلا الراء المضمومة ضمة أو فتحة وقفوا بالتفخيم مع السكون والروم والإشمام .

وأمثلة ذلك (تستكثِرُ ـ مستمِرّ ـ إلا نذيرٌ) (مُسْتَطَرُ ـ النذُرُ) .

د ـ وكل راء مكسورة طرفا قبلها ياء أو كسرة يقف عليها جميع

---

(١) راجع الاقناع جـ ١ ص ٣٢٩ وما بعدها والكشف جـ ١ ص ٢٠٩ وما بعدها .
(٢) معنى وليها أتى قبلها مباشرة .

القراء بالترقيق مع الإسكان والروم نحو (منهمرٍ ـ مُسْتَمِرٌّ ـ من بشيرٍ ـ ولا نذيرٍ) وإذا كان قبلها فتحة أو ضمة فيقف الجميع عليها بالترقيق مع الروم ، وبالتفخيم مع السكون نحو (مَطَرٍ ـ وسفَرٍ ـ ودسُرٍ ـ ونُكُرٍ)[1] .

أحكام اللامات :

الأصل في اللام الترقيق .

وقد تفخم أو تغلظ لمشاركتها الراء في المخرج ، والراء حرف تفخيم ، ولمشاركتها النون في المخرج ، والنون حرف غنه .

وتفخم اللام لأمرين : أولهما : التعظيم .

والآخر : حروف الإطباق ليعمل اللسان عملاً واحداً في التفخيم .

أما الأول فيكون في اللام من لفظ الجلالة مثل : الله ربي ـ قال الله ـ لا إله إلا الله .

فإذا سبقه كسرة رقق لأجل الكسرة : لله ما في السموات والأرض ـ من عند الله ـ في سبيل الله .

فإن ذهبت الكسرة عدنا للتفخيم .
وقد أجمع القراء على ذلك إلا من شذ[2] .
التفخيم لحروف الإطباق . .

وتفخم اللام إذا كان قبلها طاء ، أو ظاء ، أو صاد ما لم تنكسر اللام أو تنضم ، أو تنكسر الظاء أو تنضم .

---

(١) راجع الإقناع جـ ١ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ بتصرف .
(٢) ذكر ابن الباذش أن أبا بكر بن مقسم كان يأخذ بالترقيق ، وأن ذلك مذكور عن أبي عمرو الكسائي ثم أشار إلى أنه يأخذ بالتغليظ . الاقناع جـ ١ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

وقد تفرد بالتفخيم على هذا النحو ورش عن نافع مثل (ظلموا ، ومن أظلم - والصلاة - ومصلى - والطلاق - وطلقتم) وشبهه .

ورققه باقي القراء .

وتفخيم ورش قائم على أسس صوتية قوية ، وذلك أن اللام سبقها حرف مطبق مفخم مستعل فأراد أن يقرب اللام منه ، فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً « وهذا هو معظم مذاهب العرب في مثل هذا ، يقربون الحرف من الحرف ليعمل اللسان عملاً واحداً ، ويقربون الحركة من الحركة ليعمل اللسان عملاً واحداً ، وعلى هذا أتت الإمالات في عللها »[1] .

فإن وقعت الألف بين اللام المفتوحة والصاد نجد بعض القراء يرقق ، وبعضهم يفخم ، وذلك نحو : (فصالا) (يَصَّالحا[2]) وكذا إذا فصل بين اللام والطاء ألف مثل (فطالَ)[3] .

وإن وقعت اللام المسبوقة بالصاد رأس آية جاز الترقيق والتفخيم ، لأنه تعارض أصلان : أحدهما يوجب الترقيق وهو كونها رأس آي ، والآخر يوجب التفخيم وهو وقوع لام مفتوحة قبلها صاد مفتوحة .

وقد وقعت هذا الموقع في ثلاث آيات من القرآن الكريم : القيامة / ٣١ (ولا صَلّى) والأعلى / ١٥ (فصلى) وفي اقرأ/ ١٠ (إذا صلى) .

---

(١) الكشف جـ ١ ص ٢١٩ .

(٢) سورة النساء/ ١٢٨ والمذكور في المثال قراءة بن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو (السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٨) .

(٣) طه/ ٨٧ (أفطال عليكم العهد) ، (حتى طال عليهم العمر) الأنبياء /٤٤ (فطال عليهم الأمد) الحديد/ ١٦ ، وراجع الأقناع جـ١ ص ٢٤١ ، والنشر جـ٢ ص ١١٣ الضباع .

فإن انكسرت اللام ، أو انضمت ، أو سكنت ، أو انضمت الطاء فإن ورشا يرقق اللام شأنه شأن سائر القراء نحو : (لظلوم ـ فطَلّ ـ ويصلّون ـ ومن يظلم ـ فَظَلَلْتم ـ ظُلُمات ـ ويصلّى وفصلناه)[١] .

وهذه اللام المفخمة عند ورش في الوصل لوقوع حروف الإطباق قبلها إذا وقفت عليها وكانت طرفاً فلك في الوقف عليها وجهان : إن شئت فخمت كما في الوصل ، وإن شئت رققت لأنها تصير ساكنة ، والساكنة لا تفخم لحرف الإطباق إلا كلمة (صلصال)، ولا يقاس عليها؛ لأن اللام وقعت بين حرفي إطباق[٢] .

٧ ـ الهـاءات

بالنظر إلى الهاءات المستعملة في اللسان العربي نجدها تنحصر في ست ، وهي :

١ ـ الهاء الأصلية ، وهي التي تعد جزءاً من بنية الكلمة .
٢ ـ هاء التأنيث .
٣ ـ هاء البدل .
٤ ـ هاء العوض .
٥ ـ هاء السكت .
٦ ـ هاء ضمير المذكر .

وللقراء ، وعلماء القراءات مذاهب في هذه الهاءات منها الأصول المطردة التي يهمنا أن نشير إليها هنا بإيجاز ، ومنها حروف مختلف فيها

---

(١) الكشف جـ ٢ ص ٢٢٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

تراها مسجلة فيما يسمى بالفرش في كتب القراءات .

١ ـ الهاء الأصلية :

ومن أمثلتها : إله ـ إلها ـ الله ـ نفقه ـ فواكه ـ وجوه ـ برهان .

هذه الهاء لا خلاف بين القراء في أن تكون على ما هي عليه من حركة إعرابية أو من حركة بناء حسب وضعها في الكلمة فاء أو عيناً أو لاماً .

إلا حالة واحدة : الهاء التي هي جزء من الضمير « هو أو هي » إذا سبقت بواو أو فاء ، أو ثم حيث وقعت .

قرأ قالون والكسائي بإسكان الهاء في ذلك ، وتابعهما أبو عمرو إلا مع « ثم » وهو موضع واحد في القصص (ثم هو) الآية ٦١ .

وبقية القراء بتحريك الهاء في ذلك حيث وقعت .

٢ ـ هاء التأنيث :

أمثلتها :«رحمة ـ نعمة ـ كلمة ربك ـ لعنة الله ـ سنة الأولين » .

القاعدة فيها أنها في الوصل تاء ، وتقلب في الوقف هاء ، والدليل على أنها تاء اتصالها بالفعل نحو : ضربت ، وبقاؤها فيه وصلا ووقفاً على حال واحد ، وإنما قلبت في الوقف هاء لأن الشأن في الوقف أن يغير الحروف ، كما أبدلوا الألف من التنوين في نحو : رأيت زيداً[١] .

وحكى سيبويه أن بعض العرب يجعلها في الوقف تاء ، ولم يحدد القبائل التي تفعل ذلك[٢] .

---

(١) الاقناع جـ ١ ص ٤٩٣ .

(٢) الكتاب جـ ٤ ص ١٦٧ هارون .

وقد ذكر السيرافي في شرحه على الكتاب : إن من العرب قوماً ، وهم من طيىء يقفون على التاء ، فيقولون : شجرت وجحفت يريدون : شجرة وجحفة[1] » .

ومثل ذلك روى عن الفراء ، النحوي الكوفي تلميذ الكسائي[2] .

وقد كتبت في المصحف في بعض المواضع بالتاء على هذه اللغة .

والقراء لهم اختلاف في الوقف على هاء التأنيث .

وقد ذكرنا في الوقف أن الكسائي يقف على ما قبل تاء التأنيث ، المنقلبة في الوقف هاء بالإمالة عند خمسة عشر حرفاً يجمعها قولهم : فجثت زينب لذود شمس[3] .

٣ ـ الهاء التي هي بدل :

وذلك مثل الهاء في « هذه » التي هي بدل من الياء في « هذي » كما أبدلت من الهمزة في « هراق » ولا يصح أن يقال : إن الهاء هنا للتأنيث ؛ لأنه لم يؤنث بها في أي موضع من مواضع الكلام وإنما أنث بالياء في مثل تقولين ، ونحوها أعني ياء المخاطبة .

لا خلاف بين القراء في قراءة (هذه) بهاء موصولة بياء حيث وقع ، وهذه الياء زائدة كالزيادة التي تلحق هاء الضمير في (به) فإذا وقفت عليها ، أو لقيت ساكناً سقطت الزيادة وسكنت الهاء (هذه الشجرة) (هذه الأنعام)[4] .

---

(١) شرح السيرافي على الكتاب جـ ١ ص ٦١ .
(٢) راجع لسان العرب ج ٢٠ ص ٣٧٠ .
(٣) إرشاد المبتدي لأبي العِز القلانسي (باب الوقف) .
(٤) الإقناع جـ ١ ص ٤٩٤ .

٤ ـ هاء العوض :

ومثالها: أن مذهب « البزي » في الوقف على (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر أن يحذف ألفها ، ويعوض عنها الهاء نحو : لمه ـ فيمه ـ عمه ، وممه . فلمه .

٥ ـ هاء السكت :

وهي هاء ساكنة تزاد في الوقف لبيان الحركة ، وحقها أن تسقط في درج الكلام .

ومذهب القراء فيها أنهم اختلفوا في إثباتها وحذفها في خمسة مواضع : في البقرة/ ٢٥٩ ﴿ لم يَتَسَنَّه ﴾ وفي الأنعام/ ٩٠ ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ وفي الحاقة/ ٢٨ ، ٢٩ ﴿ عني ماليه ﴾ (عنى سلطانية) وفي القارعة/ ١٠ (ماهيه) .

ذهب حمزة إلى إسقاطها في الوصل في هذه المواضع .

وتابعه الكسائي في موضعين هما : (يتسنه) و (واقتده) وأثبتها فيما عداهما .

وعند الباقين ساكنة وصلا ووقفا فيهن إلا ما جاء عن ابن عامر في (اقتده) ؛ إذ روى هشام كسر الهاء فيه من غير صلة بالياء في الوصل ويقف بالإسكان .

يقول ابن الباذش : قرأت لابن ذكوان[1] عن طريق الأهوازي عن أهل العراق على نحو ما روى هشام ثم يقول : والمشهور عنه : كسر الهاء فيه وفصلها بالياء ، ويقف بالإسكان نص على ذلك الأخفش[2] .

---

(١) هو أحد الرواة عن أبن عامر مثل هشام .

(٢) الإقناع جـ ١ ص ٤٩٥ .

والهاء في هذه الحالة لا تكون للسكت ، وإنما هي ضمير يعود على مصدر الفعل ، أي : اقتد الاقتداء وكذلك (يتسنه) عند من أثبت في الوصل : الهاء لام الفعل أو بدل .

٦ ـ هاء الكناية عن المذكر (هاء ضمير المذكر) :

هذه الهاء كما نعلم تتصل بالأسماء والأفعال والحروف ، وهي كثيرة الدور في القرآن الكريم .

وهي عند القراء على قسمين : متفق عليه ، ومختلف فيه .

القسم المتفق عليه :

١ ـ إذا تحرك ما قبل الهاء بإحدى الحركات الثلاث : الضمة نحو (يعلمُه ويخلقُه) والفتحة نحو (قدّرَه ـ وأنشرَه) والكسرة نحو (أمه وصاحبته) .

في هذه الحالة اتفق القراء على صلة الهاء بواو مع الضمة والفتحة ، وبياء مع الكسرة ، فإذا وقفوا سقطت الياء والواو وسكنت الهاء .

٢ ـ إذا التقى ساكنان نحو (تحمله الملائكة) البقرة/ ٢٤٨ ﴿ فَلْيُلْقِهِ اليم ﴾ طه/ ٣٩ وشبهه والساكنان هنا : ألف وصل وحرف الإشباع . اتفق القراء على سقوط حرفي العلة ، وبقاء حركة هاء الضمير على ما كانت عليه ، يستثنى من ذلك ما قرأ به حمزة الآيتين : ﴿ لأهله أمكثوا ﴾ طه/ ١٠ والقصص/ ٢٩ بضم الهاء على الأصل ؛ لأن الأصل أن تضم ، ولا تكسر إلا إذا سبقها ياء أو كسرة على أن بقية القراء يسير على كسر الهاء[1] .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩٦ .

القسم المختلف فيه :

ونستطيع أن نحصره في المواضع التالية :

١ ـ أن يكون قبل هاء الضمير حرف لين ، موجوداً في اللفظ ، ساكناً .

ومن أمثلته ﴿ واجتباه وهداه ﴾ النحل/ ١٢١ ﴿ فألقى موسى عصاه ﴾ الشعراء/ ٤٥ ﴿ عليه ما حمل ﴾ النور/ ٥٤ ومنه (عقلوه ـ خذوه ـ فعلوه ـ فيه) .

٢ ـ أن يكون قبل هاء الضمير حرفاً غير لين ساكناً :

ومن أمثلته : منه ـ عنه ـ لدنه .

ابن كثير في هاتين الحالتين يصل الهاء بياء إذا كان قبلها ياء ، وبواو فيما عدا ذلك ، وهذا في حالة الوصل حيث وقع .

تابعه حفص في كلمة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ ويخلد فِيهِي مهانا ﴾ الفرقان/ ٦٩ .

وكذلك إذا لقيها ساكن مدغم أو غيره مثل : ﴿ عليه الله ﴾ الفتح/ ١٠ ﴿ من قبله العذاب ﴾ الحديد/ ١٣ ﴿ أن لن ينصره الله ﴾ الحج/ ١٥ .

وعند الوقف تسقط الواو والياء .

وبقية القراء يختلسون الكسرة والضمة في الحرفين من غير صلتهما بياء ولا واو .

وذهب حفص إلى ضم هاء الضمير المسبوقة بياء في حرفين ، وهما : ﴿ وما أنسانيهُ إلا ﴾ الكهف/ ٦٣ و ﴿ عاهد عليهُ الله ﴾ الفتح/ ١٠[1] .

---

(١) الاقناع جـ ١ ص ٤٩٨ .

وموقف النحاة من هذا الأمر يفسره ما ذهب إليه سيبويه من أن حذف الياء والواو مع حرف اللين أجود ، وإثباتها مع غيرها أجود[1] .

٣ ـ أن يكون قبل هاء الضمير ساكن محذوف ، بأن يكون حرف علة حذف لأجل الجزم .

ووقع ذلك في ستة عشر فعلاً مضارعاً ، منها اثنا عشر ، كسر فيها ما قبل الهاء ، وأربعة فتح فيها ما قبل الهاء وهي على هذا النحو ، كما ذكرها أبو جعفر ابن الباذش .

في آل عمران/ ٧٥ ، ١٤٥ ﴿ يؤده إليك ﴾ ﴿ لا يؤده إليك ﴾ ﴿ نؤته منها ﴾ في موضعين .

ومن النساء/ ١١٥ ﴿ نولّه ، ونُصْلِه ﴾ وفي الأعراف/ ١١١ ، والشعراء/ ٣٦ ﴿أرجه﴾ وفي طه/ ٧٥ ﴿ ومن يأته﴾ وفي النور / ٥٢ ﴿ ويخشى الله ويتقه ﴾ .

وفي النمل/ ٢٨ ﴿ فألقه إليهم ﴾ وفي الشورى/ ٢٠ ﴿ نؤته منها ﴾ فهذه الاثنا عشر حرفاً .

والأربعة : ﴿ يرضه لكم ﴾ الزمر/ ٧ ﴿ أن لم يره أحد ﴾ البلد/ ٧ و ﴿ خيراً يره ﴾ و ﴿شرا يره﴾ الزلزلة/ ٧ ، ٨ .

وفي هذا القسم وجوه كثيرة من اختلاف القراء ، نذكر بعضاً منها ، ونحيل الراغب في الاستيعاب إلى المراجع التي تتناول في فرش الحروف كل رواية وردت[3] .

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص ٢٩١ بولاق .
(٢) الاقناع جـ ١ ص ٤٩٨ وما بعدها .
(٣) راجع الاقناع جـ ١ ص ٥٠٠ وما بعدها .

٢ ـ قرأ أبو بكر[١] وأبو عمرو وحمزة بإسكان الهاء في سبعة أحرف ﴿ يؤده ﴾ آل عمران ﴿ نؤته ﴾ آل عمران والشورى و﴿ نوله ـ نصله ﴾ في النساء ، وروى مثل هذا عن هشام .

وقرأ قالون باختلاس كسرة الهاء فيهن ، وروى مثل هذا عن هشام أيضاً .

وقرأ الباقون بإشباع الكسرة فيهن ، وهي رواية أبي عبد الله الرازي عن الفضل بن شاذان عن الحلواني عن هشام ، وبذلك يأخذ له أصحاب ابن غلبون[٢] .

والهاء في الوقف ساكنة عند الجميع .

ب ـ ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ﴾ النور/ **٥٢** .

قرأ أبو بكر وأبو عمرو ﴿ ويَتَّقِهْ ﴾ بإسكان الهاء .

وقرأ قالون باختلاس حركتها .

وقرأ الباقون بصلتها بالياء .

وقرأ حفص ﴿ ويتّقْهِ ﴾ بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء .

وقرأ الباقون بكسر القاف . والهاء في الوقف ساكنة بالإجماع .

---

(١) أبو بكر بن عياش ، أحد الرواة عن عاصم والمعروف بشعبة .

(٢) هو طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون أبو الحسن الحلبي ، أستاذ ، عارف ، شيخ الداني ، ومؤلف كتاب التذكرة في القراءات الثمان ، روى القراءة عنه عرضا وسماعا أبو عمر والداني وأحمد بن بابشاذ توفي سنة ٣٩٩هـ .

٨ ـ الياءات

تناول القراء نوعين منها :

الأول : ياءات الإضافة والآخر : الياءات الزوائد .

ياءات الإضافة (بين الإسكان والفتح)

ياء الإضافة في اصطلاح الفراء ، هي الياء الزائدة الدالة على المتكلم ، وتتصل بالاسم والفعل والحرف مثل : نفسي ، ذكرِي ، وفطرني وهداني وإني ولي .

وهو باب عظيم الفائدة توفر عليه شيوخ القراءة وحصروا صورها المختلفة وذكروا ما رواه القراء بشأنها من سكون أو فتح .

وقد ذكر أبو عمرو الداني الياءات موضوع الاختلاف في مائتي وأربع عشرة ياء[1] .

وسنقدم بياناً موجزاً عنها يتناول الأصول العامة ، ويترك الجزئيات التي تعد فرشاً ليبحث عنها المستزيد في مظامها .

ونركز ذلك في النقاط الآتية .

أ ـ ياء الإضافة المكسور ما قبلها إذا تلتها همزة مفتوحة أو مكسورة .

مثل : ﴿ إني أرى ﴾ الأنفال/ ٤٨ ﴿ أجري إلا على الله ﴾ يونس/ ٧٢ ﴿ ذروني أَقتل ﴾ غافر/ ٢٦ ﴿ أرني أَنظر ﴾ الأعراف/ ١٥٣ ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ البقرة/ ١٥٢ ونحوها .

يذهب أبو عمرو إلى فتح الياء ما لم يطل الحرف ، وكذلك نافع .

---

(١) راجع التيسير ص ٦٣ .

وابن كثير في هذا الأمر لا يسير على قياس واحد كما فعل أبو عمرو ، وكذا بقية القراء يفتحون بعض الياءات في هذه الحالة دون التزام بقواعد مطردة .

ب ـ ياء الإضافة المكسور ما قبلها إذا تلتها همزة مضمومة .

ومثالها : ﴿ إني أُمرت ﴾ الأنعام/ ١٤ وإني أعيذها ﴾ آل عمران/ ٣٦ ﴿ إني أُريد ﴾ ﴿ فإني أعذبه ﴾ المائدة/ ٢٩ ، ١١٥ ونحـوها ومجموعها عشرة مواضع من القرآن الكريم[١] .

يفتح الياء نافع وحده ، ويسكنها الباقون .

جـ ـ ياء الإضافة المكسور ما قبلها إذا تلتها ألف الوصل مفردة (أي في الفعل) .

وجملة ما في القرآن الكريم منها سبع وهي :

﴿ إني اصـطفيتـك ﴾ الأعـراف/ ١٤٤ ﴿ أخي ـ اشـدد ﴾ ﴿ لنفسي . اذهب ﴾ ﴿ في ذكري . اذهبا ﴾ طه/ ٣٠، ٣١، ٤١، ٤٢، ٤٣ ﴿ يا ليتني اتخذت﴾ الفرقان / ٢٧ ﴿ إن قومي اتخذوا ﴾ الفرقان/ ٣٠ ﴿ من بعدي اسمه أحمد ﴾ الصف/ ٦ .

فتح أبو عمرو الياء فيهن جميعاً ، ووافقه ابن كثير إلا في ﴿ ليتني اتخذت ﴾ فقط .

وأسكن نافع ثلاثاً منهن : ﴿ إني اصطفيتك ﴾ ﴿ اخي . اشدد ﴾ ﴿يا ليتني اتخذت﴾ وفتح الباقيات.

---

(١) بقية المواضع : (إني أُمرت) الأنعام / ١٤ (عذابي أُصيب) الأعراف/ ١٥٦ (إني أُشهد الله) هود/ ٥٤ (أني أُوفي) يوسف/ ٥٩ (إني أُلقي) النحل/ ٢٩ (إني أُريد) القصص/ ٢٧ (إني أُمرت) الزمر/ ١١ .

وفتح أبو بكر[1] ﴿ من بعدي اسمه أحمد ﴾ فقط .
وأسكن بقية القراء الياء في الجميع .

د ـ ياء الإضافة مع همزة ال .

جملة ما في القرآن مما اختلفوا فيه أربع عشرة.

وهي في البقرة/ ١٢٤ ، ٢٥٨ ﴿عهدي الظالمين﴾ ﴿ربي الذي﴾ وفي الأعراف/ ٣٣ ، ١٤٦ ﴿ ربي الفواحش ﴾ ﴿ عن آياتي الذين ﴾ وفي ابراهيم/ ٣١ ﴿ قل لعبادي الذين ﴾ ونحوها[2]

وعدها أبو عمرو الداني ست عشرة زاد ﴿ فبشر عباد الذين ﴾ الزمر/ ١٧ ، ١٨ ﴿ فما آتاني الله ﴾ النمل/ ٣٦[3] .

أسكن حمزة كل هذه الياءات ، وتابعه الكسائي في ثلاثة مواضع وهي : ﴿ قل لعبادي الذين ﴾ ابراهيم/ ٣١ ﴿ يا عبادي الذين ﴾ العنكبوت/ ٥٦ ، والزمر/ ٥٣ وفتح الباقيات .

وتابعه أبو عمرو في العنكبوت والزمر وفتح الباقيات .
وتابعه ابن عامر في إبراهيم ، وإحدى آيتي الأعراف ﴿ عن آياتي الذين ﴾ .
وفتح الباقون الياء حيث وقعت .
واتفقوا على فتح الياء في ﴿ نعمتي التي ﴾ ﴿ حسبي الله ﴾

---

(١) هو أبو بكر بن عياش ، المعروف بشعبة أحد رواة عاصم .
(٢) بقية المواضع : من مريم/ ٣٠ (آتاني الكتاب) وفي الأنبياء ٨٣ ، ١٠٥ (مسنى الضر) (عبادي الصالحون) وفي العنكبوت/ ٥٦ (يا عبادي الذين آمنوا) ومن سبأ/ ١٣ (عبادي الشكور) وفي ص / ٤١ (مسنى الشيطان) وفي الزمر/ ٣٨ ، ٥٣ (إن أرادني الله) (يا عبادي الذين أسرفوا) وفي الملك/ ١٨ (إن أهلكني الله) .
(٣) راجع التيسير ص ٦٣ .

﴿ شركائي الذين ﴾ حيث وقعن .

كما اتفقوا على الفتح في تسعة حروف متفرقة[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ فما آتاني الله ﴾ فقد فتحها في الوصل نافع وأبو عمرو وحفص ، وحذفها الباقون .

وتفرد أبو شعيب بفتح الياء في الوصل ، وإسكانها في الوقف في الزمر في قوله تعالى : ﴿ فبشر عباد . الذين ﴾ وحذفها الباقون في الحالين[2] .

هـ ـ ياء الإضافة المكسور ما قبلها مع بقية حروف المعجم .

نحو (بيتي ـ وجهي ـ مماتي ـ لي) وجملة ما في القرآن الكريم منها ثلاثون .

يقول ابن الباذش : وقال العطار وابن عبد الوهاب : اثنتان وثلاثون زادا ﴿ ما أخفِيَ لهم ﴾ السجدة/ ١٧ ﴿ أملى لهم ﴾ القتال/ ٢٥ .

وهذا وهم منهما لأن الياء في الآيتين ليست ياء المتكلم وإنما هي لام الفعل .

للقراء في هذه الآيات اختلافات شتى يفتح القارىء منهم بعض الآيات ويسكن بعضها على اختلاف بينهم في أعداد ما يفتح منها وما يسكن طبقاً لما صح عند كل منهم في روايته .

وسأذكر هنا ما فتحه حفص من هذه الياءات .

---

(١) هـي : آل عمران/ ٤٠ (بلغني الكبر) (تشمت بي) (ما مسني السوء) (إن وليي الله) الأعراف/ ١٥٠ ، ١٨٨ ، ١٩٦ (مسني الكبر) الحجر/ ٥٤ (آروني الذين) سبأ / ٢٧ (ربي الله) (جاءني البينات) غافر/ ٢٨ ، ٦٦ (نَبَّأني العليم الخبير) التحريم/ ٣ .

(٢) الاقناع جـ ١ ص ٥٤٢ .
أبو شعيب هو السوسي ، أحد الرواة عن أبي عمرو .

فتح حفص ياء ﴿ بيتي ﴾ ﴿ وجهي ﴾ ﴿ معي ﴾ حيث وقعن فهذا أصل مطرد عنده .

وفتح (محياي ﴾ في الأنعام و ﴿ ليَ ﴾ في ابراهيم/ ٤١ وطه/ ١٨ ، والنمل/ ٢٠ ، ويس/ ٢٢ .

وفي موضعين في ص/ ٢٣، ٦٩ والكافرون/ ٦[1] .

٢ ـ الياءات بين الإثبات والحذف

أثبتت بعض الياءات خطاً في المصحف العثماني ، وحذفت آيات أخرى ، وهذه وتلك من الناحية التصريفية منها ما هو لام للكلمة ، ومنها ما هو ياء المتكلم ، ومنها ما هو ياء المنقوص .

الياءات الثابتة

أثبتت هذه الياءات في تسع وعشرين آية من الكتاب العزيز وردت في إحدى وعشرين سورة .

ومن أمثلتها : ﴿ واخشوني ولأتم ﴾ ﴿ يأتي بالشمس ﴾ البقرة/ ١٥٠ ، ٢٥٨ .

﴿فاتبعوني يحببكم اللّٰه﴾ آل عمران/ ٣ ﴿ فكيدوني جميعاً﴾ هود/ ٥٥[2] .

اتفق القراء على إثباتها كلها وصلاً ووقفاً لثبوتها في الخط إلا ما روى عن ابن ذكوان من حذفها في قوله تعالى ﴿ فلا تسألن عن شيء ﴾ في الكهف ، ورواها جماعة عن الأخفش[3] .

---

(١) راجع السبعة لابن مجاهد ص ١٥٢ وما بعدها والاقناع جـ ١ ص ٥٣٦ وما بعدها والتيسير للداني .

(٢) راجع بقية المواضع في الاقناع جـ ١ ص ٥٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥١ .

الياءات الزوائد

سميت بهذا لأنها زائدة على خط المصحف عند من أثبتها من القراء في التلاوة وقد تكون كما قلت لاماً للكلمة ، أو ياء متكلم ، أو ياء منقوص .

وهي تختلف عن ياءات الإضافة التي ذكرناها في عدة أمور .

أولها : أن ياءات الإضافة كلها ضمير متكلم أما الزوائد فهي عامة كما أشرت .

ثانيها : ياءات الزوائد تدخل الأسماء مثل : الداعي ، الجواري ، والأفعال مثل : يوم يأت ي - ولا تكون في الحرف ، وياءات الإضافة تتصل بالأسماء والافعال والحروف .

ثالثها : الياء الزوائد محذوفة من المصاحف العثمانية ، وياءات الإضافة ثابتة .

رابعاً : في آيات الإضافة اختلف القراء فيها بين الفتح والسكون ، وأما الزوائد فاختلافهم من حيث الاثبات والحذف .

بلغ عدد هذه الياءات في القرآن الكريم احدى وستون آية ، منها اثنتان وثلاثون وقعت حشواً وسط الآيات ، وتسع عشرون وقعت فواصل في آخر الآي .

اختلف القراء اختلافاً واسعاً فيما يثبت وما يحذف منها عند التلاوة وصلاً ووقفاً .

أثبت ورش منها في الوصل سبعاً وأربعين .

وأثبت قالون منهن عشرين ، منها ثمانية عشر من زوائد ورش ، واختص باثنتين وهما : ﴿ إن ترن أنا ﴾ الكهف/ ٣٩ و﴿ اتبعون أهدكم ﴾ غافر/ ٣٨ .

وأثبت ابن كثير في الوصل والوقف ثنتين وعشرين .

وتفرد قنبل بإثبات الياء في ﴿ إنه من يتقي ويصبر ﴾ يوسف/ ٩٠ وصلاً ووقفاً .

وأثبت أبو عمرو في الوصل فقط أربعاً وثلاثين كلهن في حشو الكلمة لا رأس آية إلا ﴿ وتقبل دعاء ﴾ ابراهيم/ ٤٠ ﴿ والليل إذا يسر ﴾ الفجر/ ٤ .

وأثبت الكسائي في الوصل ياءين ﴿ يوم يأت ﴾ هود/ ١٠٥ و ﴿ ما كنا نبغ ﴾ الكهف/ ٦٤ .

وحذف عاصم هذه الياءات كلها ، غير أنه اختلف في ياءين .

احداهما : في النحل/ ٣٦ ﴿ فما آتاني الله ﴾ فتحها حفص في الوصل ، وأثبتها ساكنة في الوقف .

والأخرى : الزخرف/ ٦٨ ﴿ يا عبادي لا خوف عليكم ﴾ فتحها أبو بكر في الوصل وأثبتها ساكنة في الوقف وحذفها حفص في الحالين(١) .

٩ ـ صلة ميم الجمع بواو الإشباع

المقصود بميم الجمع : هي الميم التي تلحق الضمائر المتصلة في حالتي الخطاب والغيبة عندما يراد بها الجمع ، أو تكون كناية عن الجمع مثل : (منكم ـ إليكم ـ رأيتكم ـ عليهم ـ منهم ـ بهم) .

فإذا كان قبل الميم كاف الخطاب أو التاء مثل : منكم ـ بكم ـ أنتم فلا يجوز فيها عند الجميع إلا الضم أو التسكين ، وهو ما تقتضيه قواعد اللسان العربي .

---

(١) الاقناع جـ ١ ص ٥٢٥ وما بعدها والتيسير للداني .

وإذا كان قبل الميم هاء فهنا يكون اختلاف القراء حسب حركة الهاءِ السابقة كميم ؛ لأن هاء الضمير تكسر إذا سبقتها كسرة أو ياء ، وفيما عدا ذلك تضم .

ومن هنا ذهب ابن كثير إلى وصل الميم بالواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت فيقول : ﴿ عليهمُ غيـر المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ الفاتحة/ ٧ ﴿ على قلوبهمُ وعلى سمعهُمُ وعلى أبصارهمُ غشاوة ﴾ البقرة/ ٧ .

واختلفوا عن نافع في الميم ، فقال اسماعيل بن جعفر ، وابن جمـاز ، وقالون ، والمسيِّبي : الهاء مكسورة والميم مرفوعة أو منجزمة ، أنت فيها مخير . وقال أحمد بن قالون عن أبيه : كان نافع لا يعيب رفع الميم ، فهذا يدل على أن قراءته كانت بالإسكان .

وقال ورش ، الهاء مكسورة ، والميم موقوفة[1] إلا أن تلقاها ألف أصلية ، فعند ذاك توصل الميم بواو في الوصل مثل : ﴿ سواء عليهم ءأنذرتهُمُ أم لم تنذرهمُ لا يؤمـنون﴾ البقرة/ ٦ .

وكان أبو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي يكسرون الهـاء ويسكنون الميم ، فإذا لقي الميم ، حرفٌ ساكن اختلفوا : فكان عاصم ونافع وابن كثير وابن عامر يمضون على كسر الهاء ويضمون الميم مثل قوله تعالى : ﴿ عليهمُ الذلة ﴾ البقرة/ ٦١ ﴿ ومن دونهمُ امرأتين ﴾ القصص/ ٢٣ وما أشبه ذلك .

أما أبو عمرو فكان يكسر الهاء والميم فيقول : ﴿ عليهِمِ الذلة ﴾ ﴿ إليهِمِ اثنين ﴾ يس/ ١٤ وما أشبه ذلك .

وكان حمزة والكسائي يضمان الميم والهاء معاً ، فيقـولان :

---

(١) راجع السبعة لابن مجاهد ص ١٠٩ .

﴿ عليهُمُ الذلة ﴾ ﴿ ومن دونهُمُ امرأتين ﴾ وما أشبه ذلك .

مع ملاحظة أن الخلاف في كسر الهاء أو ضمها إنما هو في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة فإذا كانت الهاء مضمومة لعدم كسر ما قبلها أو عدم وقوع ياء ساكنة ، فليس فيها إلا الضم[1] .

---

(١) راجع السبعة لابن مجاهد ص ١٠٩ .

الفصل الثالث

رسم المصحف

معناه ـ قيمته

صور من رسم المصحف

شبه وردود

رسم المصحف

الرسم في اللغة الأثر ، ومنه قول الشاعر : رسم دار وقفت في طلله[١] .

وفي الاصطلاح : تصوير الألفاظ بحروف هجائها[٢] لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية تتيح لمن يطلعون عليها أن يحصلوا ما تدل عليه من علوم وأفكار .

ورسم الحروف في لسان من الألسنة اصطلاح وعُرْف يخضع لما يمر به أهل هذا اللسان من مؤثرات بيئية ، واجتماعية وثقافية متعددة . ومن هنا يختلف الرسم ويتطور من وقت إلى آخر .

ويستثنى من ذلك « رسم المصحف » ؛ إذ من مقولات العلماء :

---

(١) هذا صدر بيت لجميل بن معمر العذري ، وصدره :

كدت أقضى الحياة من جلله

ومعنى : جلله أي من أجله ، أو من عظمه في نفسي .

(٢) شرح الشافية جـ٣ ص ٣١٢ .

خطان لا يقاس عليهما : خط المصحف العثماني ، وخط العروضيين .

ومن هنا إذا تكلمنا عن المصحف فالمقصود به : المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة[1] .

أسباب توحيد المصاحف :

قام أبو بكر رضي الله عنه بالجمع الأول للقرآن الكريم ، فكتب في عهده أول مصحف ، وكان مشتملاً على السبعة الأحرف التي أذن الله للأمة بالتلاوة بها ، ولم يخص حرفاً بعينه[2] وهذا المصحف هو الذي اعتمد عليه عثمان فيما بعد وكان بجانب هذا مصاحف لكبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس كما ذكروا مصاحف أخرى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم مثل عائشة وحفصة وأم سلمة ، ومصاحف لبعض التابعين مثل عطاء بن رباح وعكرمة ومجاهد[3] .

وكان في هذه المصاحف ما صح سنده ، وثبتت تلاوته ، ووافق العربيـة ، ولكن اختلف بعضها عن بعض مما ترتب عليه اختلاف الناشئة واختلاف القراء من أهل العراق والشام ، وسندع الصحابي الجليل أبا حذيفة يصف هذا الموقف ، ويشرح التصرف الذي قام به . حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية ، وأذربيجان فرأى الناس يختلفون في القرآن ، ويقول أحدهم للآخر : قراءتي أصح من قراءتك فأفزعه ذلك وقدم على عثمان وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود

---

(١) راجع لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني ص ٢١١ .

(٢) المقنع في القراءات لأبي عمرو الداني ص ١٢٩ .

(٣) المصاحف لأبي داود السجستاني صفحات ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٩١ .

والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلتها إليه فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال : إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، فكتب منها عدة مصاحف ، فوجه بمصحف إلى البصرة وآخر إلى الكوفة ، وثالث إلى مكة ، ورابع إلى اليمن ، وخامس إلى البحرين ، وأمسك لنفسه مصحفاً يقال له : الإمام[١] .

وبهذا العمل العظيم الذي يتسم بالدقة والإحكام والذي قام به الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه توقفت الاختلافات والمنازعات في الأمصار حول تفضيل قراءة على أخرى ؟ إذ منع عثمان القراءة بما خالفها وأصبح رسمها حجة ، وساعده على ذلك جماهير الصحابة والتابعين ، وسار على ذلك مَنْ بعدهم ، وتلقتها الأمة بالقبول وأصبح مصحف عثمان هذا هو الإمام ، والمرجع في رسمه وخطه ، وترتيبه ، وأصبحت القراءة بما يخالفه ، وإن وافق العربية وصح سنده ـ كالذي جاء في مصاحف الصحابة والتابعين ـ شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف الإمام المجمع عليه فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها[٢] .

مظاهر الدقة والإحكام في رسم المصحف الإمام :

١ ـ نسخت المصاحف العثمانية ومن بينها المصحف الإمام على أساس الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه إذ اعتمدوا

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٥١ ، ت محيش ، وراجع الصاحف للسجستاني ص ١٢ .

(٢) راجع النشر جـ ١ ص ٥٢ ، ومنجد المقرئين لابن الجزري ص ١٦ وما بعدها .

على مصحفه الذي كان موجوداً إذ ذاك عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، والذي تم على أساس العرضة الأخيرة للقرآن(١) بين جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة .

٢ ـ قام بهذا الجمع عدد من أجلاء الصحابة وقرائهم الذين تلقوا قراءتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل علم وفقه وفصاحة ، حتى إن عليا رضي الله عنه قال عن هذا العمل العظيم : لو وُلِّيتُ في المصاحف ما وُلِّي عثمان لفعلت ما فعل(٢) .

٣ ـ شرح لهم عثمان رضي الله عنه خطة العمل بما يكفل السداد والاقتصار على القراءات التي صحت سنداً ولغة ، فالنسخ يتم من مصحف أبي بكر رضي الله عنه ، والناسخون من الصحابة ، وهم أنفسهم مرجع في ذلك لحفظهم ، وفصاحتهم ، وزيد بن ثابت حجتهم فإن اختلفوا مع زيد ، فلتكن الكتابة بلسان قريش .

٤ ـ خط المصحف العثماني وعاء صالح للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، وأصبح هذا الخط ـ فيما تعارف عليه علماء المسلمين ـ غير خاضع لتطور الرسم الإملائي ، حتى أصبح له سمت مُمَيَّز ، يحافظ عليه المسلمون إلى الآن حتى إنه كتب بدون « نَقْط أو شكل » شأن الكتابة في ذلك العهد ، ثم تم نقط المصحف وشكله دفعاً لتيار اللحن الذي بدأ يتكاثر في أواخر القرن الأول من الهجرة .

أمثلة للاختلاف بين الرسم العثماني ، والرسم الذي اعتدناه في الكتابة في هذا العصر :

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

عثماني	عادي	عثماني	عادي	عثماني	عادي	عثماني	عادي
صرٰط[١]	صراط	غشٰوة[٣]	غشاوة	لا تسئلوا[٥]	لا تسألوا	ءاباءكم[٧]	آبائكم
الصلوٰة[٢]	الصلاة	ومأوٰه[٤]	ومأواه	الخبٰئث[٦]	الخبائث	بأييكم[٨]	: بأيكم
بأيد[٩]	بأيدٍ	لا أذبحنه[١٠]	لأذبحنه				

نماذج من الرسم العثماني

نظراً لأن موافقة الرسم العثماني صارت شرطاً لصحة القراءة وقبولها ، نقدم نماذج للرسم العثماني في مواضع مختلفة ، وسأشير إلى حكمة الاتجاه لهذا الرسم وصلته بعلوم القراءات .

١ ـ هاء التأنيث :

ما يكتب منها بالتاء المجرورة (المفتوحة) نوعان :

نوع اتفق على قراءته بالإفراد وهو ثلاث عشرة كلمة على النحو التالي .

١ ـ رحمت رسمت هكذا في سبعة مواضع .

﴿ يرجون رحمت الله ﴾ البقـرة ﴿ إن رحمت الله قرين من المحسنين ﴾ الأعراف ﴿ رحمتُ الله وبركاته ﴾ هود ﴿ ذكر رحمتِ ربك ﴾ مريم ﴿ فانظر إلى آثار رحمتِ الله ﴾ الروم ﴿ أهم يقسمون رحمتَ ربك ﴾ ﴿ ورحمتُ ربك خير ﴾ كلاهما بالزخرف وما عدا ذلك فبالهاء المربوطة .

---

(١) الفاتحة/ ٧ .
(٢) البقرة/ ٣ .
(٣) البقرة/ ٧ .
(٤) آل عمران/ ١٦٢ .
(٥) المائدة/ ١٠١ .
(٦) الأعراف/ ١٥٧ .
(٧) الدخان/ ٨ .
(٨) القلم/ ٦ .
(٩) الذاريات/ ٤٧ .
(١٠) النحل/ ٢١ .

٢ ـ **نعمت** رسمت هكذا في أحد عشر موضعاً .

﴿ واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل ﴾ البقرة ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم ﴾ آل عمران ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ هَمَّ ﴾ المائدة ﴿ بدلوا نعمت الله ـ وإن تعدوا نعمت الله ﴾ ابراهيم ﴿ وبنعمت الله هم يكفرون ـ يعرفون نعمت الله ـ واشكروا نعمت الله ﴾ النحل ﴿ في البحر بنعمت الله ﴾ لقمان ﴿ واذكروا نعمت الله ﴾ فاطر ، ﴿ فذكر فما أنت بنعمت ربك ﴾ الطور وما عدا ذلك فبالهاء

٣ ـ **امرأت** تكتب هكذا إذا أضيفت إلى زوجها، وذلك في سبعة مواضع :

﴿ امرأت عمران ﴾ آل عمران ﴿ امرأت العزيز ﴾ يوسف ﴿ امرأت فرعون ﴾ القصص والتحريم ﴿ امرأت نوح ـ وامرأت لوط ﴾ كلاهما بالتحريم وما عدا ذلك فبالهاء المربوطة .

٤ ـ « **سنت** » رسمت هكذا في خمسة مواضع :

﴿ فقد مضت سنت الأولين ﴾ الأنفال ﴿ إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ـ ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ فاطر ﴿ سنت الله التي قد خلت ﴾ غافر، وما عدا ذلك بالها مثل ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ الأحزاب .

٥ ـ «**لعنت**» رسمت هكذا في موضعين وما عدا ذلك بالهاء المربوطة .

﴿ فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾ آل عمران ﴿ والخامسة أن لعنت الله عليه ﴾ بالنور .

٦ ـ **معصيت** : رسمت هكذا في موضعين ولا ثالث لهما في الكتاب العزيز ، وهما ﴿ معصيت الرسول ﴾ موضعان بالمجادلة .

٧ ـ **كَلِمَتُ** : سمعت هكذا في موضع واحد .

وهو قوله تعالى : ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى﴾ الأعراف.

٨ ـ **بَقِيَّتُ** : رسمت هكذا في موضع واحد هو ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ هود ، وما عداه بالهاء مثل : ﴿ أولو بقية ﴾ هود/ ١١٦ ﴿ بقية مما ترك آل موسى ﴾ البقرة .

٩ ـ **قُرَّتُ** : رسمت هكذا في موضع واحد ﴿ قرت عين لي ولك ﴾ القصص وما عداه بالهاء ﴿ قرة أعين ﴾ بالفرقان والسجدة .

١٠ ـ **فطرت** : رسمت هكذا في موضع واحد بالروم وهو ﴿ فطرت الله ﴾ ولا ثاني له .

١١ ـ **شجرت** : رسمت هكذا في موضع واحد وهو ﴿ إن شجرت الزقوم ﴾ بالدخان وما عداه بالهاء مثل ﴿ أم شجرة الزقوم ﴾ الصافات/ ٦٢ ﴿ شجرة الخلد ﴾ طه .

١٢ ـ **جنت** : رسمت هكذا في موضع واحد ﴿ وجنت نعيم ﴾ وما عداه بالهاء مثل ﴿ جنة نعيم بالمعارج ﴾ .

١٣ ـ **ابنت** : رسمت هكذا في موضع واحد ﴿ ومريم ابنت عمران ﴾ التحريم ، ولا ثاني له .

ب ـ والنوع الآخر قرىء بالجمع وبالإفراد ، ويرسم بالتاء المجرورة (المفتوحة) وهي سبع كلمات في اثني عشر موضعاً .

١ ـ كلمت في أربعة مواضع : ﴿ وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلا ﴾ الأنعام ﴿ وكذلك حقت كلمت ربك ﴾، ﴿ إن الذي حقت عليهم كلمت ربك ﴾ يونس ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا﴾ غافر . وهناك خلاف في الآية الثانية من يونس ، وآية غافر .

---

(١) راجع في هذا الموضوع : المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني ص ٨٢ ما بعدها وملخص العقد الفريد للشيخ علي صبرة ط ١٩١٣هـ .

٢ ـ (آيات للسائلين) بيوسف .

٣ ـ غيابت الجب : في موضعين بيوسف .

(آيات من ربه) آخر العنكبوت .

٤ ـ (الغرقات) بسبأ .

٥ ـ (بيِّنت منه) فاطر .

٦ ـ ﴿ من ثمرات من أكمامها ﴾ فصلت .

٧ ـ ﴿ جمالت صفر ﴾ المرسلات .

ومما يرسم بالتاء المفتوحة غير ما سبق .

﴿ هيهات﴾ في موضعين بالمؤمنون ، و﴿ ذات بهجة﴾ النمل و﴿يا أبت﴾حيث وقعت (ولات حين مناص) ص ﴿ مرضات ﴾ بالبقرة والنساء والتحريم ، و﴿ اللات ﴾ بالنجم .

ورسم ما رسم بالتاء له علاقة بالوقف ؛ إذ يوقف عليه بالتاء ، وهي لغة لبعض قبائل العرب .

٢ ـ الحذف والإثبات :

مما تعارف عليه علماء الرسم أن كل واو للمفرد أو الجمع حذفت في الوصل لالتقاء الساكنين فإنها ثابتة رسما ، ووقفا نحو ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ ونحو ﴿ ملاقو الله ـ مرسلو الناقة ـ كاشِفو العذاب ـ جابوا الصخر بالواد ﴾ وما أشبه ذلك .

يستثنى من ذلك أربعة أفعال ، واسم واحد تحذف فيها رسماً ولفظاً ، ووصلاً ووقفاً وهي : ﴿ ويدع الإنسان ﴾ الإسراء ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ الشورى ، ﴿ يوم يدع الداع ﴾ القمر ﴿ سندع الزبانية ﴾ العلق أما الاسم فهو ﴿ وصالح المؤمنين ﴾ التحريم ، على القول بأنه جمع مذكر سالم .

وأما الياء :

فأثبتت في (الأيدي) من قوله تعالى : ﴿ أولى الأيدي والأبصار ﴾ ص ، وحذفت من ﴿ ذا الأيد إنه أواب ﴾ ص ، ويوقف على الأولى بإثباتها وعلى الثانية بحذفها ، وهذا يدل على العلاقة الوطيدة بين الرسم والقراءات .

ويوقف بالياء كذلك على نحو ﴿ معجزي الله - محلي الصيد - حاضري المسجد الحرام - آتى الرحمن - مهلكي القرية - والمقيمي الصلاة ﴾ من كل ياء ثبتت في الرسم وإن حذفت في الوصل .

وقدمنا تفصيلات في هذه الناحية عند حديثنا عن الأصول - فصل الياءات .

وأما الألف :

فإن حذفت في الوصل لالتقاء الساكنين فإنها ثابتة رسماً ووقفاً نحو ﴿ ذاقا الشجرة ﴾ ﴿كلتا الجنتين﴾ ﴿ يأيها النبي﴾ إلا ثلاثة مواضع حذفت فيها الألف رسماً ، ويوقف على الهاء فيها من غير ألف وهي ﴿ أيه المؤمنون﴾ النور ﴿ يا أيه الساحر ﴾ الزخرف ﴿ أيه الثقلان ﴾ الرحمن .

واتفق على إثبات الألف عند الوقف في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ البقرة ﴿ وليكونا من الصاغرين ﴾ يوسف ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ العلق ، وفي إذاً المنونه حيث وقعت وألف ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ الكهف .

وتثبت الألف وقفا وتحذف وصلا كذلك في (أنا) الضمير وفي (الظنونا - الرسولا - السبيلا) في الأحزاب و (قواريرا) الأولى في سورة الإنسان ، أما الثانية فتحذف ألفها وصلا ووقفا .

ومما حذف وصلا ووقفا كذلك وإن ثبت رسماً ألف ثمود في أربعة مواضع ﴿ ألا إن ثمودا كفروا ربهم ﴾ هود ﴿ وثمودا وأصحاب الرس ﴾ الفرقان ﴿ وثمودا وقد تبين لكم﴾ العنكبوت ، ﴿ وثمودا فما أبقى ﴾ النجم[1] .

ما ذكرناه هنا في بيان الثابت والمحذوف طبقاً لما ذهب إليه حفص .

القطع والوصل

في الرسم العثماني حروف توصل بما يليها وأخرى تقطع عما بعدها ، وقد نجد كلمة بعينها أو حرفاً من حروف المعاني يوصل بما بعده أحياناً ، وفي أحيان أخرى يفصل عما بعده ، طبقاً لما سار عليه رسم المصحف ، وهو واجب الاتباع بحكم إجماع الصحابة على مصحف عثمان رضي الله عنه .

وهذا الرسم تترتب عليه نتيجة في القراءات هي أن الكلمة المقطوعة يجوز الوقف عليها دون الموصولة .

وهذه بعض صور المقطوع والموصول في رسم المصحف .

١ ـ أَنْ (بفتح الهمزة وسكون النون) أيا كان معناها النحوي .

تقطع عن « لا » النافية في عشرة مواضع : ﴿ حقيق على أن لا أقول ـ أن لا يقولوا على الله إلا الحق ﴾ الأعراف ﴿ أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ التوبة ﴿ وأن لا إله إلا هو ـ وأن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف ﴾ هود ﴿ أن لا تشرك بي شيئاً ﴾ الحج ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ يس ﴿ وأن لا

(١) راجع البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

تعلوا على الله ﴾ الدخان ﴿ أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾ الممتحنة ﴿ أن لا يدخلنها اليوم عليكم ﴾ القلم.

واختلف في موضع واحد في الأنبياء ﴿ أن لا إلـه إلا أنت سبحانك ﴾ وصل في بعض المصاحف ، وقطع في بعضها ، وعليه العمل وما عدا هذه المواضع توصل أَنْ بما بعدها مثل : ﴿ ألا تزروازرة وزر أخرى ﴾ النجم .

٢ ـ إنْ بكسر الهمزة وسكون النون .

تقطع عن ما في موضع واحد بسورة الرعد ﴿ وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ وتوصل فيما سواه مثل ﴿ وإما نرينك ﴾ يونس ﴿ وإما تخافن ﴾ الأنفال

وأَنْ المفتوحة الهمزة موصولة بما مثل ﴿ أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ﴾ الأنعام .

٣ ـ عن : تقطع عن « ما » الموصولة في موضع واحد بالأعراف (عن ما نهوا عنه) وما عداه فموصول نحو (عما يشركون) .

٤ ـ مِنْ تقطع عن « ما » في موضعين ﴿ فمن ما ملكت أيمانكم ﴾ النساء . ﴿ هل لكم من ما ملكت ﴾ الروم . ووقع الخلاف في موضع بالمنافقون ﴿ وأنفقوا من ما رزقناكم ﴾ والعمل فيه على القطع ، ويوصل ما عدا ذلك .

٥ ـ تقطع أَمْ عن مَنْ في أربعة مواضع ، ويوصل ما عداها . ﴿ أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ النساء ﴿ أم من أسس ﴾ التوبة ﴿ أم من يأتي آمنا ﴾ فصلت ﴿ أم من خلقنا ﴾ الصافات .

٦ ـ وتقطع « أَنْ » بفتح الهمزة وسكون النون عن « لم » في موضعين .

﴿ ذلك أن لم يكن ربك ﴾ الأنعام ﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾ البلد .

٧ ـ إنْ (بكسر فسكون) موصولة بلم في موضع واحد ﴿ فإلم يستجيبوا لكم ﴾ هود وما عداه فمقطوع .

٨ ـ إنَّ (بكسر الهمزة وتشديد النون) حرف توكيد ونصب تقطع عن « ما » الموصولة في موضع واحد بلا خلاف وهو : ﴿ إن ما توعدون لآت ﴾ الأنعام وفي موضع بخلاف وهو ﴿ إنما عند الله هو خير لكم ﴾ النحل .

وما عدا ذلك فتوصل بما[1] ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ طه ﴿ إنما توعدون لواقع ﴾ الذاريات .

٩ ـ « أَنَّ » المفتوحة الهمزة المشدة النون ، أختَ إنَّ تقطع عن ما في موضعين بلا خلاف هما ﴿ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ الحج ﴿ أن ما يدعون من دونه الباطل ﴾ لقمان ووقع الخلاف في قوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم ﴾ الأنفال ، والعمل فيه على الوصل ، وما عدا ذلك موصول ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ التغابن/ ١٣ .

١٠ ـ « حيث » تقطع عن « ما » في موضعين بسورة البقرة : ﴿ وحيثما كنتم ﴾ في موضعيها.

١١ ـ وتقطع « كل » عن « ما » في موضع بلا خلاف وهو : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ ابراهيم .

ووقع الخلاف في أربعة مواضع ، والعمل فيها على الوصل ، وهي : ﴿ كلما ردوا ﴾ النساء ﴿ كلما دخلت أمه ﴾ المؤمنون ﴿ كلما

---

(١) « ما » هنا تحتمل أن تكون مصدرية « موصول حرفي » وأن تكون موصولاً اسمياً .

ألقى فيها فوج ﴾ الملك ، وما عدا ذلك فموصول باتفاق .

١٢ ـ وتقطع « بئس »عن ما في جميع المواضع إلا موضعين توصل فيهما (بئسما اشتروا به أنفسهم ﴾ البقرة ﴿ بئسما خلفتموني ﴾ الأعراف ، ووقع الخلاف في موضع واحد ، والوصل فيه أولى ﴿ قل بئسما يأمركم ، إيمانكم ﴾ البقرة .

١٣ ـ وتقطع « في » عن « ما » في موضع واحد بلا خلاف ، وهو : ﴿ أتتركون في ما ههنا آمنين ﴾ الشعراء .

ووقع الخلاف في عشرة مواضع ، والعمل فيها على القطع : ﴿ في ما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ البقرة ﴿ في ما آتاكم ﴾ المائدة والأنعام ﴿ في ما أوحى إلى ﴾ ﴿في ما اشتهت ﴾ الأنبياء ﴿ في ما أفضتم ﴾ النور ، النور ﴿ في ما رزقناكم ﴾ الروم ﴿ في ما هم فيه يختلفون ـ في ما كانوا فيه يختلفون ﴾ الزمر ﴿ في ما لا تعلمون ﴾ الواقعة ، وما عدا ذلك فموصول باتفاق .

١٤ ـ وتقطع « أين » عن ما في جميع مواضع القرآن ما عدا موصعين توصل فيهما اتفاقا : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ البقرة ، ﴿ أينما يوجهه لا يأت بخير ﴾ النحل ، ووقع الخلاف في ثلاثة مواضع والأكثر القطع ﴿ أين ما تكونوا يدرككم ﴾ النساء ﴿ أين ما كنتم تعبدون ﴾ الشعراء ﴿ أين ما ثقفوا أخذوا ﴾ الأحزاب .

١٥ ـ تقطع « أَنْ » عن « لن » في جميع المواضع ما عدا موضعين توصل فيهما وهما : ﴿ ألن نجعل لكم موعدا ﴾ الكهف ﴿ ألن نجمع عظامه ﴾ القيامة .

١٦ ـ وتقطع كي عن « لا » في جميع مواضع القرآن ما عدا أربعة مواضع توصل فيها ﴿ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ﴾ آل عمران ﴿ لكيلا

يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ الحج ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ ثاني الأحزاب ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ الحديد .

١٧ ـ وتقطع « عن » عن « مَنْ » في موضعين ليس غير ، وهما : ﴿ ويصرفه عن من يشاء ﴾ النور ﴿ عن من تولى عن ذكرنا ﴾ النجم .

١٨ ـ وتقطع « يوم » عن « هم » في موضعين وهما : ﴿ يوم هم بارزون ﴾ غافر ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ الذاريات وما عداهما موصول .

١٩ ـ وتقطع لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع : ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ الكهف ﴿ مال هذا الرسول ﴾ الفرقان ﴿ فمال هو لهؤلاء القوم ﴾ النساء ﴿ فمال الذين كفروا ﴾ المعارج وما عدا ذلك موصول .

هذه فقرات من الموصول والمقطوع : وفائدة معرفة هذا الباب ، جواز الوقف على إحدى الكلمتين المقطوعتين باتفاق ، ووجوبه على الأخيرة من الموصولتين باتفاق ، أما ما اختلف في وصله وقطعه فيجوز الوقف على كلتا الكلمتين نظراً لقطعهما ، وعلى الأخير نظراً لوصلهما[١] .

ومن تتجلى لنا قضية هامة هي العلاقة الوثيقة بين الرسم العثماني ، وروايات القراءات ، على أساس أن الرسم موضح لها ، دال عليها ، وليست القراءات ناشئة عنه كما زعم المستشرقون ورددنا عليه في غير هذا المكان من هذا الكتاب .

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني ، وراجع البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

الرسم العثماني ومواقف المتشككين

تشكك المستشرقون في القراءات ، وصحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقوا بسحائب شكوكهم حول قضية رسم المصحف ، وهذا التشكك قد يكون ناشئاً عن غياب التصور الصحيح للقراءات ، ومنهج تناقلها ، وأن رواياتها تواترت قبل كتابة المصحف الإمام إذا فرضنا حسن الظن فيهم ، وقد يكون أمراً متعمداً ، وتعمد التضليل وارد في كتابات المستشرقين .

ولنناقش القضية على ضوء ما قالوه .

قال جولد تسيهر : « فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عَقَدِياً على أنه نص منزل ، مُوحًى به ، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب ، وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن »[1] .

وبعد هذا يأتي ويعلل قضية الاضطراب التي رآها فيقول : (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة ، تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفةً من ناحية موقعها من الإعراب ، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن »[2] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ـ ترجمة عبد الحليم البخاري ص ٤ جـ ١ دار الكتب الحديثة .

(٢) المرجع السابق .

ثم يعود بعد صفحات ليردد هذا التفسير قائلاً : وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعاً لاختلاف النقط الموضوعة فوق هذا الهيْكل ، أو تحته وعدد تلك النقط بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده ، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا الى اختلاف دلالتها ، وإذا فاختلاف الحركات في المحصول الموحَّد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه »[٣] .

ويمكن أن نحدد طعون جولدتسيهر من خلال كلماته في هذه النقاط المحددة .

١ ـ وصف النص القرآني بأنه لا نظير له في الاضطراب .

٢ ـ أرجع هذا الاضطراب الى خلو المصحف من النقط .

٣ ـ فقدان الشكل في الخط العربي ، وعدم وجود الحركات النحوية وعلامات الإعراب .

والمتأمل فيما كتبه هذا المستشرق يدرك من أول وهلة أنه يدلي بتفسيرات على أساس الحدس ، والتخمين ومجرد التصور الخيالي لا على أساس المنهج العلمي الذي يتشدق به المستشرقون .

فهو مرتاب في أمور هي من قبيل الواقع المحقق ؛ إذ يقول : « في نص لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تتحر الدقة في نقطه وتحريكه » مع أن من الأمور المشهورة التي لا تقبل الجدل أن المصحف الامام وإخوته

---

(١) المرجع السابق ص ٩٢٨ .

كتبت في عهد عثمان ، وكتبت بدون نقط أو شكل ، وهو المتبع في الكتابة العربية في هذا الطور ، ولم يتم النقط أو الشكل إلا في النصف الأخير من القرن الأول للهجرة .

ولو كان تسيهر درس الأمر دراسة واعية ما وقف هذا الموقف المتردد ؟ إذ لم يقل أحد من الباحثين القدماء منهم أو المحدثين إن المصحف الإمام كتب بشكل وبنقط لم يتحر الدقة فيهما ، فلم يكن النقط والشكل حينذاك قد عرفا بعد .

أما وصفه النص القرآني بأنه لا نظير له في الاضطراب فقد خالفه الصواب تماماً ، وكشف بمقالته عن جهل واضح أو تعصب فاضح . . فما مظاهر الاضطراب التي رآها ؟ أهي القراءات القرآنية ؟ إنه لو ألقى عليها نظرة واعية لعلم حقيقة هذه الاختلافات بين القراءات وأنها اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف اضطراب وتناقض ، وأن محصلة هذه القراءات واحدة ، بل إن لها ثماراً تشريعية ولغوية وبلاغية تبرز جوانب العظمة في الآية القرآنية التي أفحمت أساطين الفصاحة والبيان .

وإذا كان هذا الاضطراب قد وقع في هذا العهد الباكر ، والقرآن الكريم غضا ، ولم يمض على نهاية نزوله أكثر من عشرين عاماً فما بالنا في العالم الإسلامي لا نجد هذا الاضطراب ولا نحسه ، بل إن النظرة العلمية للقراءات عند علماء الألسنة المتجردين من الهوى لا تتعدى كونها صوراً متنوعة ومتناسقة للسان يملك إمكانات قوية ومتعددة في التعبير ؟!!

إنه كان من المتوقع لو كان هناك اضطراب كما تصوره « جولد تسيهر» في هذا العصر لكان ينبغي أن يكون الاضطراب الآن بعيد المدى ، عميق الأثر بصورة تضيع معها معالم النص الصحيح .

لكن هذا لم يحدث من قريب أو من بعيد .

وهنا أريد أن أسأل : إذا كان القرآن الكريم قد حظى بهذا الاضطراب وحده ، فماذا تقول في نص التوراة أو الإنجيل ؟ وهما لم يدونا إلا بعد عصر الرسولين الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام بقرون ؟!! وهل تستطيع بمنهج العلم الذي تحتكم إليه أن تقطع بصحة النصين ، وأنهما المنزلان من السماء دون تحريف أو تبديل ؟!

وأخيراً أضيف إلى ما سبق .

هناك قراءات يحتملها الرسم ، صحيحة في اللغة ، ولكن لم يقرأ بها ؛ إذ لم يكن لها سند صحيح يعتد به .

من ذلك ما جاء في تفسير البحر المحيط : قال ابن عطية : « أجمع القراء على ضم الميم من « مُكث » في قوله تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ﴾[1] . واللغة تجيز في الميم من « مكث » الضم والفتح والكسر[2] لكن القراء لم يقرءوا إلا بضم الميم[3] .

وكذلك يجوز في اللغة خطِفَ يخطَف ، وخَطَف يخطِف ، ولكن القراء لم يمرءوا إلا يخطَف) وخطِف من باب علم . قال أبو علي الفارسي : (ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى)[4] .

وفي هذا دليل آخر على أن احتمالات الرسم ليست هي سبب اختلاف القراءات .

وقد اعتد أعلام النحو بالنقل والرواية وصحة السند ، ولو كان توجيهها النحوي غير قوي .

---

(١) سورة الإسراء/ ١٠٦ .

(٢) البحر المحيط جـ ٦ ص ٨٨ .

(٣) الأتحاف ص ٢٨٧ .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي جـ ١ ص ٣٦٥ .

روى الكسائي لغة كسر الراء في « الرضاعة » ولكنها لم ترد عنه قراءة[1] .

جاء الأصمعي يوماً إلى مجلس المازني ، فقال له : ما تقول في قول الله عز وجل ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ؟ قال المازني : سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر ، وأنه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى ، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب ، فنحن نقرؤها لذلك إتباعاً ، لأن القراءة سنة »[2] .

بقيت ظاهرة لا بد من الإشارة إليها لأنها تؤكد أن القراءة سنة متبعة ، وأساسها التلقي والرواية وهي ظاهرة الاختيار عند القراء .

وتتمثل في إيثار القارىء قراءة على أخرى مع صحتهما جميعاً ، ويكون أساس الاختيار غالباً صحة السند .

شعبة[3] كان يقول : انظروا ما يقرأ أبو عمرو بن العلاء (١٥٤) مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسناداً »[4]

وكان الكسائي يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة بعضها وترك بعضاً »[5] .

وأبو علي الفارسي يرى حمزة يميل : الأشرار ـ والقرار ـ وذات قرار ـ والقهار ـ والبوار ، دون ما عداها من الكلم مما كان على صورتها ويستحق الإمالة فيقول : « فالقياس في ذلك وغيرها واحد ، ولعله اتبع في ذلك أثراً ترك القياس إليه ، أو أحب أن يأخذ بالوجهين ، وكره أن

---

(١) معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ١٤٩ .
(٢) أخبار الزجاجي ـ مخطوط ورقة ٣٦ .
(٣) شعبة من الرواة عن عاصم ، ويكنى بأبي بكر بن عياش .
(٤) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٢ .
(٥) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٨ .

يرفض أحدهما ويستعمل الآخر ، مع أن كل واحد مثل الآخر في الحسن والكثرة »[1].

قضية النقط والشكل ، والحركات الإعرابية . .

أهي السبب فيما وقع من اختلاف القراءات .

لقد ساق جولدتسيهر عدداً من الأمثلة التي كشفت عن سوء فهمه أو سوء طويته .

فذكر عدداً من القراءات سبب الاختلاف فيها عدم النقط مثل قوله تعالى : ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴾[2] بالباء الموحدة وفي قراءة ﴿ تستكثرون ﴾ بالثاء المثلثة[3] وفي السورة نفسها[4] : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمة ﴾ بالباء وفي قراءة ﴿ نشرا ﴾[5] بالنون ، ثم يعرض صوراً أخرى ويقول : « وفي آية ٩٤ من سورة النساء تظهر على الأخص هذه الظاهرة في كل الحروف تقريباً ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ وفي قراءة ﴿ فتثبتوا ﴾ ورسم هذه الكلمة محتمل للقراءتين ﴿ وسوا ﴾ .

ثم يسوق الأمثلة للقراءات الناشئة عن فقدان الشكل في الخط العربي وعدم وجود الحركات النحوية فيذكر هذه الآية من سورة الحجر ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق ، وما كانوا إذا منظرين ﴾[6] ففيها هذه

---

(١) الحجة ١ ص ٣٧٦ .

(٢) سورة الأعراف/ ٤٨ .

(٣) لم ترد في القراءات الأربع عشرة ـ راجع الاتحاف ص ٢٢٥

(٤) الآيــة ٧٥ .

(٥) بالباء قراءة عاصم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون ـ النشر جـ ٢ ص ٢٦٩ .

(٦) سورة الحجر / ٨ .

القراءات ﴿ تُنَزِّل ـ تُنَزل ـ نُنْزِل ـ تَنَزَّل ﴾[1] وكذلك ما جاء في سورة الرعد ـ الآية الأخيرة منها ـ ﴿ ومَنْ عِندَه عِلْمُ الكتاب ﴾[2] وفي قراءة أخرى[3] ﴿ ومِنْ عندِهِ عِلْمُ الكتاب ﴾ وهناك قراءة ثالثة[4] ﴿ ومِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكتابُ ﴾[5] .

وقد ردد هذا الرأي الدكتور آثر جفري في مقدمة كتاب المصاحف للسجستاني الذي قام بتحقيقه .

كما تورط في هذا الفهم الخاطىء بعض الباحثين المعاصرين الذين لم يمعنوا النظر جيداً في هذه القضية .

وبادىء ذي بدء أقول قد يكون وراء هذا الفهم المنحرف عند الباحثين من العرب أو من المستشرقين نص غير دقيق جاء في كتاب النشر لابن الجزري وفيه يقول : وجردت هذه المصاحف جميعها ـ يعني المصاحف التي كتبت في عصر عثمان ـ من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله ، وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط »[6] .

فتعبير « وجردت » قد يفهم منه أن النقط موجود ، وتعمد الكاتبون تركه . وفي تقديري أن الكلمة لحقها تحريف ؛ لأن بقية النص فيه ما يصحح السياق ، ويكشف عن المراد ؛ إذ يقول ابن الجزري : إذ كان

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ص ٢٧٤ .

(٢) هذه قراءة الجمهور ـ الاتحاف ص ٢٧٠ .

(٣) قراءة الحسن ـ لاتحاف ص ٢٧٠ .

(٤) قال البنا الدمياطي : هذه القراءة ليست واردة في طرق كتابه اتحاف فضلاء البشر ـ انظر ص ٢٧٠ .

(٥) راجع مذاهب التفسير ص ٥ ـ ٧ وراجع كتاب رسم المصحف العثماني د . عبد الفتاح شلبي ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٦) النشر جـ ١ ص ٥١ ، ٥٢ .

الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط .

وعلى أية حال فهذا التفسير ناشىء عن تصور غير سديد لنشأة القراءات القرآنية ، وفهم غـامض لأصلها ، وكأن جولد تسيهر ومن حذا حذوه يتوهمون أن القراءات ظهرت بعد كتابة المصحف الإمام ، وكانت أثراً للطريقة التي اتبعت في كتابته .

وهذا وهم عجيب ؛ لأن المعلوم لكل من له أدنى دراية بعلوم القرآن أن القراءات ثبتت بأسانيد متواترة مرفوعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أي قراءة تفقد السند الصحيح ، أو تواتره لا يؤخذ بها .

كما كانت القراءات في روايتها ، وتداولها تعتمد على المشافهة والتلقي ، وهذا منهج أدخل في التدقيق والتحقيق والتحري والضبط ، وكان تدوين المصحف مجرد مرجع يفزع اليه القوم لحسم ما ينشأ من خلاف .

والدليل على سداد هذا المنهج أن الرواة أنفسهم كانوا يعرفون قيمته .

يقول الحسن بن هانىء في مدح خلف الأحمر .

لا يَهِمُ الحاءَ في القراءةِ بالخا ء ، ولا يأخذ إسناده من الصحف

كما قيل في رثائه :

أودى جماع العلم مذ أودى خلف راوية لا يجتنى من الصحف[1]

فقبل تدوين المصحف في عصر عثمان ، وأثناء التدوين وبعده كان القرآن في صدور الجمهرة من الصحابة والتابعين على أتم صورة وأدقها ،

---

(١) التصحيف والتحريف ص ١٣ .

وأنقاها ، وتناقلته عنهم الجماهير المسلمة من شتى الأمصار الإسلامية .

والاختلافات التي ظهرت في عهد عثمان رضي الله عنه كانت أحداثاً فردية حسمت بكتابة المصحف الإمام ليكون ضابطاً للقراءات الصحيحة مانعاً لغيرها .

والأسلوب الذي اتبع في كتابته كان يسمح باستيعاب الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم تيسيراً على العباد ، كما فصلنا ذلك في موضع آخر .

وأمر آخر :

لو كانت القراءات مرجعها إلى الرسم لكان ينبغي أن تكون كل قراءة موافقة لرسم المصحف صحيحة مقبولة ، ولكن الأمر على غير ذلك ؛ إذ هناك قراءات موافقة للرسم ومردودة مثل قراءة حماد الرواية ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ قرأها « أباه »[1] وقراءة ﴿ وما كنتم تستكثرون ﴾[2] في سورة الأعراف ، وسبق أن أشرنا إليها وكلتا القراءتين مما استشهد به جولد تسيهر .

لكن الرسم تابع للرواية والنقل ، وأن القراءة منقولة من أفواه الرجال الحفظة[3] وهذه قضية فات المستشرقون وأذنابهم أن يفقهوها .

ومن المعلوم في تاريخ القراءات والقراء أنهم كانوا يردون قراءة ابن مقسم ، وابن شنبود أما أولهما فكان يقول : إن كل قراءة وافقت

---

(١) التوبة/ ١١٤ راجع الأتحاف ص ٢٤٥ .

(٢) سبق أن قلنا لم ترد هذه القراءة في السبع ولا العشر ، ولا الأربع عشرة الاتحاد ص ٢٢٥ .

(٣) التصحيف للعسكري ص ٩ .

المصحف ووجهها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند »[1] وأما الآخر فكان يغير حروفاً من القرآن ، ويقرأ بخلاف ما أنزل[2] كان يعتمد على السند وإن خالف المصحف ، واتفقا على موافقة العربية[3] .

وهذا دليل على مدى الدقة والإحكام في منهج القراء في إثبات القراءات ، فالسند والتلقي مع الموافقة لرسم المصحف .

إن منهج جولد تسيهر يفتح أبواباً من الفوضى ، ويدفع إلى تحريف النص القرآني ، أو مسخ فصاحته وقد وقعت بعض قراءات ردت على أصحابها من أول الأمر ووئدت في مهدها ، وأصبحت مجرد ذكرى لهذا الضلال في بطون الكتب والمراجع ، وإن لجأت اليها بعض الفرق المنحرفة لتدعم انحرافها .

من ذلك قراءة الرافضة : (وما كنت متخذ المضِلَّين عضدا) بفتح اللام ، يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[4] .

ولعل وراء هذا الوهم في تفسير المستشرقين لاختلاف القراءات شيء آخر .

هو أنهم قاسوا القرآن الكريم على ما وقع فيه التصحيف والتحريف من كلام العرب شعرا ونثراً ، فعدوا القراءات من هذا القبيل . وإذا صح هذا فقد وقعوا في ضلال بعيد لأن ما وقع من تصحيف وتحريف في كلام العرب تصدى له أعلام العلماء وصوبوه ، وردوا آثار التصحيف والتحريف ، وألفت عشرات الكتب في هذا الصدد منها« التصحيف

---

(١) طبقات القراء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٢) وفيات لأعيان جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(٣) طبقات القراء جـ ٢ ص ٥٤ .

(٤) منجد المقرئين ص ٢٣ .

والتحريف لأبي أحمد العسكري » فهل يتصور أن يحدث هذا في القرآن ويسكت عنه هؤلاء الغُيُر من العلماء ؟ .

وهنا ملاحظة جديرة بالاعتبار هي أن المصاحف التي نسخت في عهد عثمان على يد هذه المجموعة الطيبة من الصحابة القراء عندما وزعت على الأمصار الإسلامية كان يرسل مع كل مصحف عالماً من علماء القراءة يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف ، وعلى مقتضاه ، فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب الى مكة ، والمغيرة بن شهاب الى الشام ، وعامر بن عبد قيس الى البصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمي الى الكوفة . ولا شك أن الحكمة من إرسال القارىء مع المصحف تقييد ما يحتمله الرسم من القراءات بالمنقول منها تواتراً ، فلو كانت القراءات مأخوذة من رسم المصحف ، وأن أي قراءة توافق الرسم مقبولة ما كان هناك ما يدعو لإرسال عالم مع المصحف ، فهذا دليل على أن القراءة تعتمد على التلقي والنقل والرواية ، لا على الخط والرسم والكتابة[1] .

كتابة المصحف بين الرسم العثماني ، والرسم الاملائي

ارتفعت بعض الأصوات في الآونة الأخيرة ، وفي النصف الثاني من القرن الهجري[2] الماضي تطالب بتيسير رسم المصحف ، وكتابته حسب قواعد الاملاء التي تعارف عليها أبناء اللسان العربي ، وانتهوا إليها في صورتها المعاصرة وذلك بهدف تيسير القراءة على الناشئة والعامة من

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ـ الشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٤٨ ، ٤٩ وراجع تفسير القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦٠ .

(٢) ورد سؤال بهذا الشأن لمجلة الفتوى بالأزهر ـ مجلة الرسالة عدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ ، ومجلة المقتطف يوليو سنة ١٩٣٣ .

المسلمين الذين لا يعرفون أصول الرسم العثماني ، وتصدى لهؤلاء من يعارضونهم ويقولون بضرورة الحفاظ على الرسم العثماني .

والذي أريد أن أقرره بين يدي هذه القضية أن المطالبة بتيسير رسم المصحف قضية عرفت من عدة قرون ، وليست وليدة القرن الماضي . ففي هذه المسألة رأيان ، ولكل صاحب رأي وجهة هو موليها وله أدلته التي يستند إليها .

وسنعرض بإيجاز لكلا الرأيين ، والحجج التي تساند كلا منهما ، ونحاول أن ننتهي إلى التصور الذي نرجو أن يكون سديداً فيحقق الغاية دون تضييع أو تفريط .

القائلون بضرورة كتابة المصحف بالرسم العثماني .

يرى هؤلاء أن هذا الرسم توقيفي ، كتب به كتبة الوحي ، وكتب المصحف الأول في عهد أبي بكر ، وسار الصحابة على هذا النمط من الهجاء دون محاولة تغييره ، وسار الأمر على ذلك في عهد عثمان رضي الله عنه .

وهذه حجة أولى ولهم حجة ثانية .

هي رأي الإمام مالك ، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما .

أما رأي الامام مالك فقد روى السخاوي أن مالك بن أنس سئل : أرأيت من استكتب مصحفاً ، أرأيت أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى [1] .

ثم يعلق السخاوي على هذا بقوله : والذي ذهب إليه مالك هو

---

(١) البرهان للزركشي (١/ ٣٧٩) والاتقان للسيوطي (٢/ ٢٨٣) والمحكم للداني ص ١٥ .

الحق ؛ إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأحرى ؛ إذ في خلال ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى » .

وقال الإمام أبو عمرو الداني : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والياء والألف : أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شيء من ذلك ؟ قال : لا .

ثم يعلق الداني على هذا فيقول : يعني الواو والياء والألف الزائدات في الرسم ، المعلومات في اللفظ نحو : (لا أذبحنه) و (بأييد) و (أولوا) ونحوها ثم يقول .. لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة »[1] .

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف ، أو ياء، أو غير ذلك »[2] .

والحجة الثالثة تنحو منحى صوفياً ؛ إذ يرى أصحابها أن هذا الرسم توقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أمر بالكتابة على هذه الهيئة المعروفة ، وذلك لأسرار لا يعلمها إلا الله ، ولا تهتدي إليها عقول البشر ، كما أنها في تصورهم تمثل جانباً من جوانب الإعجاز القرآني ، ثم يتساءلون : لماذا زيدت الألف في « مائه » دون « فئة » والياء في (بأييد) و(بأييكم) ؟ وما السر في زيادة الألف في (سعوا) في سورة الحج دون ﴿ سعو ﴾ في سبأ وزيادتها في ﴿ عتوا ﴾ في جميع مواضعها دون ﴿ عتو ﴾ في الفرقان ، وزيادتها في ﴿ يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ﴾ البقرة ، ونقصانها من ﴿ يعفو عنهم ﴾ في النساء ؟ولماذا ثبتت

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٨٢) .

(٢) الاتقان (٢/ ٢٨٣) ، والمحكم ص ١٥ .

في ﴿ سراجاً ﴾ في كل مواضعها ، وحذفت من موضعها في الفرقان ثم يقولون : « فكل ذلك لأسرار إلهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس ؟ لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور فإنها لها أسرار عظيمة ، ومعاني كثيرة »[1] .

٤ ـ خط الاملاء السائد متطور ، لا يستقر على صورة واحدة ، وإمكانات تطوره وتغييره قائمة ، ويخشى لو كتب المصحف به أن يكون وسيلة لتحريف أو تغيير ، وضمان الحفاظ على النص القرآني رهن بالاستمساك بقواعد الخط العثماني .

والحجة الخامسة : يرتبط بالرسم العثماني مزايا عظيمة .

أ ـ منها الإشارة إلى ما في الكلمة من قراءات قرآنية لا تتأتى في حالة الرسم الاملائي من ذلك كلمة (سراجا) .

وردت في سورة الفرقان ﴿ وجعل فيها سُرُجا وقمراً منيراً ﴾[2] وفي سورة الأحزاب ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾[3] وفي سورة النبأ ﴿ وجعلنا سراجاً وهاجا ﴾[4] .

كتبت بدون ألف في « الفرقان » وبالألف في « الأحزاب » و « النبأ » وذلك لأنها في الفرقان فيها قراءتان أولاهما بكسر السين وفتح الراء بعدها ألف أعني بصيغة الإفراد ، والأخرى بضم السين والراء أي

---

(١) مناهل العرفان جـ ١ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ وهذا نقل ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ .
(٢) الفرقان/ ٦١ .
(٣) الأحزاب/ ٤٦ .
(٤) النبأ/ ١٣ .

بصيغة الجمع ، فإذا كتبت بالرسم الإملائي لن يفهم منه : إلا قراءة واحدة .

ب ـ الإشارة إلى بعض لغات العرب .

فنرى في المصحف العثماني كتابة تاء التأنيث المربوطة مفتوحة في بعض المواضع إيذاناً بجواز الوقف عليها بالتاء على لغة طيء نحو قوله تعالى : ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾[٢] وقوله سبحانه ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط ﴾[٣] وقوله : ﴿وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين ﴾[٤] وقوله : ﴿ إن شجرت الزقوم ﴾[٥] .

ومما نلاحظه أن هذا الاتجاه المحافظ بالغ في التحفظ حتى إنهم كرهوا ما حدث من نقط المصاحف ورووا عن الإمام مالك قوله : « جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء » وقوله : « ولا تخلطوا به ما ليس منه إني أخاف أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا »[٦] .

كما كرهوا ذكر أسماء السور ، ورسم فواتح السور وعدد الآيات . قال أبو بكر السراج قلت لأبي رزين : أأكتب في مصحفي سورة كذا وكذا ؟ قال : إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه، فيظنوا أنه من القرآن »[٧] .

---

(١) الأعراف/ ٥٦ .
(٢) ابراهيم/ ٣٤ .
(٣) التحريم/ ١٠ .
(٤) الأنفال/ ٣٨ .
(٥) الدخان/ ٤٣ .
(٦) المحكم ص ١٠ ـ ١١ .
(٧) المرجع السابق ص ١٧ .

فكل زيادات في الرسم ، حتى ولو كان الهدف منها التنسيق والتنظيم ، والبيان كرهوها .

واستمر هذا التيار المحافظ حتى عصرنا الحاضر .

وأسهمت فيه لجنة الفتوى بالأزهر ، وعندما سئلوا عن كتابة المصحف بخط الإملاء المعتاد أفتوا بعدم جواز ذلك التزاماً بما كان عليه الصحابة والتابعون[١] .

ورأى حفنى ناصف وجوب المحافظة على الرسم العثماني لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة ، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، فلا يفتح فيه باب الاستحسان »[٢] .

رأى المطالبين بالرسم الإملائي .

في مقدمة هذا الرأي يؤكدون أن الهدف تيسير القرآن للناشئة حتى يقرؤه صحيحاً دون أن تعترضهم صعوبات الرسم ، وقد بنوا حجتهم على عدة أسس .

منها أن الرسم العثماني ليس توقيفياً ، وإنما كتب المصحف بالخط المتعارف عليه حينذاك ، وعندما كان كتبة الوحي يكتبون ما ينزل من آيات ما أوصاهم الرسول عليه الصلاة والسلام بكتابة معينة ، أو رسم معين أو زيادة أو نقص ، ولو فعل لآمنا به ولحرصنا عليه ، ولكان هذا الرسم توقيفياً كما قالوا .

بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من هذا وقالوا : إن ما حدث إنما هو خطأ من الكتاب .

قال ابن خلدون : « لقد كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ

---

(١) مجلة الرسالة ـ العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ .

(٢) مجلة المقتطف يوليو (تموز) ١٩٣٣ .

الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها »[1] .

وحقائق التاريخ تشير إلى أن الرسم العثماني لم يقف على الصورة التي كان عليها ، بل لحقت به بعض تطورات وتغييرات تهدف الى الحفاظ على القرآن من تيارات اللحن ، وتيسير قراءته بعدما فشت العجمة ، ولا ريب أنها قوبلت في أول الأمر بشيء من التحرج ، لكن التطور المفيد قد تم إيماناً من القائمين بها بأن فيها بياناً وتوضيحاً[2] .

من ذلك أن المصاحف في أول الأمر كانت خالية من الشكل .

ثم ظهرت الحاجة ماسة لذلك ، فوجدنا العلماء يترخصون ويقولون : العجم نور الكتاب ، وأنه لا بأس به ما لم تبغوا[3] .

على أن هذا العمل جاء في وقت مبكر ؛ إذ رأينا أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) قام بشكل المصحف لدفع التحريف ، وكان الشكل عبارة عن نقط تبين الحركات والتنوين ، وتم ذلك في خلافة معاوية[4] .

كما قام نصر بن عاصم (٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) بإعجام المصحف بالنقط دفعاً للتصحيف بأمر الحجاج في خلافة عبد

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩ ط مصطفى محمد ، وراجع مجلة البحوث الإسلامية العدد السادس ـ الرياض ١٤٠٣هـ وفيها رأي للسيد رشيد رضا يؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون .

(٢) رسم المصحف ، د. عبد الفتاح شلبي ص ١٢٣ .

(٣) المحكم ص ١٢ .

(٤) وفيات الأعيان ترجمة أبي الأسود الدؤلي .

الملك بن مروان .

وأسهم الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) في هذا المجال ، وذلك بالهمز والتشديد والروم والإشمام[1] .

قال خلف بن هشام البزار : كنت أحضر بين يدي الكسائي ، وهو يقرأ على الناس ، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم »[2] .

وسار الناس بدافع الغيرة على نهج هؤلاء الأعلام ، وأضافوا إلى رسم المصحف علامات دالة على الأرباع والأحزاب ، والأجزاء ، وسجدات التلاوة ، ووقفات السكت ، وعلامات الوقف ، وأصبحت المصاحف في عصرنا تذيل باصطلاحات الضبط ، وتكتب بألوان متنوعة من الخطوط . وما أصاب النص القرآني أدنى تغيير .

على أن ينبغي أن نضع في الاعتبار أننا مهما طورنا في خط المصحف لتيسير قراءته فإن ذلك لن ينال منه شيئاً وقد قال رب العالمين : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وهذا رأي وسط . . . نراه أمام هذا الخلاف أولى بالقبول .
وأوجزه في نقاط محددة .

١ ـ على ضوء ما سجلته المراجع التاريخية واللغوية يتبين أن المصحف لم يكتب بخط متميز وإنما كتب بالخط المتعارف عليه في عصر الصحابة ، وأنه قد طرأت عليه تغييرات على يد أعلام الأمة وعلمائها الذين أشرنا إليهم ، وهذه التغييرات تمت على مراحل مختلفة ، وآخرها مصطلحات الوقف ، ونحوها[3] .

(١، ٢) المحكم ص ٦ ، وراجع قصة النقط الشكل في المصحف الشريف د .عبد الحي حسين الفرماوي ص ٩٦ .

(٣) راجع التعريف بالمصحف الشريف ـ المطبعة الأميرية .

٢ ـ من غير المقبول عقلاً ونصاً القول بالرمز ، أو بأن هناك أسراراً إلهية في هذه الحروف الزائدة ، وأن هذه الأسرار لا تدرك إلا بالفتح الرباني فهذا نوع من التكلف والتعسف والإيغال في الوهم .

ولو كان هذا الرسم توقيفاً لكنا ملزمين به واتباعه ، وألا نغير فيه ، مع أن الذي حدث أنه تمت تغييرات في الرسم على يد أعلام لا مطعن فيهم أكسبت النص القرآني وضوحاً ، ولم تحدث لبساً ، ونحن الآن نهتدي بما زاده القوم على الرسم العثماني .

٣ ـ إذا حاول بعض المتمسكين بحرفية الرسم العثماني أن يوجدوا تفسيرات كما أوضحنا لزيادة الألف في (لا أذبحنه) (ولا أوضعوا) وللياء في (أييد) فبم يفسرون زيادة الألف في : (ملاقوا ربهم) ﴿ بنوا اسرائيل ﴾ (أولوا الألباب) وزيادة الياء في(نبإي المرسلين) (آناءى الليل) .

٤ ـ أنا مع المحافظين فيما ذكروه من مزايا للرسم العثماني في الإشارة للقراءات ولهجات القبائل .

٥ ـ من أجل هذا أحدد وجهة نظري في الآتي :

المحافظة التامة على كتابة المصحف بالرسم العثماني على الصورة التي هو عليها الآن ، وفيها التطورات التي تمت على أيدي أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، ونحوها من المصطلحات التي زادها علماء القراءات في عصرنا الحاضر ، وتم على أساسها طباعة المصحف في عصرنا الحديث .

ولا مانع مع هذا إذا نقلنا نصوصاً قرآنية للاستشهاد بها في كتبنا وبحوثنا ، أو لنعلمها للناشة في المدارس ، أو لتكتب على لوحات للتوجيه والإرشاد أن تكون بخط الإملاء العادي تيسيراً على الناس الذين

لا علم لهم بدقائق رسم المصحف العثماني ، ولا يتاح لهم الآن الرجوع الى المتخصصين في ذلك للمراجعة والضبط .

وقد اتجهت الى ذلك وزارة التربية والتعليم في مصر ، فكتبت النصوص القرآنية في الكتب المدرسية بالرسم الاملائي المعروف .

على أنه ينبغي لنا أن نضع في اعتبار أن رائد الجميع هو العمل على الحفاظ على الكتاب العزيز ، وتيسيره للناس ولقد يسره الله علينا من حيث المفهوم والمحتوى فقال : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ ؟ فبقى علينا أن لا نرى مضاضة في تيسيره ـ الى حد ما ـ في الرسم والكتابة .

وقد تكفل الله بحفظ كتابه فقال عز من قائل : ﴿ إنما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

يقول العز بن عبد السلام ـ سلطان العلماء ـ : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع في تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغي اجراء هذا على إطلاقه ، لئلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته العلماء ، لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته »[1] .

وهذا قول فيه حصافة ، وفطنة ، رحم الله صاحبه .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٣٧٩ ، ومعنى دروس العلم : ذهاب آثاره .

الفصل الرابع

صور من الاحتجاج للقراءات

الاحتجاج بالأسانيد
الاحتجاج للأصول
الاحتجاج النحوي

صور من الاحتجاج بالأسانيد

الإسناد في القراءات هو في أعلى درجات الإسناد ـ كما علمنا ـ وهو متواتر لا ريب في تواتره والقراءة التي تفتقد التواتر لا تقبل ؛ لأن غير المتواتر لا يكون قرآناً .

وبسبب هذا احتفى علماء القراءات بالإسناد احتفاء بالغاً ، وكل عالم من علماء القراءات ينص على الأسانيد وطرقها المتعددة حتى عصره . وأحيل القارىء على ما كتبه ابن الباذش في الاقناع ، وما كتبه العلامة ابن الجزري في النشر ، ومن قبل هذين ابن مجاهد .

وسأقدم على سبيل المثال لا الحصر سند قراءة عاصم كما ذكره ابن مجاهد .

أسانيد قراءة عاصم :

يقول ابن مجاهد : (وما كان من قراءة بن أبي النجود عن أبي بكر ابن عياش فإن عبد الله بن محمد بن شاكر أخبرني بها ، عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم من أول القرآن إلى خاتمة الكهف .

وأخبرني إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي عن أبيه[1] عن يحيى ابن آدم، عن أبي بكر ، عن عاصم ، من أول القرآن إلى آخره .

وأخبرني محمد بن الجهم قال : حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي أمية البصري ، عن أبي بكر عن عاصم بذلك من أوله إلى آخره .

قال : وحدثني ابن الجهم أيضاً ، قال : وحدثنا : أبو توبة[2] ميمون بن حفص النحوي ، عن الكسائي ، عن أبي بكر ، عن عاصم .

قال : وأخبرني أبو بكر موسى بن إسحاق ، عن هارون بن حاتم ، أبي بشر ، عن حسين بن علي الجعفي ، عن أبي بكر عن عاصم .

وحدثني موسى بن إسحاق ، ومحمد بن عيسى بن حيان المقرىء ، عن أبي هشام ، عن يحيى ، عن أبي بكر ، عن عاصم .

وحدثني الكسائي محمد بن يحيى عن أبي عمارة عن أبي عمارة عن حفص[3] عن عاصم .

وحدثني أحمد بن علي الخَزَّار ، قال : حدثنا أبو عمر هبيرة[4] بن محمد التمار ، عن حفص بن سليمان عن عاصم .

وحدثنا أبو محمد الرقي ، عن أبي عمرو الدوري ، عن أبي عمارة ، عن حفص ، عاصم .

وأخبرني محمد بن حماد بن ماهان الدباغ[5] ، قال : حدثني أبو الربيع ، عن حفص ، عن عاصم .

---

(١) أبوه أحمد بن عمر بن حفص توفي سنة ٢٣٥هـ .

(٢) روى القراءة عن الكسائي عرضا ، ورواها عنه محمد بن الجهم .

(٣) هو حفص بن سليمان الراوي الثاني عن عاصم .

(٤) هبيرة التمار ، تلميذ حفص ، وأستاذ الخزاز أحمد بن علي بن الفضل أخذ عنه ابن مجاهد توفي سنة ٢٨٦هـ .

(٥) هو شيخ مقرىء بغداد ، وأبو الربيع هذا هو أستاذه وهو سليمان بن داود الزهراني .

وحدثنا أبو بكر وهب بن عبد الله المروزي ، قال : حدثنا الحسين ابن المبارك الأنماطي ، ويعرف بابن اليتيم ، قال : حدثنا أبو حفص عمرو بن الصباح بن صبيح قال : رويت هذه القراءة عن أبي عمر البزار ، وهو حفص بن سليمان بن المغيرة ، ويعرف بالأسدي قال : قرأت عن عاصم بن أبي النجود ، وذكر أبو عمر أنه لم يخالف عاصماً إلا في حرف من كتاب الله ، إلا في قوله تعالى : ﴿ من ضُعف ﴾ الروم / ٥٤ .

وحدثني أحمد بن علي الخزاز ومحمد بن حيان ، عن محمد بن يحيى القطعي ، عن أبي زيد النحوي ، عن المفضل ابن محمد[١] الضبي ، عن عاصم . محمد بن حيان : من أول القرآن إلى آخر سورة آل عمران ، والخزاز : من أول النساء : إلى آخر الكتاب .

وحدثني عبد الله بن سليمان ، قال حدثني أبو زيد (عمر بن شبة) قال : حدثنا جبلة ، عن المفضل ، عن عاصم .

وحدثني غير واحد من أصحاب أبان عن أبان عن عاصم[٢] .

وفي تكملة هذا السند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابن الجزري : وقرأ حفص وأبو بكر على إمام الكوفة وقارئها عاصم بن أبي النجود الأسدي ، فذلك مائة وثمانية وعشرون[٣] طريقاً لعاصم وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير ، وعلى أبي مريم زربن حبيش بن حباشة الأسدي ، وعلى أبي عمرو سعد بن إلياس الشيباني ، وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ، وقرأ السلمي ، وزر أيضاً على عثمان بن عفان وعلي بن أبي

---

(١) عالم الكوفة اللغوي ، المشهور ، صاحب المفضليات توفي سنة ١٦٨ أخذ القراءة عنه أبو زيد الأنصاري ، وهو غير أبي زيد (عمر بن شبة) .

(٢) راجع السبعة ص ٩٤ وما بعدها .

(٣) هذه الطرق فصلها وذكرها طريقاً طريقاً ابن الجزري في النشر .

طالب رضي الله عنهما وقرأ السلمي أيضا على أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما وقرأ ابن مسعود وعثمان وعلي وأُبَيّ ، وزيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

ونظرة الى هذه الأسانيد توقفنا على الحقائق التالية .

١ ـ الدقة البالغة ، والضبط المحكم في عرض السند ، ووضع كل لفظ موضعه من « أخبرني » إلى « حدثني » ثم تحديد القدر الذي قرأه على كل منهم .

٢ ـ غزارة هذه الأسانيد وتواترها وإذا كان ابن مجاهد وصلت إليه قراءة عاصم من هذه الطرق المتعددة ، وكلها موثقة فمن غير شك هناك طرق كثيرة وغزيرة ، وقد عرفنا أن ابن الجزري في القرن التاسع أوصلها ١٢٨ طريقاً .

٣ ـ هؤلاء الرواة الذين نقلت قراءة عاصم عنهم علماء ونحاة ولغويون وليسوا مجرد حفظة فقط .

٤ ـ اتضح لنا علو إسناد القراءات بصورة لم تتوافر لأي كتاب في الوجود غير كتاب الله تعالى .

صور من الاحتجاج للأصول

يقول مكي في التعليل لاجتماع همزتين في كلمة بالتحقيق أو التخفيف :

« حجة من حقق الهمزتين في كلمة ،وهي قراءة أهل الكوفة ، وابن ذكوان في نحو : ﴿ أأنذرتهم ﴾ وشبهه أنه لما رأي الأولى في تقدير

---

(١) راجع النشر ص ٢٢٥ وما بعدها (محيسن) .

الانفصال من الثانية ، ورآها داخلة على الثانية قبل أن لم تكن حقق كما يحقق ما هو من كلمتين ، وحسن ذلك عنده لأنه الأصل ، وزاده قوة أن أكثر هذا النوع بعد الهمزة الثانية فيه ساكن ، فلو خفف الثانية التي قبل الساكن لقرب ذلك من اجتماع ساكنين لاسيما على مذهب من يبدل الثانية ألفا فلما خاف اجتماع الساكنين حقق ليسلم من ذلك ، ولأنه أتى بالكلمة على أصلها محققة » .

ويقول : وحجة من خفف الثانية هو ما قدمنا من استثقال الهمزة المفردة ، فتكريرها أعظم استثقالاً ، وعليه أكثر العرب ، وهو مذهب نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام ، وأيضاً فإنه لما رأى العرب وكل القراء قد خففوا الثانية إذا كانت ساكنة استثقالاً ، كان تخفيفها إذا كانت متحركة أولى ؛ لأن المتحرك أقوى من الساكن وأثقل . . . »[1] .

وفي التعليل للروم والإشمام قال :

« أعلم أن الروم والإشمام إنما استعملتها العرب في الوقف لتبيين الحركة ، كيف كانت في الوصل وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام ؛ لأن الرَّوْم يسمع ويرى ، والإشمام يرى ولا يسمع ، فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل ، ومن أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك ، والإشمام لا يكون إلا في المرفوع والمضموم . . . »[2] .

ويقول في التعليل للمد في حروف المد واللين إذا لاصقتها همزة أو ساكن مشدد ، أو غير مشدد :

« فإن قيل : في العلة التي أوجبت المد فيما ذكرت ؟ فالجواب أن

---

(١) الكشف جـ ١ ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ .

هذه الحروف حروف خفية ، والهمزة حرف جلد ، بعيد المخرج ، صعب في اللفظ ، فلما لاصقت حرفاً خفياً ، خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء ، فبُيِّن بالمد ليظهر ، وكان بيانه بالمد أولى ؛ لأنه يخرج من مخرجه بمد ، فبين بما هو منه ، وبيان حرفي اللين بمد دون البيان في حروف المد واللين لنقص حرفي اللين بانفتاح ما قبلهما عن حروف المد واللين اللواتي حركة ما قبلهن منهن ، فقوين في المد لتمكنهن بكون حركة ما قبلهن منهن وضعف حرف اللين في المد لكون حركة ما قبله ليست منه . . . »[1] .

ويقول في التعليل للاستعاذة : إن الاستعاذة دعاء إلى الله جل ذكره ، واستجارة به من الشيطان وامتثال لما أمر به نبيه محمد عليه السلام ؛ إذ قال له في كتابه : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾[2] .

صور من الاحتجاج النحوي

قوله تبارك وتعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن** . . . ﴾ الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

قرأ حمزة وحفص بنصب « البِّر » الأولى ، وقرأ الباقون بالرفع .

فعلى النصب يكون البر خبراً لليس مقدماً ، ويكون ﴿ أن تولوا ﴾ مصدراً مؤولاً اسما ليس ، والمعنى : ليست توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كله .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥ وما بعدها .

(٢) النحل/ ٩٨ والكشف جـ ١ ص ٧ .

وعلى الرفع يكون ﴿ البر ﴾ اسما لليس ، والمصدر المؤول خبراً لها والمعنى : ليس البر كله توليتكم .

فكلتا القراءتين له وجه قوي في النحو ؛ لأن الاسم والخبر كليهما معرفة ، وفي هذه الحالة يجوز في كل منهما أن يكون اسما أو خبراً .

لكن يرجح الأولى : أن الاسم فيها هو المصدر المؤول وهو معرفة لا تتنكر ، والبر يتنكر فهو أقوى تعريفاً من المحلي بأل ، كما أن « أن وصلتها » تشبه المضمر ؛ لأنها لا توصف كما لا يوصف المضمر ، ومن الأصول أنه إذا اجتمع مع ليس وأخواتها مظهر ومضمر ، فالمضمر هو الإسم والمظهر هو الخبر ؛ لأنه أعرف .

وكذلك أن وصلتها في تقدير الإضافة إلى المضمر ؛ لأن معناها ﴿ توليتكم ﴾ والمضاف إلى المضمر أعرف مما فيه أل ، والأعرف أولى أن يكون هو الاسم . وأمر آخر هو أن تعريف البر ضعيف ؛ لأنه يدل على الجنس لا على شخص بعينه ، وتعريف الجنس ضعيف ؛ لأنه يشبه النكرة .

كما يرجح قراءة الرفع ﴿ ليس البرُّ ﴾ أن اسم ليس كالفاعل ، ورتبة الفاعل أن يلي الفعل ، فإذا نصبته كان لابد من نية تأخيره على الخبر ، ومجيء الكلام على رتبته التي أتت بها التلاوة أولى من التقديم والتأخير .

كما يقوى الرفع مجيء البر مرفوعاً في الآية ١٨٩ من السورة ﴿ وليس البر بأنْ تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ ؛ إذ لا يجوز هنا إلا الرفع فحمل الأول على الثاني أولى من المخالفة[١] .

كما يقويها ما جاء في مصحف ابن مسعود وأُبَيّ ﴿ ليس البرُّ بأن

---

(١) راجع في هذه الترجيحات الكشف جـ ١ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

تولوا ﴾ بزيادة الباء .

المراجع : حجة القراءات لابن أبي زرعة ص ١٢٣ .
الكشف لمكي جـ ١ ص ٢٨٠ - وص ٢٨١ - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٩٢ النشر في القراءات العشر جـ ٢ .

قوله تعالى : ﴿ **وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ، ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون** ﴾ الآية ٧١ من سورة المائدة .

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿ وحسبوا أن لا تكونُ ﴾ بالرفع ، وأضاف ابن الجزري : خلفا ويعقوب .

وقرأ الباقون : ﴿ ألا تكونَ ﴾ بالنصب .
وحجة القراءة الأولى قوله تعالى : ﴿ أن لا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾[1] .

فجعل « حسب » بمعنى العلم واليقين الذي في آية الحديد ، فأن هنا مخففة من الثقيلة تؤكد ما بعدها ، وما قبلها من اليقين يجعلها أقرب من الناصبة ، فيسير الكلام على نمط اليقين ، وعلى هـذا يكون التقدير : «أنه لا تكون فتنة» فاسمها ضمير محذوف ، ويرفع الفعل لأنه لا ناصب له حينئذ ، وتصير « لا » عوض من المحذوف مع أن ، وجملة كان واسمها في محل رفع خبر « أن » المخففة ، ولا تحتاج كان إلى خبر ؛ لأنها تامة .

وحجة من نصب أنه أجرى « حسب » على بابها للشك فأتت معه أن الناصبة للفعل ؛ لأنها لأمر غير ثابت مثل ما قبلها فهي ملائمة له .

---

(١) الحـديد / ٢٩ .

و « لا » لا تفصل بين العامل والمعمول كقولك : أحب أن تذهب أحب ألا تذهب ، وقوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجدَ ﴾[1] وقوله : ﴿ ما منعك ألا تَسجدَ ﴾[2] فالنصب باق مع « لا » كما هو موجود بدون « لا » كما جاء قوله تعالى : ﴿ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله ﴾[3] وقوله سبحانه : ﴿ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ﴾[4] .

وحكى بعض النحويين أنه قال : من رفع هذا الفعل كتب : « أن لا » منفصلة ؛ لأن الهاء المضمرة المقدرة تحول في المعنى بين « أن » و « لا » ومن نصب الفعل كتبه غير منفصل ؛ إذ لا شيء يقدر يحول بين « أن » و « لا »[5] .

المراجع : حجة القراءات لابن أبي زرعة ص **٢٣٣** .
الحجة لابن خالويه ص **١٣٥** .
الكشف لمكي جـ **١** ص **٤١٦** .
النشر جـ **٢** ص **٤٤** .

وراجع كتاب سيبويه جـ **١** ص **٥١٥** وتفسير مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ص **٣٠** مخطوط المدرسة الأحمدية ، حلب . ط ثانية بيروت .

قوله تعالى : ﴿ **من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ سورة الأعراف الآية ١٨٥ .

---

(١) سورة ص/ ٧٥ .
(٢) سورة الأعراف/ ١٢ .
(٣) البقرة/ ٢٤٦ .
(٤) سورة الحديد/ ١٠ .
(٥) الكشف جـ ١ ص ٤١٦ .

قرأ الحرميان : نافع وابن كثير ، وابن عامر ﴿ ونذرُهم في طغيانهم ﴾ بالنون ورفع الفعل « نذر » .

وقرأ أبو عمرو بن العلاء[1] وعاصم ﴿ ويَذَرُهمْ ﴾ بالياء والرفع .

وقرأ حمزة والكسائي : ﴿ وَيَذَرْهم ﴾ ، بالياء وجزم الفعل ، وأضاف إليهما صاحب النشر خلفا .

توجيه القراءة الأولى :

رفع الفعل على الاستئناف أي ﴿ ونحن نذرهم ﴾ على أساس أن الله عز وجل يخبر عن نفسه ، فهو التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿ من يضلل .. ونذرهم ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ ثم قوله : ﴿ أولئك يئسوا من رحمتي ﴾[2] ولو حمله على لفظ الغيبة لقال ﴿ من رحمته ﴾ .

توجيه القراءة الثانية :

رفع الفعل على الاستئناف ، وبالياء على الغيبة ، والإخبار عن الله ، وهذا حسن للمشاكلة ، وسير الكلام على وتيرة واحدة في الضمائر ﴿ يضلل . . . ويذرهم ﴾ ويكون تقدير الكلام : من يضلل الله فلا هادي له ، ثم استأنف فقال : والله يذرهم .

وأما القراءة الثالثة فليس فيها قطع ولا استئناف .

ويكون الفعل ﴿ ويذرْهم ﴾ معطوفاً على محل جملة جواب الشرط المقترنة بالفاء .

ولا يكون في الكلام التفات .

---

(١) ذكر ابن الجزري أبو عمرو في قراءة النون ـ راجع النشر جـ ٢ ص ٨٤ .
(٢) سورة العنكبوت/ ٢٣ .

يقول مكي : إن الاختيار ما عليه قراءة أهل الحرمين من الرفع والنون[1] .

المراجع : حجة القراءات ص ٣٠٣ .
الحجة لابن خالويه ص ١٦٧ .
الكشف جـ ١ ص ٤٨٥ .
النشر جـ ٣ ص ٨٤ .

قرأ ابن كثير قوله تعالى : ﴿ **إنه من يتقي ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ يوسف/ ٩٠ . بإثبات الياء[2] .

وقرأ الباقون : ﴿ إنه من يتق ﴾ بغير ياء مجزوماً بالشرط .

أما حجة ابن كثير[3] : هناك من العرب من يجري المعتل مجرى الصحيح فيقول : (زيد لم يقضي) ويقدر في الياء الحركة فيحذفها منها فتبَقى الياء ساكنة للجزم ، قال الشاعر :

ألم يأتيك والأبناء تمني ... بما لاقت لبون بني زياد

ولم يقل : ألم يأتك[4] وقال آخر :[5]
هزي إليك الجذع يجنيك الجني .
وكان ينبغي[6] أن يقول : (يجنك الجني) لأنه جواب الجزاء .

---

(١) الكشف جـ ١ ص ٤٨٥ .
(٢) تفرد بهذا قنبل عن ابن كثير .
(٣) ابن زنجلة حجة القراءات ص ٣٦٤ .
(٤) روى ابن جنى في سر الصناعة : ألم يأتك لا ياء فيها ولا ضرورة ، وروى أيضاً : ألم يبلغك ، والبيت أول مقطوعة : لقيس بن زهير العبسي .
(٥) أنشده الفراء ولم ينسبه راجع لسان العرب مادة (جنى) .
(٦) ابن زنجلة غير دقيق هنا لأن الجزم في جواب الطلب جائز لا واجب بشرط صحة تقدير الشرط .

ويقوى هذا قراءة حمزة في قوله تعالى : ﴿ فلا تخف دركاً ولا نخشى﴾ طه/٧٧ ولم يقل ﴿ تخش ﴾ قال الفراء : « تخش » في موضع جزم ؛ لأن من العرب من يفعل ذلك ، قال : وإن شئت استأنفت ﴿ ولا تخشى ﴾ .

وقال نحويو البصرة : يجوز أن يجعل « من يتقي » بمنزلة : الذي يتقي ، والموصول كالشرط في العموم والإبهام ، ولأن كل واحد منهما يصلح دخول الفاء في جوابه فتقول : « الذي يأتني فله درهم » كما تقول « من يأتني فله درهم » .

وأما تسكين « يصبر » فيقولون : إما لتوالي الحركات حركات الباء والراء والفاء والهمزة أو على أنه وصل بنية الوقف ، وإما على العطف على المعنى على الأساس الذي ذكر سابقاً وهو أن مَنْ الموصولة بمعنى الشرطية لعمومها وإبهامها .

وأما قراءة الباقين فهي سائرة على المشهور من قواعد النحو ؛ لأن « يتق » فعل الشرط مجزوم بـ « من » وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء .

السبعة لابن مجاهد .
حجة القراءات لابن زنجلة .
الكشف لمكي بن أبي طالب .
أوضح المسالك لابن هشام جـ ١ ص ٨٠ ت محي الدين .

قوله تعالى : **﴿ إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾** سورة طه/ ٦٣ .

قرأ أبو عمرو ﴿ إن هذين ﴾ بالياء وتشديد النون في إنّ ، وقرأ الباقون بالألف .

وقرأ ابن كثير وحفص ﴿ قالوا إن ﴾ بتخفيف « إنْ » وشدد الباقون الكشف ج ٢ ص ٦٣ .

ويختلف ابن كثير عن حفص في تشديد النون من « هذانِّ » حجة أبي زرعة ص ٤٥٦ .

وحجة أبي عمرو أن تثنية المنصوب والمجرور لغة فصحاء العرب ، وأبو عمرو مستغن عن إقامة دليل على صحتها .

وحجة من حفف (ابن كثير وحفص) أنه لما رأى القراءة وخط المصحف في « هذان » بالألف أراد أن يحتاط بالإعراب ، فخفف إن ليحسن الرفع بعدها على الابتداء ؛ لأن إن إذا خففت حسن رفع ما بعدها على الابتداء لنقصها عن شبه الفعل ، ولأنها لم تقو قوة الفعل ، فتعمل ناقصة كما يعمل الفعل ناقصاً في نحو : لم يك زيد أخانا ، ومنهم من يعملها وهي مخففة عملها وهي مشددة ، فالذي خفف « إن » اجتمع له في قراءته موافقة الخط ، وصحة الإعراب في « هذان » . فتكون « إن » مهملة مخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة أو نقول : إن نافية بمعنى « ما » واللام بمعنى إلا والتقدير : ما هذان إلا ساحران .

ويكون تشديد النون عند ابن كثير عوضاً عن الألف الثانية في ﴿ هذان ﴾ ؛ إذ أصلها : «هذا ان » فحذفت ألف هذان ، وعوض عنها بتشديد النون[1] .

وحجة من شدد النون مع بقاء الألف في « هذان » أنها مكتوبة هكذا في الأمام ، مصحف عثمان ، وهذا مشكل على أهل اللغة ، وقد ذكر أبو زرعة ابن زنجلة اختلاف النحاة واللغويين في تفسيره على النحو التالي :

(١) حجة القراءات ص ٤٥٦ .

حكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب[١] وهو رأس رؤساء الرواة : أنها لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ، ومنه قول الشاعر[٢] :

تـزود منـا بين أذنـاه ضـربـة   دعتـه إلى هابي التـراب عقيم

وقال الزجاج : وقال النحويون القدماء : ها هنا هاء مضمرة ، والمعنى : (إنه هذان لساحران) كما نقول : (إنه زيد منطلق) ثم نقول : (إنّ زيدٌ منطلق) .

وقال المبرد : أحسن ما قيل في هذا أن يجعل « إن » بمعنى « نعم » ، المعنى : (نعم هذان لساحران) فيكون ابتداء وخبراً قال الشاعر[٣] :

ويقلن شـيب قـد عـلا   ك وقد كبرت فقلت : إنَّه

آي : نعم . فإن قيل : اللام لا تدخل بين المبتدأ وخبره ، لا يقال : زيد لقائمٌ ، فما وجه هذان لساحران ؟

الجواب في ذلك : أن من العرب من يدخل لام التوكيد في خبر المبتدأ ، فيقول : زيد لأخوك ، قال الشاعر :

خـالي لأنت ومن جريـر خالـه   ينـل العـلاء ويكـرم الأخـوالا

وقال الزجاج : المعنى : (نعم هذان لساحران) .

---

(١) هو عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الكبير ، وأستاذ سيبويه .
(٢) البيت لهَوْبر الحارثي (لسان العرب مادة هبا) والهابي : التراب المختلط بالرماد .
(٣) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات (ديوانه ص ٦٦) وانظر الكتاب لسيبويه ١/ ٤٧٥ ، ٢/ ٢٧٩ وخزانة الأدب ٤/ ٤٨٧ .

وقال قطرب : يجوز أن يكون المعنى : (أجل) فيكون المعنى والله أعلم : ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ، وأسروا النجوى ﴾ قالوا : (أجل) تصديقاً من بعضهم لبعض ، ثم قالوا : « هذان لساحران » ويجوز أن يكون اللام داخله في الخبر على التوكيد .

وقال الفراء في « هذان » إنهم زادوا فيها النون في التثنية وتركوها على حالها في الرفع والنصب والجر كما فعلوا في « الذي » فقالوا : ﴿ الذين ﴾ في الرفع والنصب والجر[1] .

وللإمام ابن تيمية رأي في تخريج هذه القراءة : وهو أن الإعراب لا يظهر في الواحد وهو هذا فجعل كذلك في التثنية ؛ ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرع عليه ، وبناء المثنى إذا كان مفرده مبنياً أفصح من إعرابه ، ثم اعترض على نفسه بأمرين : أحدهما : أن السبعة أجمعوا على الياء في قوله تعالى : ﴿ إحدى ابنتي هاتين ﴾[2] مع أن هاتين ثتينة « هاتا » وهو مبني والآخر : أن الذي مبني وقد قالوا في تثنية ﴿ اللذين ﴾ وهي لغة القرآن كقوله تعالى : ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا ﴾[3] .

وأجاب عن الأول بأن (هاتين) جاءت بالياء على لغة الاعراب لمناسبة ﴿ ابنتي ﴾ ، فالإعراب هنا أفصح من البناء لأجل المناسبة كما أن البناء في ﴿ هذان ﴾ أفصح من الاعراب لمناسبة الألف في ﴿ ساحران ﴾ .

وأجاب عن الآخر بأن هناك فرقاً بين « هذان » و « اللذان » ؛ إذ الأخير تثنية اسم ثلاثي ، فهو شبيه بالزيدان ، والأول تثنية اسم على

(١) هذه الوجوه مفصلة في حجة القراءات لأبي زرعة في ص ٤٥٤ إلى ٤٥٦ .

(٢) سورة القصص/ ٢٧ .

(٣) سورة فصلت/ ٢٩ .

حرفين فهو عريق في البناء لشبهه بالحروف .

كما رد رداً قوياً على الخبر المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه بما يبطله ، وهو قولهم : إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها(١) .

المراجع : حجة القراءات لأبي زرعة ، تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٥٧ .

الكشف جـ ٣ لمكي ، شذور الذهب لابن هشام .

النشر جـ ٣ لابن الجزري .

قال الله تعالى : ﴿ **وزكريا إذ نادى ربه : رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾ سورة الأنبياء الآية ٨٨ .

قرأ أبو بكر (شعبة بن عياش) وابن عامر (نُجِّي) بنون واحدة ، وجيم مشددة ، ونسب ابن خالويه ، وابن الجزري هذه القراءة لعاصم . وشعبة من رواة عاصم .

وقرأ الباقون بنونين والتخفيف (نُنْجِي) .

بالنسبة لقراءة شعبة وابن عامر .

توجه إليها النقد التالي من الوجهة النحوية :

قال الفراء : لا وجه له عندي ؛ لأن ما لم يسم فاعله إذا خلا باسم رفع .

وقالوا أيضاً في نقدها : نُجِّـي لم يسم فاعله ، وكان الواجب أن تكون الياء مفتوحة ، كما تقول : عزِّيَ وقُضِيَ .

---

(١) شذور الذهب لابن هشام ص ٤٩ ـ ٥٠ .

وقيل في توجيهها : إن هذه القراءة على طريق إخفاء النون الثانية في الجيم ، وهذا بعيد ، لأن الرواية بتشديد الجيم ، والإخفاء لا يكون معه تشديد .

وقيل أدغـم النون في الجيم ، وهذا أيضاً لا نظير له ؛ لأن النون لا تدغم في الجيم في شيء من كلام العرب لبعدما بينهما .

يقول مكي[١] : وإنما تعلق من قرأ هذه القراءة أن هذه اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة ، فهذه القراءة إذا قرئت بتشديد الجيم ، وضم النون ، وإسكان الياء غير متمكنة في العربية » .

وكان أبو عبيد[٢] ـ يختار هذه القراءة اتباعاً للمصحف على إضمار المصدر يقيمه مقام الفاعل ، وينصب المؤمنين ، ويسكن الياء في موضع الفتح ، ويرى مكي أن هذا كله قبيح بعيد ، كما اختار أن يكون أصله « ننجى » ثم أدغم النون في الجيم ، وعلق مكي علي ذلك بأنه غلط قبيح ؛ لأنه لا يجوز الإدغام في حرف مشدد كما لا يجوز إدغام النون في الجيم عند أحد[٣] وعلى الاختيار الثاني لأبي عبيد يكون (نُجّي) فعل مضارع ، وعلامة الاستقبال سكون الياء[٤] .

واحتج بعضهم لهذه القراءة بأن « نُجّى » فعل ماض ، مبني للمجهول ، ثم سكنوا الياء ، وتأويله : ﴿ نُجّيْ النجاءُ المؤمنين ﴾ فيكون « النجاء » مرفوعاً على أنه نائب عن الفاعل ، والمؤمنين مفعول به ، كما تقول : « ضرب الضربُ زيدا » ثم يكنى عن الضرب ، فتقول :

---

(١) الكشف جـ ٢ ص ١١٣ .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام وهو من أوائل الأعلام الذين بحثوا في القراءات رواية وتوجيها .

(٣) الكشف جـ ٢ ص ١١٣ .

(٤) حجة القراءات ص ٤٦٨ .

(ضرب زيدا) ، وحجتهم قراءة جعفر ﴿ ليجزى قومابما كانوا ﴾[1] أي ليجزى الجزاء قوماً[2] .

وأما قراءة الباقين : نُنْجِي بنونين ، فهو فعل مضارع من : أنجى ينجي ، والمؤمنين مفعول به ، وكتبوا في المصاحف بنون واحدة على الاختصار ، على اجتماع المثلين في الخط ، ولأن النون الثانية تخفى عند الجيم بلا اختلاف ، واختار ابن قتيبة هذه القراءة[3] .

المراجع : الكشف جـ ٢ حجة القراءات لابن زنجلة ـ الحجة لابن خالوية ـ النشر جـ ٣ .

قال الله تعالى : ﴿ **لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين** ﴾ سورة المنافقون الآية ١٠ .

قرأ أبو عمرو ﴿ فأصدق وأكون من الصالحين ﴾ بإثبات الواو في ﴿ أكون ﴾ ونصبها .

وقرأ الباقون : ﴿ فأصدق وأكن ﴾ بحذف الواو والجزم ﴿ أكن ﴾ .

توجيه القراءة الأولى :

« أكون » منصوبة بالعطف على ﴿ فأصدق ﴾ ؛ لأن «فأصدق» منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء ، لوقوعها في جواب التمني ، فهو محمول على مصدر (أخرتني)[4] .

---

(١) سورة الجاثية/ ١٤ .

(٢) هذه القراءة لآية السجدة وللآية التي معنا حجة للكوفيين في قولهم بجواز نيابه غير المفعول به عن الفاعل ، مع وجود المفعول به وخالفهم البصريون .

(٣) الكشف ج ٢ ص ١١٤ .

(٤) يقول ابن خالويه « لولا » هنا للاستفهام والتخصيص ، وتعبير مكي في الكشف بالتمني أنسب لسباق الآية .

وحجة من جزم أنه عطف على موضع ﴿ فأصدق ﴾ لأن موضعه قبل دخول الفاء فيه جزم ، لأنه جواب التمني ، وجواب التمني إذا كان بغير فاء ولا واو مجزوم لأنه غير واجب، ففيه مضارعة للشرط وجوابه ، فلذلك كان مجزوماً ، كما يجزم جواب الشرط ، ويعطف عليه بالجزم كقراءة من قرأ : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرْهم ﴾ لما كان « فلا هادي » في موضع فعل مجزوم ، حمل ﴿ يذرهم ﴾ عليه ، وكأن الأصل في الآية : ﴿ لولا أخرتني أتصدقْ وأكن ﴾ كما قال الشاعر[1] :

فأبلوني بليتكم لعلي أصالحكم وأستدرج نويا

ففي هذا البيت جزم « استدرجْ » عطفاً على موضع « أصالحكم » قبل دخول لعل عليه ومعناه : فأبلوني بليتكم أصالحكم .

المراجع : حجة القراءات لابن زنجلة ص ٧١٠ .
الحجة لابن خالويه ص ٣٤٦ .
الكشف جـ ٢ ص ٣٢٢ ـ ص ٣٢٣ .
النشر جـ ٣ ص ٣٣٥ .

قوله تعالى : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ﴾ سورة نوح الآية ٢٥ .

قرأ أبو عمرو ﴿ مما خطاياهم ﴾ مثل قضاياهم .
وقرأ الباقون ﴿ مما خطيئاتهم ﴾ .

---

(١) نسبه ابن جني في الخصائص إلى أبي داود، ونسبه ابن هشام في المغني جـ ٢ ص ٩٧ إلى الهذلي . . . وأبلوني : أعطوني . والبلِيّة : الناقة تعقل على قبر صاحبها الميت بلا طعام ، ولا شراب حتى تموت ، ونَوِيّ : بفتح الواو كهَوَىً ، وأصله : نواي كعصاي قلبت الألف ياء على لغة هذيل . انظر الخصائص جـ ١ ص ١٧٦ ، ومعاني القرآن جـ ١ ص ٨٨ .

وحجة أبي عمرو أن الخطايا أكثر من الخطيئات ؛ لأن جمع المؤنث بالتاء في الأغلب من كلام العرب أن يكون للقليل مثل نخلة ونخلات ، وبقرة وبقرات . قال الأصمعي : كان أبو عمرو يقرأ « خطاياهم » ويقول : إن قوماً كفروا ألف سنة كانت لهم خطيئات ؟ لا ، بل خطايا .

كأن أبا عمرو يذهب إلى أن الألف والتاء للجمع القليل ، و « خَطايا » جمع تكسير يفيد الكثرة .

كما احتج بإجماع القراء في سورة البقرة على ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾[(١)] .

والأصل في : « خطايا » خطاءا على وزن (خطاعي)[(٢)] ثم لينت الهمزة فقيل خطايا .

وقال الفراء : هو جمع خطية على تخفيف الهمزة .

وحجة الباقين رسم المصحف الذي جاء على صيغة جمع السلامة للمؤنث .

وقالوا : إن الألف والتاء تكون للقليل والكثير ، وإليه ذهب الكسائي ؛ لأن الله قال : ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾[(٣)] ، وقال : ﴿ وهم في الغرفات آمنون ﴾[(٤)] .

ولابن كيسان رأي في توجيه الآية يقول فيه : « ما » نكرة في موضع

---

(١) سورة البقرة/ ٥٨ .

(٢) راجع حجة القراءات لابن نجلة ص ٢٩٩ ـ ٧٢٦ .

(٣) لقمان/ ٢٧ .

(٤) سبأ/ ٣٧ .

خفض بمن ، و« خطيئاتهم » بدل من « ما » كأنه قال : من عملٍ خطيئاتهم[1] .

المراجع : حجة القراءات لابن زنجلة .

الحجة لابن خالويه .

الكشف جـ ٢ .

النشر جـ ٣ .

---

(١) الكشف جـ ٢ ص ٣٣٧ .

خـاتـمة

في ختام هذا العمل العلمي ، وبعد جولة باحثة فاحصة في ميادين القراءات المتعددة والمتشعبة لا أستطيع أن أنزه هذا العمل من الهفوات والعثرات شأن أي جهد يبذله بشر (ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

غير أني أحسب بعد هذه الجولة أني أستطيع أن أضع أمام الدارس والباحث عدداً من النتائج التي يمكن أن ينطلق منها إلى عمل آخر ، وأن يحقق بعد الوقوف عليها والتحرك من مفاهيمها نتائج أعمق أثراً ، وأشد خطراً .

وهذا شأن العلم لبنات تتعاقب الأجيال في إرساء صرحه الشامخ حتى يأوي الإنسانية في ظلاله الوارفة .

والأجيال المسلمة في حياتنا المعاصرة في أمس الحاجة إلى علوم القراءات لترشد مسيرتها المهتدية بكتاب الله ، والقائمة على حفظه ودرسه .

ودونكم النتائج التي رأيت إثباتها في هذه الخاتمة .

● القراءات المقبولة نزلت وحياً ، ولم تكن من اجتهاد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، واختلاف القراءات اختلاف تنوع لا اختلاف تعارض وتناقض .

● مصدر اختلاف القراءات الأسانيد المتواترة التي تثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ بها جميعاً ، ولم تنشأ عن الرسم العثماني كما يزعم المستشرقون وأذنابهم .

● الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم هي تنوع في صور الأداء مع اتحاد المعنى في الجميع ، والعدد ليس مراداً ، ولا يعني سوى الكثرة . وكل قراءة ثبتت بسند متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافقت قوانين اللسان العربي على أساس أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، ولم تخالف رسم المصحف العثماني فهي من الحروف السبعة ، ولو نسبت لغير القراء السبعة أو العشرة .

● من أعظم الأعمال في تاريخ القرآن المجيد المصحف العثماني أو المصحف الإمام الذي وضع ضوابط دقيقة ومحددة أجمع عليها قراء الصحابة لتكون مرجعاً للقراء من بعدهم ، ولتدفع احتمالات الفوضى التي قد تنشأ من تعدد القراءات بدون وعي . ولهذا عددت هذا العمل من وسائل الحفظ الذي تكفل به رب العالمين لكتابه العزيز .

● وعمل ابن مجاهد ـ مهما قال العلماء في تقويمه ـ عمل مشكور ، له آثاره الطيبة في جمع الأمة على عدد من القرارات الصحيحة المتواترة .

● أعلام القراء حتى عصر ابن الجزري كانوا علماء هذه الأمة ، وأعرف الناس بعلوم العربية وفنون الرواية ، والحديث ، والتفسير ، وسائر علوم القرآن .

● علوم القراءات ، الدراية بها ضرورة لدارس اللسان العربي على

كل مستويات الدراسة فيه .

● الأصول في القراءات كثيرة ومتنوعة ، ويراد بها القواعد العامة المطردة التي عززتها الأسانيد الصحيحة ، وليست سبعة فقط كما رأى بعض العلماء .

● في كتب التفسير ، ومعاني القرآن ، وإعرابه قراءات كثيرة ، وغير منسوبة ، ويكتفي فيها بأن يقال : وقرىء كذا ، وهذا الأمر يحدث أكثر ما يحدث في غير القراءات العشرة ، أو لغير القراءات العشرة ممن صحت قراءاتهم ، ويتطلب هذا جهداً يبذله المهتمون بعلوم القراءات لنسبة هذه القراءات والتعرف على أسانيدها ، ولا يكفي مجرد عمل معجمي يكتفي بذكر القراءة دون نسبة واضحة محددة .

● القراءات الشاذة التي تنتهي أسانيدها إلى بعض الأعلام من قراء الصحابة ، أساسها وهم من بعض الرواة ، فقد يلجأ الصحابي إلى ذكر كلمة للتفسير والتوضيح فيدخلها الراوي في صلب الآية مثل : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) التي نسبت لابن مسعود رضي الله عنه .

● القراءة الشاذة مصدر صحيح لقضايا النحو والصرف واللغة ، وإن اختلف العلماء في الاستشهاد بها في الأحكام الشرعية . كما ذكرت .

● هناك فرق بين الاحتجاج بالقراءات ، والاحتجاج للقراءات .

أما الأول فلا ريب فيه ؛ إذ نحتج بالقراءات السبع والعشر في كل الأمور شرعية أم لغوية أم غير ذلك ؛ لأنها القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ، والتوقف أمام واحدة منها ضلالة ضالة .

وأما الثاني فهو منهج علماء القراءات في إثبات صحتها ، إما عن

طريق ذكر الأسانيد المتواترة ، وإما عن طريق كشف صلتها الوثيقة بقواعد اللسان العربي ، وإما عن طريق إثبات موافقتها لما أجمع عليه الصحابة من الرسم العثماني .

● القراءات مصدر لتقنين النحو ، وضبط قواعده ، ولا يصح أن تحكم عليها بما قرره النحاة من قواعد على أساس بيت مجهول القائل ، أو عبارة قالها عربي في البادية .

والحمد لله رب العالمين

مَراجعُ البحث ومصَادِرُه

مرتبة ترتيباً أبجدياً وهي بعد القرآن الكريم وكتب السنة

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب السنة : صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ط عيسى الحلبي ـ القاهرة ـ المستدرك للحاكم ـ سنن الترمذي / القاهرة شعب الإيمان للبيهقي .

ثالثاً : مؤلفات مطبوعة ومخطوطة .

١ ـ الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب ت د . عبد الفتاح شلبي .

٢ ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ـ للدمياطي ط القاهرة سنة ١٩٥١ .

٣ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط الحلبي القاهرة .

٤ ـ ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان مخطوط .

٥ ـ إرشاد الفحول للشوكاني ط القاهرة .

٦ ـ إرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى لأبي العز القلانسي ـ ت عمر الكبيسي ـ رسالة ماجستير بإشرافنا .

٧ ـ أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ط دمشق .
٨ ـ الاشتقاق لابن دريد تحقيق عبد السلام هارون مطبعة السنة المحمدية القاهرة .
٩ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ـ دار الكتب المصرية .
١٠ ـ الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ت د ـ عبد المجيد قطامش ـ مركز البحث العلمي ـ مكة .
١١ ـ الإمالة في القراءات واللهجات العربية دكتور عبد الفتاح شلبي .
١٢ ـ أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام ت محمد محي الدين عبد الحميد .
١٣ ـ البحر المحيط لأبي حيان .
١٤ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي ط الحلبي القاهرة .
١٥ ـ البرهان في تجويد القرآن الشيخ محمد الصادق قمحاوي .
١٦ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي .
١٧ ـ البيان والتبيين للجاحظ .
١٨ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) م السعادة .
١٩ ـ تاريخ التراث ـ فؤاد سزكين / قسم القراءات .
٢٠ ـ تاريخ القراء العشرة ورواتهم للشيخ القاضي .
٢١ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ت السيد صقر دار التراث ـ القاهرة .
٢٢ ـ التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ط القاهرة .
٢٣ ـ التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري .
٢٤ ـ التعريف بالقرآن والحديث الشيخ محمد الزفزاف ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٢٥ ـ التعريفات للسيد الجرجاني .
٢٦ ـ تفسير ابن كثير .

٢٧ ـ تفسير الطبري .
٢٨ ـ القراءات القرآنية ـ تاريخ وتعريف د . عبد الهادي الفضلي .
٢٩ ـ التيسير لأبي عمرو الداني ط استانبول .
٣٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ط دار الكتب المصرية .
٣١ ـ جمع الجوامع لابن السبكي وعليه حاشية البناني ط الحلبي / القاهرة .
٣٢ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم دار المعارف القاهرة .
٣٣ ـ الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ت عبد العال سالم مكرم ـ دار الشروق .
٣٤ ـ الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي ت د . عبد الفتاح شلبي .
٣٥ ـ حجة القراءات لابن زنجلة ت سعيد الأفغاني .
٣٦ ـ حرز الأماني ووجه التهاني للإمام الشاطبي ت (٥٣٨) ط القاهرة .
٣٧ ـ خزانة الأدب للبغدادي .
٣٨ ـ رسم المصحف وأوهام المستشرقين د . عبد الفتاح شلبي دار الشروق .
٣٩ ـ السبعة لابن مجاهد ت د . شوقي ضيف دار المعارف بمصر .
٤٠ ـ سراج القاري المبتدي لابن القاصح ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة .
٤١ ـ شرح السيرافي على كتاب سيبويه .
٤٢ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك ـ ت د . هريدي ـ مركز البحث العلمي ـ جامعة أم القرى ـ مكة .
٤٣ ـ شرح الشافية للرضي ت محي الدين وزميليه .

٤٤ ـ شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ت محي الدين .
٤٥ ـ الصحاح للجوهري .
٤٦ ـ طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ـ ط الحلبي ـ القاهرة .
٤٧ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ لابن الجزري ـ ط الحلبي ـ القاهرة .
٤٨ ـ غيث النفع تأليف الشيخ علي النوري الصفاقسي ـ على هامش سراج القارىء المبتدىء ـ ط الحلبي القاهرة .
٤٩ ـ فضائل القرآن لابن كثير .
٥٠ ـ الفهرست لابن النديم .
٥١ ـ في رحاب القرآن . د . محمد سالم محيسن .
٥٢ ـ القاموس المحيط للفيروز بادي .
٥٣ ـ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ـ عبد الفتاح القاضي .
٥٤ ـ القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ـ الشيخ عبد الفتاح القاضي .
٥٥ ـ قصة النقط والشكل في المصحف الشريف د . عبد الحي حسن الفرماوي .
٥٦ ـ القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ت د . أحمد خطاب العمر ـ العراق .
٥٧ ـ الكتاب لسيبويه ط الأميرية وطبقة عبد السلام هارون .
٥٨ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة .
٥٩ ـ الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب ت محي الدين رمضان ط دمشق .
٦٠ ـ الكفاية في علم الرواية للبغدادي ط القاهرة .
٦١ ـ لسان العرب لابن مكرم .

٦٢ ـ لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني ت الشيخ عامر سليمان ود. شاهين.
٦٣ ـ مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان .
٦٤ ـ المحتسب في القراءات الشاذة لابن جني ـ المجلس الأعلى للشؤ ن الإسلامية القاهرة .
٦٥ ـ المحكم في نقط المصاحف للداني .
٦٦ ـ المدارس النحوية د . شوقي ضيف .
٦٧ ـ مذاهب التفسير الإسلامي ـ جولد تسيهر ـ ترجمة عبد الحليم النجار دار الكتب الحديثة .
٦٨ ـ المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ـ لأبي شامة المقدس ط بيروت .
٦٩ ـ معاني القرآن للفراء ت محمد علي النجار وآخرين ط دار الكتب مصر .
٧٠ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة .
٧١ ـ معرفة القراء الكبار للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ط القاهرة .
٧٢ ـ المقتضب للمبرد ت د . عضيمة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / القاهرة .
٧٣ ـ مقدمة ابن خلدون ط مصطفى محمد .
٧٤ ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني .
٧٥ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ت عبد الحي فرماي ـ القاهرة .
٧٦ ـ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك لأبي الحسن الأشموني ت محي الدين .
٧٧ ـ الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني مخطوط بمكتبة الأزهر (ضمن مجموعة من ورقة ٢٤ ـ ٧٣ برقم ١٠٣ قراءات مخطوط سنة ٨٣٦ هـ.

٧٨ ـ النبأ العظيم د . محمد عبد الله دراز ط دار العلم بالكويت .
٧٩ ـ نزهة الألبا في طبقات الأدبا النحاة لأبي البركات الأنباري .
٨٠ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط القاهرة ، الضياع ، وط د . محيش .
٨١ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي .
٨٢ ـ وفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان ت محي الدين القاهرة .

دوريات :

١ ـ مجلة الرسالة العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ .
٢ ـ مجلة المقتطف يوليو سنة ١٩٣٣ .

فهرس الكتاب

الموضوع الصفحة

المقدمة ٩
تمهيد ـ القرآن الكريم وقراءاته ١٣

الباب الأول

القراءات والقراء

الفصل الأول

مفاهيم أساسية

تعريف القراءات ٢٧
وجوه الاختلاف بينها ٢٨
أساس اختلاف القراءات ٢٩
القراءة والرواية ٣٠
نشأة علم القراءات ٣١
أين نزلت القراءات ؟ ٣٢
تدوين القراءات ٣٤
ما ألف في القراءات ٣٦
مكانة علم القراءات ٤٠
فروع علم القراءات ٤٢

الفصل الثاني
القراءات المقبولة والشاذة

ضوابط القراءة المقبولة ٤٧
شرط التواتر ٤٨
موافقة العربية ٥١
موافقة رسم المصحف ٥٣
القراءات من حيث السند ٥٤
الاختيار في القراءات ٥٥
القراءة الشاذة وصورها ٥٧
متى بدأ الحكم بالشذوذ ؟ ٥٩
رواة القراءة الشاذة والباحثون فيها ٦٠
القراءة في الصلاة بالشاذة ٦٣
الاستشهاد بالقراءة الشاذة في الفقه ٦٤
الاستشهاد بالقراءة الشاذة في النحو واللغة ٦٦

الفصل الثالث
القراء

القراء من الصحابة ٦٩
القراء من التابعين وتابعيهم ٧٢
القراء العشرة ورواتهم ٧٤
ابن عامر ٧٥
ابن كثير ٧٧
عاصم ٨٠
أبو عمرو ٨٣

حمزة ٨٦
نافع ٨٨
الكسائي ٩١
أبو جعفر ٩٤
يعقوب ٩٥
خلف ٩٧
الأربع الشواذ ٩٩
الحسن البصري ٩٩
ابن محيص ١٠٠
الأعمش ١٠١
اليزيدي ١٠٣

الفصل الرابع
ترتيل القرآن

معنى الترتيل ١٠٧
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ١٠٨
أنواع القراءة ١١٠
التحقيق ١١٠
الحدر ١١١
التدوير ١١١
أي الثلاثة أفضل ؟ ١١٢
التجويد : معناه ١١٤
أصوله ١١٥
التدوين في علم التجويد ١١٦
مخارج الحروف ١١٨

عدد مخارج الحروف ١١٩
صفات الحروف ١٢٢
ملاحظات هامة ١٢٧

الباب الثاني

بحوث في القراءات

الفصل الأول

الأحرف السبعة

المقصود بالحرف ١٣٤
أقوال العلماء في الأحرف السبعة ١٣٥
رأي وتعليق ١٤٣
كيف وجدت الأحرف السبعة ١٤٤
حكمة تعدد الحروف والقراءات ١٤٦
كيف نشأت فكرة القراءات السبع ١٤٩

الفصل الثاني

الأصول والفرش

الوقف والابتداء
معنى الوقف
الوقف الكافي ١٦٢
الوقف الحسن ١٦٢
وقف السنة ١٦٣
الوقف اللازم أو الواجب ١٦٤
الوقف القبيح ١٦٥
موقف أئمة القراء من مواضع الوقف والابتداء ١٦٦
الوقف المتكلف ١٦٧
تعانق الوقف ١٦٨

الوقف والقطع والسكت ١٦٩
كيف تقف ؟ ١٧١
الابتداء ١٧٤
الإدغام والإظهار ١٧٥
أسباب الإدغام ١٧٦
ما يجب فيه الإدغام ١٧٧
ما يجوز فيه الإظهار والإدغام ١٧٨
الإدغام الصغير : أقسامه ١٧٩
الإدغام الكبير ١٨٣
حروف يخاف على القارىء اللحن فيها ١٨٥
المد والقصر ١٨٧
أسباب المد ١٨٧
أقسام المد ١٨٨
أحكام المد ١٩١
الهمز والتليين ١٩٥
تلاقي همزتين في كلمة ١٩٧
الهمزتان المتحركتان في كلمتين ٢٠٠
الهمزة المتحركة المفردة ٢٠٤
الهمزة الساكنة ٢١٠
الإمالة والفتح ....
موقف القراء من الإمالة ٢١٣
أسباب الإمالة عند القراء والنحاة ٢١٦
اختلاف واتفاق بين النحاة والقراء ٢١٨
الراءات واللامات بين التفخيم والترقيق ٢٢١
أحكام الراءات ٢٢٢
أحكام اللامات ٢٢٦

الهاءات ٢٢٨
الياءات ٢٣٦
بين الإثبات والحذف ٢٤٠
صلة ميم الجمع بواو الإشباع ٢٤٢

الفصل الثالث
رسم المصحف

أسباب توحيد المصاحف ٢٤٨
نماذج من الرسم العثماني ٢٥١
هاء التأنيث ٢٥١
الحذف والإثبات ٢٥٤
القطع والوصل ٢٥٦
الرسم العثماني ومواقف المتشككين ٢٦١
شبه وردود ٢٦٧
كتابة المصحف بين الرسم العثماني ، والرسم الإملائي ... ٢٧١
رأي المؤيدين ٢٧٣
رأي المخالفين ٢٧٥
رأي وسط ٢٧٨

الفصل الرابع
صور من الاحتجاج للقراءات

صور من الاحتجاج بالأسانيد ٢٨٣
صور من الاحتجاج للأصول ٢٨٦
صور من الاحتجاج النحوي ٢٨٨
خاتمة ٣٠٥
الفهارس ٣١٥
مراجع البحث ومصادره ٣٠٩